قوانين السعادة من القرآن والسنة

إعداد

الدكتور حسين عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوحي الإلهي

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108]

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، والرحمة المهداة إلى الخلق أجمعين سيدنا محمد صلوات ربي وتسليماته عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد /

فهذه مجموعة خواطر إيمانية أعددتها لتكون مادة دعوية للأئمة وخطباء المساجد، وأيضا لينتفع بها طلبة العلم وعامة المسلمين، وقد جعلت عنوانها:

قوانين السعادة في القرآن والسنة

والسعادة ضد الشقاء، وتأتي بمعاني: اليُمن، والبركة، والهناء، والسرور

وعند علماء النفس: السعادة هي شعور إيجابي مستمر بالرضا عن الحياة، مقرون بمشاعر البهجة مع إحساس داخلي بأن للحياة غاية وهدف.

أما السعادة في التصور الإسلامي فهي كل ما يُدخل الفرح والبهجة على النفس، وهي الشعور بالرضا والراحة النفسية، وتعني السعادة الحقيقية العيش في فرح ووئام، وحبٍّ.

ومن معاني السعادة: أن يلبي الإنسان احتياجات نفسه، ومن يعول، وفي نفس الوقت يدفع عن نفسه كل مكروه ويجلب لنفسه كل شيء نافع.

ورسالة الإسلام في أصلها جاءت لإسعاد البشرية جمعاء، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة الدواء الأمثل لإسعاد القلوب، وبيان أسباب السعادة وألوانها ومظاهرها وآثارها على الفرد والمجتمع.

لأن السعادة الحقيقية ليست فقط لذّة دنيوية، بل هي **سعادة القلب بالإيمان، وسعادة الروح بالقرب من الله**، ثم تمتد إلى مظاهر الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

وقد ورد لفظها في القرآن الكريم في سورة هود ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: 108]

والسعادة هي مبتغى كل واحد منا ... خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعل فيه دوافع أو نوازع تحركه... يعطش فيبحث عن الماء ... يجوع فيبحث عن الطعام ... يتعب فيطلب النوم ...وهو أيضا يبحث عن الشيء الذي فيه لذه أو متعة، ويبحث عن الاستقرار وعن الطمأنينة، وعن راحة البال.

وهذا موضوع كبير وفيه مؤلفات كثيرة لمؤلفين مسلمين وغير مسلمين كتبوا في هذا الموضوع، لكن أغلب من كتبوا عن السعادة كتبوا عنها من وجهة نظر غربية ترى السعادة في الاستمتاع بالحياة، والانغماس في الملذات، وتنمية المهارات، والاهتمام بالصحة النفسية، والسفر والسياحة، والتوسع في الهوايات ... الخ، مع تعمد إغفالهم ذكر أن ارتباط السعادة بالإيمان بالله عز وجل، وطاعته والعمل الصالح، وحسن الخلق، وأيضا من كتبوا عن السعادة من المسلمين اقتصروا على بيان السعادة بالإيمان والعمل الصالح، وتلاوة القرآن بشكل مختصر.

فاجتهدت في صياغة هذه الخواطر على شكل قواعد أو قوانين مدللا عليها من النبعين الصافيين؛ المرجعية الأولى لكل مسلم: **الكتاب والسنة.**

ما سبب اختياري لهذا الموضوع؟

1- كثره حالات القلق والتوتر والاكتئاب في عصرنا حتى صار عصرنا عصر الاكتئاب والقلق وانتشار الأمراض النفسية التي كثرت بشكل كبير، والسبب في هذا أن كثيرا من الناس أخطأ طريق السعادة أو أنه بحث عن السعادة في غير مظانها.

2- الحياة المادية الرأسمالية جعلت الإنسان أشبه بماكينة تعمل لا مشاعر لها ولا يوجد في قاموسهم معاني الحب والرضا والطمأنينة.

3- ولو أننا نظرنا إلى حال الإنسانية اليوم، لوجدنا أن المدنية الحديثة قدمت الكثير من وسائلها التكنولوجية وآلاتها المتطورة، وأجهزة الترفيه والتسلية المختلفة والمتنوعة، إلا أن نسبة الانتحار في ارتفاع وعدد المكتئبين في ازدياد ولا يكاد يخلو بلد من البلدان من مصحة نفسية تعالج كآبة الإنسان.

4- في عصرنا الحالي الناس يبحثون عن السعادة في الطريق الخطأ؛ على سبيل المثال:

- من الناس من رأى السعادة في أن يلحد وينكر وجود الله، ليتملص من كل التكاليف فلا يصلي ولا يصوم ولا يوجد عنده حلال وحرام؛ فانطلق إلى الإلحاد وكأنه يبحث عن السعادة بإنكار أشرف وأعظم معلوم وهو الله عز وجل.
- ومن الناس من جعل السعادة هي العلمانية بأن يفصل دينه عن دنياه وتبقى العبادة طقوس روحية يؤديها إذا أحب ذلك.
- ومنهم من زعم أنها في الحرية المطلقة الليبرالية فيفعل ما يشاء كيفما شاء بأي وقت شاء ويقع في انتكاسة الفطرة ومحاربة للفطرة.

- وهناك من طلبوا السعادة في أكل الحرام وظنوا أن أكل الحرام هو الفرصة الجميلة للحياة وبالفلوس تشتري كل شيء لكن هذه أكذوبة كبرى، فالمال سبب من أسباب الراحة لكنه ليس سبب من أسباب السعادة "
- ومن الناس من طلب السعادة في شرب الخمر، أو المخدرات، ومن المعلوم طبيا أن الخمر والمخدرات قد تُحدث شعورًا مؤقتًا بالنشوة أو "الراحة "لأنها تغيّر كيمياء الدماغ، فترفع بعض الهرمونات مثل الدوبامين، والسيروتونين المسؤولة عن الإحساس بالمتعة.
لكن هذا الإحساس زائف وقصير المدى، وسرعان ما يعقبه: هبوط حاد في المزاج قلق، اكتئاب، كسل، مع الوقوع في الإدمان؛
فالسعادة التي تعطيها الخمر والمخدرات هي سعادة كيميائية مزيفة، تُخدّر العقل مؤقتًا، ثم تترك الإنسان ضائعا مريضا هزيلا.

- ومن الناس من رأى أن السعادة أن يكون صانع محتوى مشهور لكن المحتوى الذي يقدمه هو التفاهة، لأن صناعة التفاهة رائجة جدا هذه الأيام، كيف تصنع نجما تافها بشكل تافه باختيارات تافهة، وهذه التفاهة لها سوق رائجة حاليا هات أي تافه عمل حاجة تافهة وانظر لعدد المشاهدات؟!!

أرسل لي أحد الإخوة مقطع فيديو قال لي رد على هذا الرجل.. ولما فتحت المقطع وجدت 8 مليون مشاهدة، والتعليقات وصلت لخمسة آلاف ... ماذا يقول الرجل يقول: إنه أثبت بالقرآن أن آدم وحواء كان لهم أجنحة، والدليل قوله تعالى: (**قلنا اهبطوا منها جميعا**) [البقرة 38]

فقال: في اللغة العربية الهبوط مثل هبوط الطائرة والطائرة تهبط بأجنحة فآدم وحواء كيف هبطوا من الجنة؟ لو هبطوا من غير أجنحة لماتوا، فهنا وفقا للفظ القرآني كان لهم أجنحة !!!

طيب يا رجل هذه الأجنحة أين هي الآن؟ لماذا لا نرى في البشر أجنحة، لقد تفوقت على من قالوا إن الإنسان أصله قرد!!!

ولهذا أقول أن تكون صانع محتوى مشهورًا لا يعني بالضرورة أنك سعيد. الشهرة أي نعم تجلب الاهتمام والمدح من الناس، وهذا يمنح شعورًا مؤقتًا بالمتعة والقبول، لكنها أيضًا تجلب الضغط، القلق، المقارنة، والخوف من السقوط.

وكثير من المشاهير يعانون من الوحدة، القلق، الاكتئاب، لأن الناس يحبون الصورة، لا الشخص الحقيقي، فإذا كانت الشهرة هدفًا بحد ذاتها، يصبح الإنسان أسيرًا لنظرة الآخرين، لا حرًّا في سعادته.

السعادة الحقيقية:

كلما كنت قريبا من الله كنت سعيدا، وكلما ابتعدت عن الله كنت شقيا، وقد ورد هذا المعني في سوره طه في قوله تعالى: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا)** [طه:124،123]

وقد أبدع الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف ما يناله المؤمن من لذة حلاوة الإيمان فقال :إنه لا نعيم للقلب ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره والفرح، والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه فهذه جنته العاجلة " ونقل عن ابن تيمية قوله: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وذكر قول بعض العارفين: " إنه لتمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب " كما ذكر بعض أقوال المحبين: " مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها قالوا: وما أطيب ما فيها قال: محبة الله والأنس به، والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه.[1]

وهذا موضوعنا الذي سنتكلم عنه، كل خاطرة نأخذ قانونا من قوانين السعادة في القرآن أو في السنة ونتكلم عليه.

ونصل إن شاء الله بعد هذه الخواطر إلى فهم قوانين السعادة؛ ونكون قد تعلمنا ما هو الطريق الصحيح للسعادة، ونخرج من دنيانا سعداء بالفوز بطاعة الله والعمل الصالح، وفي الآخرة إن شاء الله نسعد بلقاء الله ودخول جنات النعيم بعد رضا الله عنا جميعا.

اللهم ارضنا وارض عنا ووفقنا إلى ما تحبه وترضاه.

وكتبه

د. حسين عامر

غرة شهر ربيع الأول 1447هـ

مدينة لافال- كندا

(1) مدارج السالكين (454/1) بتصرف يسير.

قوانين السعادة

(١)

أن تعرف

لماذا خلقت؟

قوانين السعادة

(1) أن تعرف لماذا خلقت؟

لماذا خلقنا؟

الله تعالى أوضح لنا الغاية من خلقنا وبين أنا خلقنا لثلاث غايات:

الغاية الأولى: عبادة الله وحده لا شريك له

قال تعالى: **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** [الذاريات:56]

أي أن الغاية العظمى من وجودنا في الدنيا هي **عبادة الله وحده**، وعبادة الله عز وجل تكون بإفراده سبحانه بالتوحيد، وإفراده سبحانه بالتشريع؛ فهو الآمر الناهي نعبده وحده لا شريك له؛ ونطيعه ولا نعصي أمره جل جلاله.

وهذه الغاية هي الأساس التي لا يصح عمل إلا بها، ثم إنها تظهر عبر الابتلاء لأن به يظهر الصادق من الكاذب، وتظهر من خلال عمارة الأرض والإصلاح فيها.

الغاية الثانية: حكمة الابتلاء

الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يتركهم هملا لا يثيبهم ولا يعاقبهم، بل جعل الدنيا **دار اختبار وامتحان**، كما قال: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾]الملك: 2].
فإن الله خلق عباده، وأسكنهم الأرض لأجل مسمى قدره سبحانه، فينقلون منها بالموت، ثم يبعثهم من قبورهم فيجازيهم على أعمالهم، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.

الغاية الثالثة: إعمار الأرض

قال تعالى :﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾]هود: 61.[
إعمار الأرض، واستثمار خيراتها النافعة في تحقيق مراد الله تعالى، وحفظ نظام التعايش فيها، فالإسلام دين يدعو للعمل والحركة والإصلاح وعمارة الأرض فلا رهبانية ولا انعزال وانطواء بعيدا عن الناس، وفي الحديث عن **أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)**

والمقصود من الحديث أن المسلم مكلف بالعمل فإذا يئس من ثمرة العمل أن يحصلها؛ فلا يترك العمل، عسى أن تنفع ثمرته غيره.

وعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: " سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له أبي: أنا شيخ كبير أموت غدا، فقال له عمر: أعزم عليك لتغرسنها؟ فلقد رأيت عمر بن الخطاب يغرسها بيده مع أبي ".

حاجة الإنسان للعبادة

الحقيقة التي يغفل عنها الكثير منا: أن الإنسان في حقيقته يتكون من جسد وروح، والجسد خلقه الله من الطين، وغذّاه مما يخرج من ذلك الطين، إما بالنبات أو بالحيوان الذي يتغذى على النبات.

أما الروح فهي نفخة من الله تعالى، وغذاؤها في الصلة بالله.

وتكمن المشكلة فيمن يشبع رغبات الجسد في الطعام، والشهوات، واللهو، وينسى احتياج الروح لخالقها، فمن هنا يحدث عدم التوازن، ومن هنا يأتي الشعور بالقلق والضيق لانعدام التوازن.

والعلاج يكمن في التوازن بين حاجات الجسد وحاجات الروح، وكما أسلفت أن غذاء الروح في عبادة الله فالعبادة غذاء لأرواحنا، وبدونها يظل الإنسان في الأرض حيران قلق مضطرب.

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته * * * أتعبت جسمك فيما فيه خسران

أقبل على الروح واستكمل فضائلها * * * فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

إن الإنسان جسد وروح، ومستحيل أن يعيش الإنسان حياة طيبة سعيدة بالبدن دون الروح.

فالله جل وعلا لم يخلق الإنسان ليتلذذ بالدنيا وينسى الله.

من لا يعرف الحكمة من خلقه يعيش في اكتئاب.

والغرب قد أعطى البدن كل ما يشتهيه من طعام وشراب وشهوات وملذات، وبقيت الروح تصرخ تبحث عن دواء وغذاء فوقف الغرب أمام الروح عاجزاً لا يملك شيئاً.

ومن الملاحظ أن أكبر الأدوية مبيعا في البلاد الغربية المسكنات، والمهدئات ومضادات الاكتئاب، وأكثر الأطباء انشغالا بكثرة المواعيد مع المرضى هم الأطباء النفسيون، وأكبر معدل للانتحار يوجد في بلاد الغرب، رغم حالة الرفاهية وارتفاع الدخل إلا أن هذا يبين مدى ما يعانيه الغرب في الجانب الروحي من قلق وشك واضطراب.[2]

السعادة في توافق الحركة مع الهدف:

فالإنسان إذا عرف الله عرف نفسه والغاية التي من أجلها خلق.

يقول الشيخ راتب النابلسي: عبادةُ الله علّةُ وجود الإنسان والسعادة في توافق الحركة مع الهدف، وضرب لذلك مثالا للتوضيح :ذهب رجلٌ إلى باريس، ونام في الفندق، واستيقظ في صبيحة اليوم الأول، وسأل: إلى أين أذهب؟ ما هذا السؤال؟ نسأله نحن: لماذا أتيت إلى هنا؟ إن أتيت طالباً فاذهب إلى المعاهد والجامعات، وإن أتيت تاجراً فاذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن أتيت سائحاً فاذهب إلى المتاحف والمتنزهات، متى يصح عملك في مكان ما؟ إذا عرفت سر وجودك، وغاية وجودك، لذلك لا شيء يعلو في حياة الإنسان على معرفة سر وجوده، وغاية وجوده، وقد تجد إنسانا في أعلى درجات العقل يطلب العلم، يبحث عن عمل صالح يرقى به عند الله، يربي أولاده تربية صحيحة، يتعامل مع الناس وفق منهج الله، هذا عرف سر وجوده، وغاية وجوده

إن طالبًا عنده امتحان في آخر سنة، مادة أساسية أخيرة، وأصعب مادة، والامتحان بعد أيام، ما الحركة المناسبة له؟ أن يقبع في البيت، وأن يقرأ الكتاب المقرر، لو أن أصدقاءه الخلَّص أخذوه إلى مكان جميل مطلٍّ على البحر، والجبل فيه نبات أخضر، والطعام نفيس جداً، وهو يحبهم، جالس مع أصدقاء يحبهم، والمكان جميل، والطعام طيب، لماذا يشعر بانقباض شديد؟ لأن هذه الحركة لا تتناسب مع الهدف القريب.

إذاً أنت متى تسعد؟ تسعد إذا جاءت حركتك متوافقة مع هدفك .

اسأل تاجرا لا بيع ولا شراء عنده، وهو جالس طول النهار في المحل، هاتوا شاي، هاتوا قهوة، هاتوا مجلة، هاتوا جريدة، تجده مسموم البدن، مع

---

(2) تشير الاحصائيات على سبيل المثال بكندا حسب منظمة Prevention in Canada، هناك 12وفاة يوميًا بالانتحار، ما يصل إلى ما يقارب (4,380)وفاة سنويا هذا يجعل الانتحار أحد الأسباب الرئيسة للوفاة بين فئات الشباب (15–34 عامًا)، حيث يُعد السبب الثاني بعد الحوادث.

أنه مرتاح، الراحة لا تتناسب مع هدف المحل التجاري، أما لما ينسى أن يتغدى من كثرة البيع فهو أسعد إنسان، ما يجلس دقيقة، من محل لمحل، فلما يكون البيع شديدا يكون معه تعب شديد، ويكون التاجر في أسعد لحظاته، ولما يكون في راحة تامة واسترخاء، وضيافة مستمرة، وأصدقاء وصحف ومجلات، تجده في أتعس حالاته .متى تسعد؟ إذا جاءت حركتك موافقة لهدفك

ومتى تشقى؟ إذا جاءت الحركة ليست موافقة لهدفك.

فعلّة وجودنا في الأرض: أن نعبده، والسعادة في توافق الحركة مع الهدف؛ قال تعالى: **)فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)** [طه/: 123:124]

فهذا هو حال الإنسان إذا علم الغاية من وجوده في هذه الدنيا وسعى لتحقيقها تحققت له السعادة.

قصة للدكتور عبد المجيد الزنداني:

قال الدكتور عبد المجيد الزنداني في إحدى محاضراته :جرت مجادلة بيني وبين أحد علماء بريطانيا: البروفسور كرستوفر بالس ، وهو طبيب من مشاهير علماء بريطانيا في الطب ، فقلت له : هل وُجِدَت عينك لحكمة ؟
قال : نعم.
قلت : وهل وُجِدَ أنفك لحكمة ؟
قال : نعم.
وأخذت أعدد أعضاء الجسم.
فقال لي : هذه مواضيع أبحاث علمٍ يسمى علم وظائف الأعضاء لا يتخرج الطبيب من أي كلية في الطب إلا إذا درسه.
فقلت له : هل الحكمة من هذا العضو خاصة بالعضو نفسه ، أم أنها من أجل الكل؟
(أردت أن يعترف أن الحكمة من الأجزاء ليست من أجل الأجزاء نفسها وإنما من أجل الكل).
فقال: أرأيت لو جئت بالجهاز الهضمي وحده من دون الجسم ألله قيمة؟
قلت: لا.
قال: كيف تقول: إن الأعضاء والأجهزة أحكمت من أجل نفسها ولم تحكم من أجل الكل؟
قلت له: أنا كنت أسأل وأنت قد أجبتني .

فما الحكمة من هذا الكل؟ (يقصد الإنسان)
فبهت وأطرق برهةً وأدرك أنه وقع في الفخ!!
وقال: هذه فلسفة!
قلت له: قبل قليل كان علماً (علم وظائف الأعضاء)!! لقد هربت، وكنت أعلم أنك ستهرب، وأنا أعلم لماذا ستهرب.

ولكن قبل ذلك عندي سؤال.. أفي استعمال حذائك حكمة؟
قال: نعم لها فائدة: فهي تقيني الأذى، فهي تحمي قدمي من الاصطدام بالأجسام الثقيلة ومن الخدش بالأجسام الحادة، ومن التضرر بالسوائل الضارة، ومن تقلبات الجو، ومن اختراق بعض الكائنات وغير ذلك.
فقلت له: ألوجودك حكمة؟
فبهت مرة ثانية!
فقلت له: والله أني لأعجب يا برفسور من حضارتكم التي تقول لكم: إن الإنسان أحقر من نعله!! فلاستعمال الحذاء حكمة، ولابسها لا حكمة من وجوده!!
أما لماذا لم تعرفوا الحكمة ولماذا هربت فذلك لأن الحكمة من خلقك لا تعرف إلا بتعليم من الخالق، وأنتم لا تعرفون الخالق، فكيف ستعرفون حكمة وجودكم؟! لذلك سيبقى الإنسان في نظركم أقل شأناً من الحذاء.

ولا طريق للتخلص من هذا إلا أن تعرف ربك لكي تعرف لماذا خلقك.
وقلت له: يا دكتور سأضرب لك مثالاً: لو أن لدينا جهازا إلكترونيا معقدا غاليا ونريد أن نعرف الحكمة منه فليس هناك إلا طريق واحد وهو أن نتصل بالذي صنعه؛ لأن الحكمة من هذا الجهاز مختفية في نفس الصانع.
فأضاف قائلاً: أو نتصل بمندوبه.
قلت: صدقت. فإذا أردت أن تعرف الحكمة من خلقك فليس لك إلا أن تتصل بمندوبي الذي خلقك، وهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام.
وسيبقى الإنسان أحقر من حذائه ما لم يؤمن بالله ورسوله! لا يعرف الحكمة من وجوده، ولا يعرف ربه، ولا يعرف لماذا دخل إلى هذه الدنيا ولماذا يخرج منها!

وهذا التخبط والحيرة والتيه الذي يعيشه هؤلاء عبر عنه أحد الشعراء في قصيدة سماها "الطلاسم" والتي تدل على عمق حيرتهم، بقوله:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي ؟!

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

لست أدري.... !!

فهذا هو الإنسان العصري بحث عن السعادة في كل اتجاه وفي كل سبيل ولم يصل إليها لأنه ترك باب السعادة الأول والأوحد وهو تحقيق الغاية من خلق الإنسان.

قرأت من عدة سنوات في عام (2016) أنهم في سويسرا لكثرة الأمراض النفسية وحالات الاكتئاب كان هناك استفتاء حول إعطاء 2500 فرنك سويسري شهريًا لكل بالغ، وقالوا: إن هذا سيقضي على الشعور بالفقر وضغوط الحياة وما شابه ذلك!!! لكن الاستفتاء رُفض.

وهم ظنوا أن هذا هو الباب الذي سيحقق السعادة ويخفف الضغوط النفسية على المواطنين في هذه الدولة؛ لكنهم لم ينتبهوا إلى أن إشباع لذّات الجسد لا يغني أبدا عن إشباع حاجات الروح.

راحة الجسد مؤقتة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4]

يستريح ينهض، فيتعب، فيستريح، فينهض، فيتعب هذه طبيعة الدنيا أي لذة للجسد هي قصيرة مؤقتة لحظية وهي لا تعطيك حصانة من الحزن، أما سعادة الروح بطاعتها لله والسير على منهجه، وتحقيق الغاية من الخلق هي بيت القصيد وهي أساس تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

قصة شاب أسلم بمونتريال:

أختم لكم بقصة حدثت معي شخصيا، وهي قصة واقعية؛ لما كنت في مسجد الروضة بمونتريال عام **2010**، هناك مستشفى لعلاج الأمراض النفسية والعقلية قريب من المسجد، والمريض عندما يصل لمرحلة من مراحل العلاج والتماثل للشفاء يسمحون له أن يخرج من المستشفى لعدة ساعات ساعتين أو ثلاثة كل يوم، يتمشى ويتعامل مع الناس ليبدأ يخرج ويعيش حياته الطبيعية.

شاب كندي كان في فترة النقاهة يتمشى، وبقدر الله كان يمشي بجوار مسجد الروضة، وقدر الله عز وجل أن يمر في وقت أذان صلاة العصر فجذبه الصوت ففتح الباب ودخل المسجد وهو لا يعرف ما هذا لكنه شعر أن هناك شيئا يجذبه لسماع صوت المؤذن للصلاة، وبعد قليل بعد الأذان مباشرة أقيمت الصلاة وانتظم الناس صفوفا كما نحن معتادين كمسلمين، فانضم الرجل إلى هذه الصفوف، وبدأ يقلد الناس في صلاتهم قاموا قام معهم... ركعوا ركع معهم.... سجدوا سجد معهم....

وهكذا اليوم الثاني جاء في نفس الوقت وأعجبته الفكرة فانضم إلينا، في اليوم الثالث شاء الله تعالى أننا غيرنا ميعاد إقامة الصلاة كما هو معروف أن المواقيت تغير كل أسبوع فكان أقل ربع ساعة من الوقت السابق، فلما وصل للمسجد وصل وقد انتهينا من الصلاة فما كان منه إلا أنه خرّ في وسط المسجد ساجدا لله سبحانه وتعالى، وطال سجوده حتى لفت أنظار الناس، وجاءني بعض الشباب أخ مغربي قائلا: في شاب عليه ملامح أنه كندي له مدة طويلة تقريبا ربع ساعة ساجد!!

قلت له: اتركه قليلا لننظر ... وبعد قليل رفع رأسه فتكلم الأخ معه بالفرنسية، هل أنت بخير؟ فحكى له القصة كما ذكرتها لكم الآن، لكنه قال: إنه أعجبته هذه التمارين الرياضية التي نقوم نحن بها وأنه لما عاد إلى المستشفى تذكر أن أكثر تمرين شعر معه بالراحة النفسية والهدوء هو تمرين وضع الرأس على الأرض!!!

والله يا إخواني هكذا كان يقول تمرين وضع الرأس على الأرض وأنه كان كلما أحس بضغط نفسي قام فوضع رأسه على الأرض فاستراح.

ولذلك لما جاء إلينا في اليوم الثالث وقد صلينا مبكرا لم يتذكر من الصلاة إلا هذا التمرين -على حد عبارته- الذي أراحه فسجد طويلا وكأنه يريح الروح من عنائها وتعبها.

وجلست معه أنا والإخوة جلسة مطولة شرحنا له أن هذه ليست تمارين رياضية ونحن مسلمين وهذا ديننا وهذه الصلاة هي العبادة التي نتعبد لله بها... وبدأ يسأل ونحن نجيبه على بعض المفاهيم في الإسلام، وطلبت منه أن يأتي إلى المسجد أكثر من مرة فوافق، وكنا وقتها وقت الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان؛ فالإخوان عرضوا عليه أن يأتي وقت المغرب ويأكل معهم طعام عربي مجانا، فجاء وقضى مع الأخوة ساعات طيبة وعامله الأخوة كواحد منهم حتى أحبهم وأحبوه، وبعد العيد كنت واقفا

في القبلة أقول للمصلين: استقيموا واستووا، فوجدت هذا الشاب يلبس عباءة مغربية وطاقية ويقف في الصف الثاني مبتسما ، فتبسمت له وتهللت.

وبعد الصلاة ناديت على الأخ الذي كان قد تكلم معه من قبل وقلت له أليس هذا فلان قال نعم قلت: ما الذي حدث؟ قال: لما كنت في إجازة العيد جاء وقال أنا أريد أن أدخل الإسلام!!! ماذا أفعل؟ قلنا له: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلم.

نسال الله أن يثبتنا وإياه على الحق اللهم آمين يا رب العالمين.

****

قوانين السعادة

(2)

أسعد الناس...

يسعدك اللّه!!

قوانين السعادة

(2) أسعد الناس... يسعدك الله!!

هناك قاعدة شرعية تكلم عنها العلماء كثيرا وهي:

(الجزاء من جنس العمل)

وهي سنةٌ كونية إلهيةٌ، وقاعدة شريفة مستقاةٌ من النصوص الشرعية، ومعناها أن جزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر

وهي تشبه ما ورد في الأثر: **(كما تدين تُدان)**

قال ابن القيم رحمه الله : (لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر ... فمن ستر مسلما ستره الله ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن أقال نادما أقال الله عثرته يوم القيامة ، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن ضار مسلما ضار الله به ، ومن شاق شاق الله عليه ، ومن خذل مسلما في موضع يحب نصرته فيه خذله الله في موضع يحب نصرته فيه ، ومن سمح سمح الله له ، والراحمون يرحمهم الرحمن وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن أنفق أنفق عليه ، ومن أوعى أوعى عليه ومن عفا عن حقه ، عفا الله له عن حقه ومن تجاوز تجاوز الله عنه ومن استقصى استقصى الله عليه فهذا شرع الله وقدره ووحيه ، وثوابه وعقابه ، كله قائم بهذا الأصل ، وهو إلحاق النظير بالنظير ، واعتبار المثل بالمثل) [3]

فإذا أردت أن يحسن الله اليك فأحسن إلى الخلق.

وإذا أردت أن ييسر الله عليك فيسر على الخلق.

وإذا أردت أن يساعدك الله فساعد من يحتاج مساعدة من الخلق.

ارحم الناس يرحمك الله، اعف عن الناس يعفو الله عنك...

ونفس الكلام في موضوعنا عن السعادة:

إذا أردت أن يسعدك الله فأسعد الناس.

---

(3) إعلام الموقعين، ج 1، ص 196

وهذا ما قاله الرسول ﷺ قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرا)

وسائل إسعاد الناس

أولا/ إسعاد الناس بالبسمة والتبسط:

ديننا دين جميل – الحمد لله على نعمة الإسلام – دين يعلمنا أن المجتمع ينبغي أن يكون قائما على الحب، لا مكان فيه للأنانية، ولا للعداوة، ولا للخصام؛ فهو دين قائم على الحب، والابتسام في وجوه الناس.

وفي الحديث: **(لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)** يعني بشوش جميل.

وعلمنا أن البسمة عبادة فقال رسول الله ﷺ: **(تبسمك في وجه أخيك صدقة)** فإشاعة البسمة على من حولنا هدي نبوي نقتدي فيه برسول الله ﷺ

ويقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه: (ما رآني رسول الله ﷺ إلا وتبسم في وجهي)

فكانت الابتسامة دائما مرتسمة على وجهه ﷺ، وكان لين جانبه وبساطته المعهودة تجعل في قلبه مكانا لكل مسلم من المسلمين حوله فلا يشعر أحد منهم بغربة عن المجلس، أو برهبة، أو بخشية، حتى الرجل الذي اقترب منه رسول الله ﷺ فارتعدت فرائصه فقال له:

(هون عليك يا أخي فإنما أنا ابن امرأة من مكة كانت تأكل القديد)

يعني أنا لست جبارا ولا ذا سلطان ظالم؛ إنما أنا ابن امرأة عادية من أهل مكة. [4]

والمقصود الإشارة إلى أنه رجل من الناس متواضع لا متكبر ولا متغطرس ولا يجعل لنفسه مكانة فوق الناس.

وكان ﷺ (هاشّا باشّا بسّاما ضحّاكا) باشّا من البشاشة وهي السرور الذي يظهر في الوجه.

---

(4) القديد هو اللحم المقدد كانوا يعرضون اللحم للشمس ليصير يابسا كوسيلة من وسائل الحفظ.

ثانيا/ إسعاد الناس بقضاء حاجاتهم :

أيضا من أبواب إدخال السرور على المسلمين أن تقضي حاجة أخيك، إذا أعطاك الله خبرة في القوانين أو إنجاز بعض الأوراق الرسمية، أو شراء أو تصليح شيء فدله على ذلك؟ أو إن كان يحتاج للعمل اشفع له، والشفاعة في الخير خير؛ طالما أنك لا تأخذ حقا ليس لك، أو لصاحبك ولا تظلم غيرك.

والرسول ﷺ قال: **(اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء)**

وكان ابن عباس في مسجد الرسول ﷺ معتكفا، فجاءه رجل يطلب شفاعته بحكم مكانة ابن عباس وهو ابن عم رسول الله ﷺ بين المسلمين فيشفع له عند رجل، فقام معه وخرج من المسجد فاستوقفه البعض كيف تخرج من المسجد وأنت معتكف؟ قال: سمعت رسول الله يقول: **(ولأن أمشي في حاجة أخي خير لي من أن أعتكف في مسجدي شهرا) .**

لاحظوا الركعة بمسجد الرسول ﷺ بألف، وعلى الرغم من ذلك فإنك إذا قضيت لأخيك حاجة وسعيت معه لذلك الأمر؛ فهذه خير عند الله وأعظم أجرا من اعتكاف شهر في مسجد رسول الله ﷺ.

ثالثا/ إسعاد الناس بالتبشير بالخير :

أذكر الخير .... انشر الخير.....

إذا علمت خبرا سارا كن أول من يبشر به، إذا علمت خبرا سيئا فلا تخبر به؛ إلا للضرورة إذا تعين عليك، لكن لست مكلفا أن تتصل يا فلان أنا علمت في كذا وكذا ..... مما يسوؤه ويحزنه سبحان الله العظيم!!

الشيخ عبد الحميد كشك ذات مرة – وكانت الهواتف قليلة في الماضي- اتصل به رجل من الإسكندرية عند الجيران، فطلبوا الشيخ، وراح فقال خيرا يا ابني؟

قال أنا حلمت إنك مت!! فقال الشيخ: عشان استريح من وشك (وجهك).

فما الضرورة في أن تزف الأخبار السيئة للناس؟

لماذا لا نتبع قول النبي ﷺ" يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا "

فلا تكن ناقلا لخبر سيء، وانقل الأخبار السارة؛ فإذا اضطررت لنقل خبر سيء فتجمل في عرضه أو نقله وتلطف مع من تخبره.

ابن سيرين وتفسيره لرؤيا:

ويذكر أن الأمام ابن سيرين وهو من أعلام التابعين وله أخبار عديدة في تفسير الرؤى جاءه رجل محزون مكروب قال له رأيت في الرؤيا كأن أسناني كلها قد وقعت فأخبرني من أخبرني أن أهلي جميعا سيموتون.

فقال له: بل سيبارك الله في عمرك حتى تكون آخر أهلك موتا.

المؤدي واحد لكن فارق كبير بين التعبيرين.

مشهد توبة الله على كعب بن مالك:

أنقل لكم مشهد كعب بن مالك، وكعب كان أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وأمر الرسول ﷺ بهجره هو وصاحبيه (يقاطع الجميع تربية وتأديبا له)، بعد خمسين ليلة نزل على رسول الله ﷺ خبر توبة الله على كعب وصاحبيه فخرج النبي وأخبر بعض أصحابه بالخبر وكان ذلك في الثلث الأخير من الليل، ماذا فعل القوم؟

خرج أحدهم حتى صعد على جبل سلع [5] ، وجعل ينادي بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر!

وآخر ركب الفرس وجعل يعدو سريعا حتى وصل إلى كعب ليبشره، وذهب كعب إلى المسجد عند الفجر فاستقبله الناس وهنأوه قال: فقام إليّ طلحة مهرولا فهنأني واحتضنني فوالله لا أنساها له.

وتوجهت إلى رسول ﷺ فإذا بوجهه يبرق من السرور.

هذا هو المجتمع عندما يحب بعضه بعضا ويفرح الجميع فيه بتوبة الله على عبد من عباده (كعب بن مالك)

رابعا/ إسعاد الناس بالهدية :

والهدية قال عنها النبي ﷺ: (تهادوا تحابوا)

وأسعد الناس بك هم أقاربك وإخوانك وأرحامك، وتبدأ بوالديك وزوجتك وأولادك، كل هؤلاء أولى ثم أصدقاؤك، وسائر من حولك.

كذلك تستحب الهدية لمن كان بينك وبينه موقف أو شحناء:

يقول النبي ﷺ: (إن الهدية تذهب وحر الصدر)

(5) وكان جبلا بجانب مسجد الرسول ﷺ ولم يعد له وجود الآن مع التوسعات.

وحر الصدر هو: الحقد أو الغيظ بسبب مشكلة أو مشادة، فالهدية وإن كانت رمزية لها مفعول كبير في إسعاد من حولك.

والخلاصة:

-كن دائما سببا لإسعاد غيرك.

-كن رحمة للناس: إذا حضرت سعد الناس بك، وإذا غبت افتقدك الناس.

نسأل الله أن نكون ممن يسعدون بإسعادهم الناس،

وأن يقضي حاجات المحتاجين

وأن يفرج كرب المكروبين

اللهم آمين.

****

قوانين السعادة

(3)

الحياه الطيبة

إيمان وعمل صالح

(3) الحياة الطيبة إيمان وعمل صالح

يعيش على وجه الأرض ما يزيد على سبعة مليار نسمة، ما منهم من أحد إلا وهو يتمنى السلامة والسعادة، وبتعبير قرآني يتمنى الحياة الطيبة، والتي تكون بالشعور بالراحة النفسية، والعافية والسلامة من الأمراض، والغنى وكثرة المال، وما من أحد إلا وهو مفطور على بغض المعيشة السيئة وما فيها من فقر وأمراض ومنغصات وقلق.

ولو تأملنا لعلمنا أن السعادة الحقيقية والحياة الطيبة تكون بالقرب من الله، فالأمر أمره، والخلق خلقه، والتدبير تدبيره، لأن الله جعل راحة الأرواح في القرب منه، وجعل أنس الحياة في الإنس به سبحانه وتعالى.

وقد بين الله شرطين لكي نعيش الحياة الطيبة، وإذا خالف أحد هذين الشرطين فقد اختار المعيشة الضنك.

قال تعالي: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [سورة النحل :97]

وقال تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [طه: الآيتين 123، 124]

في آية سورة النحل ذكر الله سبحانه وتعالي الشرطين اللذين يحققان للعبد الحياة الطيبة الشرطان هما:

1- العمل الصالح.

2- الإيمان

ما هي الحياة الطيبة؟

الحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، وقد تعددت أقوال المفسرين:

-الحياة الطيبة هي: الرزق الحلال الطيب.

-الحياة الطيبة هي: القناعة.

-الحياة الطيبة هي: السعادة.

-الحياة الطيبة هي: الرزق الحلال والعبادة في الدنيا.

-الحياة الطيبة هي: العمل بالطاعة والانشراح بها.

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث:

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "قد أفلح من أسلم ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه".

وروى الترمذي عن فضالة بن عبيد؛ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "قد أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافا، وقنع به". رواه أحمد

فصاحب الحياة الطيبة راض بقضاء الله طائع لربه، متبع لرسوله ﷺ، يحمل القناعة في نفسه، والرضا في قلبه، يسلم لله فيما كتب من الأقدار، إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإن أذنب استغفر، وأجمل وصف له هو قوله ﷺ:

(عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له.) رواه مسلم

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:(إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق) (6)

المعيشة الضنك:

أما الآيتين من سورة طه؛ قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 123-124]

في الآية الأولى بين الله جل وعلا أن من اتبع القرآن وعمل به فإن الله سبحانه وتعالى تكفل له بألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

والشقاء نوعان:

-شقاء الجسد. - وشقاء الروح.

(6) ذكره ابن القيم في الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (ص 106).

شقاء الجسد :يشترك فيه جميع الخلق، الشقاء هو التعب الشديد كما يقول المفسرون، فالإنسان يصيبه الجهد والتعب في المعيشة والسعي في طلب الرزق وما شابه ذلك، هذا يشترك فيه الجميع المؤمن والكافر، لأن الله تعالى **قال: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)** [البلد 4]

كبد: أي في مشقة ومعاناة من ساعة ميلاده إلى أن يموت، لأن الدنيا ليست دار السلام وليست دار النعيم، والجسد حينما يشقى ويتعب يحتاج إلى الراحة، أو يحتاج إلى الطعام والشراب، ويحتاج إلى النوم، ويحتاج أن يرد عن نفسه ما يؤذيه، وأن يجلب ما ينفعه، وهذه مسألة فطرية، الخلق جميعا يسعون إليها ويطمعون فيها.

أما شقاء الروح :فهذا لا يشعر به إلا من كفر بالله وأعرض عن طريق الله، أما سعادة الروح فإنها سعادة لا يجدها إلا من سلك طريق الله، وهذا معنى الآية: **(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)** هذه الآية في سورة طه، في أول السورة رب العالمين قال لنبينا: ﴿**طه ما أنزلنا عليك ٱلْقُرْءَانَ لتشقى**﴾ [طه: 1-2]

فالشقاء هنا المقصود به شقاء الروح، شقاء الدنيا والآخرة بأن يظل الإنسان في حالة ضيق دون أن يعرف السبب.

وفي الآية الثانية أن من أعرض عن القرآن ولم يعمل به فإن الله جل وعلا يعاقبه بعقوبتين:

الأولى: أنه يكون في معيشة ضنكًا:

والضَّنْكُ : الضِّيِّقُ من كلِّ شيءٍ؛ فمعنى معيشة ضنكا ، عيشة سيئة مليئة بالمخاطر ، وليست المعيشة الضنك أن تسكن كوخا أو لا تجد مالا أو أن تفقد عضوا من أعضائك أو أن تصاب بمصيبة ؛ بل المعيشة الضنك هي معيشة الشقاء ، معيشة القلق ، معيشة الضياع ، معيشة الإحباط ، معيشة اليأس ، والمكاره و الاكتئاب ،وتواصل الهم والغم والحزن ، والتسخط من القضاء والتبرم بأقدار الله ، والقلق ، والاضطراب ، وتمني الموت ، والإشراف على الانتحار، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة ؛ جزاء له على إعراضه عن كتاب الله جل وعلا، لأنه ترك الهدى فوقع في الضلال ووقع في الحرج.

والعقوبة الثانية: أن الله جل وعلا يحشره يوم القيامة أعمى:

لأنه عمي عن كتاب الله في الدنيا فعاقبه الله بالعمى في الآخرة، قال: ﴿**قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ **[طه: 125-126]**

فإذا عمي عن كتاب الله في الدنيا بأن لم يلتفت إليه ولم ينظر فيه ولم يعمل به، فإنه يحشر يوم القيامة على هذه الصورة البشعة والعياذ بالله.

فقوله تعالى: (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) هذا قانون عام لجميع البشر، من اتبع الله وطريق الله؛ فلا يخطئ طريق السعادة، والفوز في الدنيا والآخرة، ولا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة.

ما معنى الحياة الطيبة؟

هل الحياة الطيبة بكثرة الأكل والشرب والنوم والراحة؟

الحياة الطيبة قرب من الله- عز وجل-، إذا اقترب العبد من مولاه شعر بالسعادة والطمأنينة، وبأن لحياته هدفا وقيمة، وطاب له كل ما يتعرض له من مشاق ومتاعب وهموم.

انظر إلى نظرة النبي لهذا الأمر وهو خير خلق الله، لما دعا أهل الطائف وسلطوا عليه العبيد والسفهاء وألقوا عليه الحجارة وسبوه، وأهانوه ﷺ، دعا ربه قائلا: **(اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس! يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي، أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ألا تنزل بي غضبك، أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)** [7]

لاحظوا الرسول يؤذى ويسب ويهان فيلوذ بالله ويتضرع لمولاه، رغم أن أي واحد منا يسلك طريقا ثم يبدو فيه مصاعب ومشقات ويتعرض للسب والإهانة، ما هو أول تفكير يفكر فيه؟

---

(7) رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات ما عدا ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وله شاهد آخر يقوي هذا الحديث عند ابن إسحاق موصولاً وكلاهما يقوي بعضهما الآخر.

أن يترك هذا الطريق، وأن يترك هذا العمل، النبي يعلم أنه على الطريق الصحيح، لكنه يشكو إلى الله ضعف قوته، فهو يطلب من الله العون والمدد ليستمر في هذا الطريق، ثم يخاطب مولاه مناجيا إياه: **(إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي)**، طالما أن هذا الذي يحدث من مشقات وصعوبات وصدود وسب وإهانة، هذا ليس غضب منك فأنا لا أبالي بهذا.

وكان النبي يقول لأصحابه إن قريشا تزعم أنها تسبني وهي إنما تسب مذمما ولست مذمما إنما أنا محمد.

كانوا يحاولون تشويه اسم النبي لأن اسم محمد اسم جميل يسمونه بعكس اسمه محمد عكسها مذمم، فكان النبي يقول إنهم يسبون شخصا آخر ولست أنا، هكذا كان النبي يستقبل هذه الأمور.

أي واحد في الدنيا ليس عنده إيمان بالله لا تهون عليه الصعاب، صعبة جدا شاقة، لأنه يفسر تفسيرات مادية، أما المؤمن أي صعاب يتعرض لها يعلم أن فيها أجرا، ويعلم أن فيها سعادة، ويعلم أن الطريق إلى مرضاة الله ابتلاءات وهكذا.

عجبا لأمر المؤمن:

اسمعوا إلى قول رسول الله (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن إصابته سراء (نعمة) شكر فكان خيرا له، وإن إصابته ضراء صبر فكان خير له)

إذًا أنا في النعمة أعلم أن هذا عطاء الله، وعطاء الله يستلزم الشكر والثناء، والعطاء للمحتاجين من خلقه، أما إذا منع الله عنه فهو يعلم أن الله منع عنه ليربيه، وليبتليه هل يصبر؟ هل يحتسب؟ هل عنده ثقة في الله أم تزعزع إيمانه بالله؟

فهو يعلم أن كلا الأمرين فيهما خير، (السراء والضراء) كلا الأمرين هو مثاب فيهما، لذلك قال الرسول ﷺ: **(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير)**

هذه هي السعادة تواجه المخاطر والآلام والصعاب والشدائد، وقلبك معلق بالله، أما التفسيرات المادية البحتة وتفسير الأمور على أنها: الحظ التعاسة الشقاء أحوال السوق التعب الغلاء كذا، هذه كلها تفسيرات مادية لكنها تؤدي إلى المعيشة الضنك فتضيق الحياة أمامك، وتسود الدنيا في وجهك.

كمْ من شخص قرأنا عنه في الإعلام أنه لما أحاطت به الديون انتحر، لما اشتد به المرض انتحر، لما عاش قصة حب فاشلة انتحر، لما فشل في التجارة انتحر ... انتحر لماذا؟

لأن القلب فارغ من الإيمان بالله، القلب ليس عامرا بالإيمان بالله، لا يفهم ما هي الدنيا، ظن أن الدنيا أن يتعب قليلا ويسعد كثيرا، وهذا خطأ؛ الدنيا مراحل كل مرحلة فيها متاعب، متاعب وصعوبات ثم راحة متاعب وصعوبات ثم راحة، تأمل مرحلة الطفولة وما فيها مرحلة الشباب وما فيها مرحلة الكهولة، ثم الشيخوخة، وهكذا كل مرحلة فيها متاعب، ومصاعب.

فكلما زادت الآلام والمتاعب، والاختناق على الجسد فإن الروح تميل إلى الله، فهنا تولد عندك الطاقة الإيجابية، ويدفع عنك الطاقة السلبية، ويجعلك تفكر في الأمور بنحو آخر.

والمؤمن يرى الدنيا بخلاف ما يراها الناس، المؤمن يفهم سنن الله وقوانين الله بخلاف ما يراه الناس.

ولذلك كان بعض السلف يقول والله إنا لفي سعادة لو علمتها الملوك لقاتلتنا عليها بالسيوف.

لماذا؟ لأن الملوك يبحثون دائما عن الراحة والنعيم، فهم يبحثون عن كل أسباب الرفاهية فهو يقول: إنا لفي سعادة يقصد قربه من الله، وطاعته لله- عز وجل-، وأنه دائم الإقبال على الله إذا ضاقت به الدنيا فإنه يقول: يا رب يا رب، يلجأ إلى الله- سبحانه وتعالى-

أتريد أن ترى صاحب العيشة الضنك؟

سوف تجده في إنسان عاص فاجر تارك للصلاة ظالم لعباد الله عاق لوالديه قاطع لرحمه معترض على قضاء الله يلهث وراء المادة حينها تجده يعيش مهزوما مفتونا حائرا قلقا لأن الذي يملك السعادة هو الله وحده، فإذا أغلق الإنسان الباب الذي بينه وبين الله وقطع الحبل الواصل الذي يصله بالله فمن أين تأتيه السعادة؟

وسوف تشاهد في حياتك أهل العيشة الضنك الذين أعرضوا عن الهداية وألغوا المسجد من حياتهم والسجود لله، وهجروا القرآن وارتكبوا ما يسخط الله، وقد يجمع أحدهم مالا كثيرا ويملك ثروة هائلة ويجمع دورا وقصورا، لكنه في غم دائم وحزن مستمر.

ولا يفهم من هذا أن الأغنياء والأثرياء دائما أشقياء، بل كم من غني ومؤمن صادق وعابد منيب يسكن قصرا مشيدا، وكم من فقير ممزق الثوب مفلس من المال وهو عدو لله، فالميزان ليس كثرة المال أو قلته أو فخامة المسكن أو بؤسه أو علو المنصب أو دنوه، إنما الشأن في قلب هذا الإنسان، في ضميره، وفي إرادته.

فالسعادة تأتي من النفس المطمئنة المؤمنة، والشقاء والمعيشة الضنك تنطلق من قلب جاحد، ومن ضمير خاوٍ، ومن إرادة فاشلة.

اقرأ قصصا عالمية لأثرياء وأغنياء جمعوا المليارات والبنوك، ومنهم من انتهى إلى الانتحار أو المرض النفسي أو الهستيريا والهذيان وفقد العقل؛ لأنهم فقدوا البوصلة التي تدلهم على السعادة والحياة الطيبة المتمثلة بالإيمان الصادق والقناعة، واستقامة الضمير، والقيام بالحقوق، والواجبات، وإعطاء كل ذي حق حقه، لا تبحث عن السعادة في جمع الدولار والدينار واليورو والريال والدرهم، فإن كبار أغنياء العالم يملك الواحد منهم من الثروة ما لا تملكه دولة من الدول، لكنه جمعها من الربا والغش والنصب وغسيل الأموال، وهو مع ذلك محارب لله مكذب لرسله، معرض عن طاعته، فأين السعادة إذن؟ ولا تظن السعادة أن تسكن قصرا أو برجا عاجيا أو حديقة غناء، فقد سكنها قوم وملكها أناس، لكنهم لما أخطأوا طريق السعادة، حرموا الحياة الطيبة وعاشوا أشقياء بكدر وانزعاج حتى أتتهم القاضية، وفي المقابل وجد السعادة أناس يسكنون الخيام، وينامون على الحصير ويأكلون خبز الشعير، لكنهم ما بين سجدة وتلاوة ودعاء وقناعة وصبر وشكر، فعاشوا سعداء وماتوا راضين عن الله، والله راض عنهم.

الخلاصة:

-الحياة السعيدة سببها الاتصال بالله عز وجل.
-والمعيشة الضنك سببها الإعراض عن الله جل جلاله.

****

قوانين السعادة

(4)

الرضا

جنة الدنيا

(4) الرضا جنة الدنيا

نتكلم عن قانون جديد من قوانين السعادة؛ وهو: **السعادة في الرضا.**

هل أنت فعلا راضٍ عن حياتك؟

كلا لست راضيا عنها.

هذا طبيعي لأنك في الدنيا ولست في الجنة، لأن الرضا التام في الجنة لأنها دار لا نقص فيها ولا تعب ولا غم ولا مرض ولا موت.... سماها ربنا سبحانه وتعالى: **(دار السلام)**، لكن الدنيا دار الابتلاء والاختبار، ووجودنا فيها مؤقت، ولا يوجد أحد من أهل الدنيا نال كل شيء فيها؛ حتى خيرة خلق الله من الأنبياء وعلى رأسهم النبي ﷺ؛ بل قد شدد الله عليهم في الابتلاء أكثر من غيرهم، ليكونوا قدوات لنا.

فالسعادة في الدنيا ليست بكثرة ما أعطاك الله إنما في الرضا عن الله وبما قسمه لك (القناعة)، وأن يكون لدى المسلم ثقة في أن الله لا يظلم عباده شيئا، ولسان حاله أنا واثق يا رب من قسمتك لأني لا أستطيع أن أدرك كل شيء، وهذا هو الإيمان الحقيقي: الاستسلام لله والرضا عن أقداره سبحانه وتعالى وعما قسمه لك.

والنبي ﷺ قال :(إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ – عز وجل – إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ)

وقال النبي ﷺ: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا)

وقيل ليحيى بن معاذ :متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟

فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول:

1- إن أعطيتني قبلت.

2- وإن منعتني رضيت.

3- وإن تركتني عبدت.

4- وإن دعوتني أجبت.

ولذلك نجد الأمام ابن القيم في مدارج السالكين يقول: إن الرضا هو أعلى درجات التوكل على الله وثمرة من ثمار محبة الله.

وقيل للحسين بن علي رضي الله عنهما: إن أبا ذر رضي الله عنه يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة.

فقال: رحم الله أبا ذر .أما أنا، فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له.

وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافي :الرضا أفضل من الزهد في الدنيا. لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته.

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما: أما بعد، فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

إذن قضاء الله وقسمة الله لأرزاق العباد كل ذلك نافذ على الجميع ففز بالرضا.

وليس معنى كلامي التواكل أو الدعوة للكسل، وندخل في الجبرية؛ كلا أنا أقصد أن تأخذ بالأسباب كما أمر الله، ثم ترضى بقسمة الله لك، فلا تسخط.

قصة رجل أراد بيع بيته:

أراد رجل أن يبيع بيته فذهب لمكتب متخصص في السمسرة، وقام المكتب بتصوير البيت وغرفه وموقعه، وقام بعمل وصف للبيت، فلما رأى صاحبنا صور بيته والوصف قال له باندهاش هذا بيتي؟!! كلا لا أريد بيعه.

لما اعتاد النعمة وألفها لم يعرف قيمة النعمة... وكثير من النعم لأننا ألفناها واعتدنا عليها لا نلتفت إليها.

ودائما الإنسان فينا ينظر إلى ما أخذ منه، لكن لا ينظر كم أعطاه الله عز وجل ولذلك العلماء قالوا لا تنظر ماذا فقدت لكن انظر كم وجدت؟

في قصة موسى والخضر، نبي الله الخضر في هذه القصة يمثل قدر الله الخفي، فهنالك من أقدار الله الخفية التي لا يدرك الإنسان ما وراءها وحقيقتها لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، لكن الإيمان بالله جل وعلا يجعلك مستسلما راضيا بما قضى الله وقدر، جاء في هذه القصة المباركة ثلاثة مشاهد تبين حكمة مخفية وراء كل حدث، وطبعا الأحداث نعرفها وهي:

5- مشهد ركوب السفينة وخرقها.

6- مشهد قتل الغلام.

7- مشهد الجدار وهدمه ثم بنائه مرة أخرى.

فهذه الحالات الثلاث لو أخذنا بظاهرها فلكل أحد أن يقف موقف موسى منها بالإنكار على الخضر، كيف لك أن تركب سفينة ثم تحدث بها عيبا وقد أحسن الناس إليك فهذا شر في مقابل الإحسان؟!

وكيف تقتل نفسا زكية طفلا صغيرا غلاما لم يبلغ الحلم، ولم يجر عليه القلم تقتله بدون وجه حق؟!

أيضا أهل القرية، وهم أهل لؤم وبخل رفضوا أن يضيفوا موسى والخضر رغم أنهم غرباء عن المكان فلم يعطوهم ولو قليلا من الطعام، ثم يقوم الخضر بهدم جدار بالمدينة ثم يبنيه فيقول له موسى: **(لو شئت لاتخذت عليه أجرا)** [الكهف/77]

ثم تأتي الآيات بعد ذلك على لسان الخضر ليفسر لنا حكمة الله التي خفيت عن موسى والتي تخفى عنا في كثير من أقدار الله عز وجل.

وهذه المسألة مهمة جدا لأن القضاء والقدر يحتاج إلى الثقة والإيمان بالله، واليقين بالله سبحانه وتعالى.

قصة شاب من دمشق:

سمعت قصة للشيخ راتب النابلسي قال: كان عندنا شاب في قرية من قرى دمشق وكان يدرس الطب في جامعة دمشق، ويسافر يوميا إلى الجامعة للدراسة، وهذا الطالب كان ضعيف البنية، فركب يوما سيارة أجرة ليذهب للجامعة وفي الطريق اعترض طريق السيارة شبحي (بلطجي) فسأل السائق : عندك مكان؟ قال له :لا ، فلمح الشبيح الطالب بعينه فحمله باستخفاف، وقام برميه خارج السيارة وركب مكانه، وبكى هذا الشاب كثيرا لهذا الموقف لأنه أحس بضعفه وانكساره ، وجاءت سيارة أخرى بعد ربع ساعة تقريبا، وركبها ، وبعد ستة كيلومتر رأى منظرا بشعا، فقد انقلبت السيارة التي كان يركبها واشتعل الحريق فيها!!!

فلو تأملنا لعلمنا أن هذا الشبيح جاء لينقذه من الموت وأن ما حدث له من قهر وظلم كان لطفا من الله تعالى بهذا الشاب.

وتأملوا قول النبي -ﷺ-" واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك"

فليس عندنا في الإسلام شيء اسمه الحظ والنحس بالمفهوم الشائع، إن فلان له حظ اليوم أو هذا شهر حظه ...الخ من كلام الناس، أو أن هذا نحس، هذا اليوم أو الرقم أو البيت أو الشارع الفلاني نحس ...الخ، فيعلقون الأشياء بالحظ والنحس وهذا كله خلل بالعقيدة؛ لأن كل شيء يحدث إنما يحدث بتقدير وتدبير من الله عز وجل.

أقدار الله لا تخلو من حكمة:

لا ينبغي أن يخفى علينا أبدا أن كل شيء يحدث في الكون لله فيه تقدير وتدبير وحكمة، **قال تعالى: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)** [الملك/1] بيده الملك جل جلاله، فلا تخلو أوامر الله من حكمة، ولا تخلو نواهيه عن حكمة، ولا تشريعاته ولا أقداره عن حكمة.

تسأل نفسك :لماذا اشتغلت في الشركة الفلانية؟ لماذا تزوجت فلانة؟ لماذا أصبت بكذا؟ .... الخ

ربما ساعتها لا تدرك الإجابة ولا تحيط بها علما تماما كموسى، لكن بعد أن يمر الوقت ترى أن الله جعل في هذا الشر الظاهر خيرا كامنا، وأنت لا تدري.

وقد نسمع بعض الناس يقول: ليه يا رب كده؟ وهذا طبعا لا يجوز، لكن من يقولها إنما يقولها بوسوسة من الشيطان حتى يوقعه في السخط على الله ولا يشكره على نعمة من نعمه **(ولا تجد أكثرهم شاكرين)** - [الأعراف/17]

فتسمع أحدهم يقول: يا رب أنا لم أخطئ في حق أحد، أنا لم أظلم أحدا؟

لماذا يحدث لي كل هذا؟

هذا على وفق علمك القاصر، وعلى وفق ما تراه عيناك.

لكن الله سبحانه وتعالى يجعل أحيانا فيما يقدره لك من شر دفعا لشر أكبر.

فكلنا نحتاج أن نحقق السعادة بالرضا عن الله وبالثقة في الله عز وجل.

****

قوانين السعادة

(5)

كن

حكيما لا تتهور

(5) كن حكيما لا تتهور

معنى الحكمة:

الحكمة ليس معناها أن تكون فيلسوفا تقول الحكم كما يظن البعض لأول وهلة، إنما الحكمة هي الإصابة في القول والفعل.

يعني ألا يكون الإنسان متهورا أو عنده سرعة وعجلة وطيش في الأمور.

الإنسان من طبعه العجلة:

الله جل وعلا وصف الإنسان أنه عجول **(...وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)** [الإسراء 11]، ومعنى عجولا يعني من طبعه العجلة، السرعة، يريد الأمر بمنتهى السرعة، إذا اشتهى أمرا يريده، فديننا يعلمنا أن المسلم يغالب هذا الطبع بالحكمة، والتأني والنظر في الأمور، حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه، فمن الحكمة التأني، والأناة من الرحمن، والعجلة من الشيطان.

وكم من الناس أتعسوا أنفسهم بالعجلة والتهور؟ وكم من الناس خربت بيوتهم باستعجال الأمور وعدم الحكمة بالتهور؟

ولذلك رب العالمين قال (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ...) [البقرة: 269]

الحكمة والسعادة في الحياة اليومية

- في التعامل مع الناس :الحكيم يزن كلماته وأفعاله، فلا يندم على ما قال ولا يجرح مشاعر الآخرين، فينعم براحة البال.
- في مواجهة المصاعب :الحكيم ينظر إلى الشدائد على أنها دروس، فلا ينهار ولا ييأس، بل يخرج منها أقوى.
- في اتخاذ القرارات :الحكيم يوازن بين الدنيا والآخرة، بين العاجل والآجل، فيعيش حياة متوازنة تحقق له الطمأنينة.

أنواع الحكمة:

الحكمة نوعان:

1- وهبي من الله.

2- **كسبي يكون بالتعلم.**

فأما ما هو من الله فهذا أمر ينعم الله به على من شاء كما ذكر في بعض الآيات عن الأنبياء أن الله تعالى آتاه الحكم ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 22]

و ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]

فالحكم هنا العلم الذي يحكم به الأشياء فيمنع من حدوث الضد.

وهناك آيات كثيرة في هذا المعنى أن الله هو الذي ينعم على الأنبياء بنعمة الحكمة والعلم.

والأخوة اللبنانيين يسمون الطبيب "حكيم " لأنه بطبه أو بعلمه يمنع انتشار المرض.

أما نحن فكيف نكتسب الحكمة؟ اكتساب الحكمة يأتي بعدة أمور:

أولها: تقوى الله سبحانه وتعالى

وما علاقة التقوى بالحكمة؟

الحكمة من معانيها أن ترى الأمور ببصيرة، أي ترى الأمور على حقيقتها دون أن يكون هناك غشاوة تمنع من الرؤية الحقيقية وحتى ترى الأمور ببصيرة تحتاج إلى أن تكون من أهل الطاعة والتقوى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: 28]

فيجعل الله لك بالتقوى بصيرة وانكشاف للأمور، فتكون الرؤية واضحة، لا غشاوة ولا غبش ولا وقوع في فتنة ولا انشغال ببدعة ولا شيء من هذه الأمراض والحمد لله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: 29]

أي برهانا واضحا ظاهرا تفرقون به بين الحق والباطل.

ثانيها: تجارب الحياة

فحكمة الشيوخ -أقصد كبار السن – غير حكمة الشباب، فكلما كبر الإنسان كلما ازداد عقله وازدادت خبرته ومعرفته بالحياة، والأيام والليالي والمواقف والأحداث تعلم الإنسان بما فيه الكفاية.

ولما تستمع لشخص عنده ستين سنة، تجد عنده تجربة في الحياة وحكمة وبصيرة بخلاف ما تستمع لابن العشرين مثلا؛ فتجارب الحياة جزء كبير أو معلم كبير للحكمة.

ثالثها / مجالسة أهل الحكمة

أيضا من أسباب اكتساب الحكمة أن تجالس أهل الحكمة، فمجالسة الصالحين، ومجالسة العلماء، ومجالسة من ينتقون الكلام، هؤلاء يجعلونك ممن تكتسب الحكمة.... فالطبائع تعدي، ومجالسة الناس تجعل في الإنسان تأثرا، كما قالت العرب قديما: الصاحب ساحب، ومن جالس جانس.

من يجالس أهل الإيمان يغلب على لسانه هذه الرؤية واللسان الطيب ومن يجالس أهل المعصية يغلب على لسانه اللغو والرفث والكذب .... فالطبائع تعدي.

وكان عمر بن الخطاب يقول: إن من طيبات الدنيا أن تجالس أقواما ينتقون الكلام كما ينتقى أطايب الثمر.

هذه أهم أسباب اكتساب الحكمة:

1- **تقوى الله فيحقق الله لك البصيرة.**

2- **خبرات وتجارب الحياة.**

3- **مجالسة الحكماء والعلماء ومن عندهم البصيرة.**

الحكمة في الدعوة إلى الله عزو جل

قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]

هذا سبيل الله؛ لكن الدعوة إليه بطيش أو تهور قد تؤدي إلى النفور كما قال النبي ﷺ: **"إن منكم منفرين".**

قد تجد بعض الدعاة لا يقصد تنفير الناس ولا صدهم عن سبيل الله؛ إنما أراد أن يدعو الناس إلى الله، لكن بدون حكمة.

قال الشيخ الشعراوي- رحمه الله-: النصيحة مرة وثقيلة على النفس، وكثير من الأنفس لا تتقبل النصيحة لثقلها ومرارتها، وحينما يكون الدواء مرا، فإنه يوضع في كبسولة جيلاتينية، فأول ما تبتلعها لا تشعر بمرارتها بل وربما يضيفون لها مذاق بطعم السكر، حتى تستطيع بلعها، لكن الفائدة في الدواء المر الذي بداخلها؛ فكذلك النصيحة غلفها بالسكر، غلفها بالبسمة، بالكلمة الطيبة، فيكون الذي أمامك أسرع في الاستجابة وأدعى لقبوله كلامك.

الحكمة في الألفاظ والكلمات:

من نعم الله على العبد أن يرزقه حلاوة اللسان، والحكمة في الكلام إذا تكلم وفي السكوت إذا سكت، فإذا تكلم تكلم بالخير وإذا سكت سكت للخير، كما **في الحديث " رَحِمَ اللهُ امْرءًا تَكلَّمَ فغَنِمَ، أو سَكتَ فسَلِمَ"**

و "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت".

و "إنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِن رضوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جهنَّمَ".

سبب إسلام خالد بن الوليد:

الرسول ﷺ ذكر عنده خالد بن الوليد، وكان لا يزال على الشرك فقال: قد كنت أظن أن لخالد عقلا سيأتي به.

وكان له أخ اسمه عمارة سبقه بالإسلام، فأرسل عمارة بالكلمة لأخيه خالد فشرح الله صدره للإسلام، وجاء المدينة سنة 7هـ ليعلن إسلامه.

قصة ابن مسعود مع المغني زاذان:

كان هناك مغنيا اسمه زاذان، وذات مرة سمع عبد الله بن مسعود صوته فقال ما أجمل هذا الصوت لو كان بكتاب الله عز وجل!!

فسبحان الله العظيم بلغت الكلمة زاذان المغني، فوقعت في قلبه موقعا فتاب إلى الله وكسر آلات الطرب وفارق مجالس اللهو وصار من أهل القرآن فعلا.

ولما سئل العباس عم النبي ﷺ أنت أكبر أم النبي؟ قال هو أكبر مني وأنا ولدت قبله.

وكان عمر بن الخطاب ذات مرة مقبلا على قوم أشعلوا نارا في الليل يستدفئون بها فقال السلام عليكم يا أهل الضوء.

كره أن يقول يا أهل النار.

ورحم الله الإمام الذهبي له كتاب اسمه **(سير أعلام النبلاء)** كان يؤرخ فيه للعلماء والناس في زمانه فمما قال **:(وله بعض السيئات تغمر في بحر حسناته.)**

فرمز للسيئات بالشيء الذي لا يذكر ورمز للحسنات بالبحر إشارة إلى الخير الكثير سبحان الله.

على النقيض: بعض الناس لا يجيدون الكلام ولا يعرفون كيف يتكلمون:

أحدهم كان يزور مريضا فقال له مم تشتكي؟ قال عندي كذا وكذا، قال نفس المرض الذي مات به أبي.

وهذا آخر كان يزور أحد الناس عنده ألم في الركبة وأجرى عملية جراحية، قال سمعت أجدادنا يقولون: وداء الركبتين ليس له طبيب!

في أي شركة تعمل؟ شركة كذا. أنا سمعت أنها ستفلس!!

أين ستلد زوجتك؟ في المستشفى الفلاني. أنا سمعت أنهم يقتلون الأطفال.

وهذا مزاج سوداوي عجيب تراه في بعض الناس لا يرى إلا الصورة السوداء القاتمة.

الخلاصة

من أراد السعادة الدائمة، فليحرص على التحلي بالحكمة؛ فهي مصباح يهدي القلب والعقل، وميزان يزن به الإنسان دنياه وآخرته.

فمن ملك الحكمة، ملك راحة النفس وسعادة القلب.

****

قوانين السعادة

(6)

كن

حليما لا تغضب

(6) كن حليما لا تغضب

الغضب، انفعال طبيعي، قد يكون له دور في بعض الأحيان، لكن عندما يتحول إلى حالة مستمرة أو رد فعل مبالغ فيه، يصبح سجنًا يقيد الروح ويحجب نور السعادة؛ فهو يستهلك طاقتنا، ويشوه رؤيتنا للعالم، ويدمر علاقاتنا.

عندما نستسلم للغضب، نصبح عبيدًا له، تدفعنا انفعالاتنا دون وعي، ونفقد القدرة على اتخاذ قرارات عقلانية وحكيمة.

تَمُرُّ بالإنسان مواقفُ كثيرةٌ في حياته؛ في بيته وأسرتِه، ومسجده وعمَلِه، في سوقه وطريقِه ووظيفتِه، مواقفُ قد يتعرض فيها للإساءة والاسْتِفزاز، أو سبٍّ أو شتم أو قلةِ أدَبٍ واحترام؛ مما يجعله يغضب، ولو اتَّبَع الإنسان غضبه لَأَوْقَعَه في الهلاك؛ لأن الغضب أساسُ كثير ممَّا نعيشه من المشكلات:

4- فكم من رجل طلَّق زوجته ثم يعتذر بعدها بأنه كان في لحظة غضب!
5- وكم من رجل اعتدى على أخيه بالسَّبِّ والضرب، ثم يعتذر بعدها بأنه كان غاضبًا!
6- وكم من إنسان في السجون بسبب جريمة القتل، ولو سألته عن السبب لقال: كنت في لحظة غضب!

فاحتاج المسلم إلى هذا الخُلُق الكريم؛ لكي يَحدَّ من شرِّ الغضب ويُوقفَه، ويَمنعَه ويحبِسَه، ويقابلَ من أساء إليهِ بالإحسان، ويقابلَ من جهِل عليه بالسلام، ويعفوَ ويتسامحَ، ويتجاوزَ ويتصافح.

والله سبحانه وتعالى قال في وصف عباده المتقين: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) (آل عمران: 134).

وكظم الغيظ المقصود به هنا حبس آثار هذا الغضب، لأن الإنسان حينما يغضب ينفعل، ويتدفق الدم في الشرايين بصورة عالية ويصل إلى الرأس فيغلي، فيؤدي إلى انفلات الأعصاب وإطلاق اللسان والسب ...الخ.

وجاءَ جاريةُ بنُ قدامة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: (يا رسول الله، أَوْصِنِي، قَالَ: لا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: لا تَغْضَبْ)

يعني هو يريد وصية ثانية فردد النبي ﷺ قال: **(لا تغضب)**. فلما أعاد مرة ثالثة، قال: **(لا تغضب ولك الجنة)**.

ما معنى ذلك؟

أي تحكم في نفسك عند غضبك، فالغضبان قد يصل إلى ارتكاب أفعال فيها حماقة، يحدث بعدها ما يحدث من خراب بيت بالطلاق، أو بالاعتداء على نفس بالضرب أو القتل، أو بإتلاف شيء أو ما شابه ذلك.

فإذا ملكت لسانك، وملكت جوارحك عندما تغضب، فإنك بذلك تنجو من آثام وكبائر ربما تقع فيها بسبب غضبك، فتؤدي بك إلى غضب الله عز وجل.

فإذا نجوت من هذا الفعل السيء، فإنك بذلك تكون من أهل الجنة. **"لا تغضب ولك الجنة".**

أنواع الغضب:

والغضب منه ما هو محمود، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مذموم.

1- الغضب المحمود

الغضب المحمود هو غضب رسول الله "ﷺ، لأنه كان إذا غضب لا يغضب لنفسه، إنما يغضب إذا انتهكت محارم الله.

وكان النبي ﷺ بين حاجبيه عرق يدره الغضب (يعني عرق هنا إذا غضب ينتفخ) فكان إذا غضب احمر وجهه، وظهر هذا العرق، فكان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، وله في ذلك مواقف عديدة، مثل غضبه على أسامة لما جاء يستشفع له في المرأة التي سرقت، **وقال "ﷺ: "لقد هلك من كان قبلكم، إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد".**

2- الغضب المباح

الغضب المباح هو الغضب الطبيعي: إذا اعتدي عليك أحد، إذا أُوذيت، إذا أُخذ حقك، إذا وجدت استخفافًا بك من بعض الأشخاص، فمن الطبيعي أن تغضب، لكن ليكن هذا الغضب غضبا عاقلا؛ لا يصل بك إلى مرحلة ارتكاب الحماقات، وتقع في أمور تندم عليها.

3- الغضب المذموم

7- غالب الحوارات بين الزوجين فيها حدة وغضب شديدين تؤدي إلى خراب البيت.

8- عندما يسبك أحدهم مثلاً فتسبه أضعاف ما سبك.
9- عندما يستفزك أحدهم فتعتدي عليه فتحدث له إصابة، أو ربما يصل الأمر إلى القتل.

ولذلك النبي ﷺ لما استب رجلان أمامه (استبوا يعني شتموا بعض) فرأى أحدهما وقد احمر وجهه وانتفخت أوداجه (عروق الرقبة في الجانبين انتفخت علامة على الانفعال الشديد) فقال النبي "ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد". قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

هذه حالات الغضب الثلاث: الغضب المحمود الذي يكون لله، الغضب المباح الذي تعبر فيه عن حقك، أوعن رأيك، تطالب بما سلب منك أو انتقص منك، ترد كرامتك، أما الغضب المذموم فهو أن تتجاوز حد الانفعال الطبيعي إلى حد الانفعال الذي فيه حماقة، فتقع في أمور كثيرة تندم عليها.

تعريف الحِلم

الحِلم هو :ضبط النفس عند الغضب، وكفّها عن الانفعال والاندفاع.

فالحِلم ليس ضعفًا ولا عجزًا، بل هو قوّة داخلية، وامتلاك زمام النفس ساعة الغضب.

ولهذا قال النبي ﷺ:**(ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (متفق عليه**

كيف تمنع نفسك من الغضب؟

1- التفكر في أجر الكاظمين الغيظ وما أعد الله لهم من المنزلة العظيمة.

باستحضار ما أعده الله تعالى للذين يكظمون الغضب، قال تعالى في ذكر أصناف أهل الجنة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]

أيضًا قول النبي ﷺ: (من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين فيزوجه أيها شاء).

2-الاستعاذة بالله من الشيطان:

قال ﷺ :(إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) متفق عليه.

3-السكوت:

قال ﷺ :"إذا غضب أحدكم فليسكت" رواه أحمد.

لماذا؟ لأن الكلمات والشتائم والسب والطعن وكل ما يخطر ببالك من نيل من خصمك (أيًا كان) سيأتي على بالك وعلى لسانك، والشيطان ينزغ، قل كذا ... لا تسكت، رد عليها، أدبها.. اضربها.

4-تغيير الحال:

قال ﷺ :"إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" رواه أبو داود

5-الوضوء:

قال ﷺ :"إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" رواه أحمد.

لماذا؟ لأن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار؛ فأنت مع الغضب يتدفق الدم في العروق فتحتاج إلى أن تهدأ، الماء البارد يهدئك، يلطف حرارة جسمك، فلا يتسلط عليك الشيطان ويوجهك عند الغضب لارتكاب مالا تحمد عقباه.

6-اترك المكان:

هي ليست معركة أو مباراة لابد أن يكون فيها أحد الخصمين فائزًا.

إنه موقف كلا الطرفين فيه خسران! فإذا غضبت على زوجتك مثلا وحدثت مشادة كلامية فاترك البيت واخرج حتى تهدأ.

ربما أحد الزوجين عنده حماقة، ليكن الطرف الآخر عنده العقل فينسحب في الوقت المناسب حتى لا نقطع خط الرجعة، ونحاول حل المشكلة ومعالجة الأمور.

أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لزوجته: إذا غضبت فرضيني. وإذا غضبت أرضيك وإلا لن نصطحب.

7-تذكر العواقب:

فكم من كلمة أوقعت طلاقًا، أو فرّقت بين أخوين، أو أشعلت فتنة، كلها من لحظة غضب.

8-الإكثار من الدعاء أن يرزقك الله الحلم والسكينة:

وكان من دعاء النبي ﷺ :واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.) رواه مسلم

9-مخالطة الحلماء، فالأخلاق تُكتسب بالصحبة.

10-الحوار بين الطرفين:

المشاكل كلها تحتاج إلى الحوار، والهدوء، والشورى، وتحل بالحكمة.

ثمرات الحلم

1. محبة الله :لأن الله يحب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.
2. السعادة القلبية :الحليم يعيش مطمئنًا، لأنه يطفئ الفتن فيعيش في بيئة هادئة آمنة.
3. محبة الناس :فالحليم قريب من قلوبهم، محمود بينهم.
4. راحة البال والطمأنينة، فالغاضب يحرق نفسه بالندم والقلق، بينما الحليم يعيش ساكن القلب.
5. التخلص من أمراض الغضب: كالضغط النفسي والعصبية الزائدة.
6. الحِلم سبب للسعادة: لأن الحليم يملك زمام نفسه فلا يندم على كلمة أو فعل.

نماذج من الحلم

- **النبي ﷺ :لما جاءه أعرابي فجبذه بردائه حتى أثّر في عنقه، ثم قال: أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ثم أمر له بعطاء [متفق عليه].**
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه :لما قاتل رجلاً فصرعه، جلس على صدره، فبصق الرجل في وجهه، فتركه علي وقال: إنما قاتلتك لله، فلما بصقت غضبت لنفسي فتركتك.
- الحسن بن علي رضي الله عنهما :كان له غلام أخطأ، فغضب عليه، فقال الغلام: يا مولاي، إن الله يقول: **(والكاظمين الغيظ)** قال: قد كظمت غيظي.

قال: **(والعافين عن الناس).** قال: عفوت عنك.

قال: **(والله يحب المحسنين).** قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

- وشتم رجلٌ الشعبيَّ، فقال له: (إنْ كنتَ صادقًا فغفر الله لي، وإنْ كنتَ كاذبًا فغفر الله لك).
- ويروي عن الحسن أن رجلاً قال: إن فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.
- وقال رجل لحكيم يا قبيح الوجه فقال: ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه!!!
- وقال علي بن يزيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً
- وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر.

هذه النماذج تبين أن الحلم لا يعني ضعفًا، بل هو قوة حقيقية وسيطرة على النفس.

نسأل الله أن يرزقنا الحلم والعلم والتواضع وسعة الصدر

****

قوانين السعادة

(7)

كن

مفتاحا للخير

(7) كن مفتاحا للخير

من دعاء عباد الرحمن الوارد في سورة الفرقان: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: 74]، والكثير منا إذا قرأ هذه الآية أو سمع هذا الدعاء يظن أن **(واجعلنا للمتقين إماما)** يعني إماما في الصلاة فقط.

كلا؛ فإن الآية تشمل كل من كان قدوة يتبعه الناس في باب من أبواب الخير، فكما أن هناك إماما في الصلاة فينبغي أن نعلم أن هناك إماما في القرآن، وإماما آخر في التفسير، وفي الحديث، وفي التجويد، وإماما في فعل الخيرات، وإماما في الذكر، وإماما في السعي للصلح بين الناس، وإماما في كفالة اليتيم، وإماما في إطعام الجوعى والفقراء والمساكين، وإماما في البحث عن المرضى الذين لا يجدون العلاج فيعينهم.

إذن فكل من يتقدم إماما للناس لفعل خير فهو إمام **(اللهم اجعلنا للمتقين إماما)**

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" رواه الإمام ابن ماجه، وحسنه الألباني

في هذا الحديث قسم النبي ﷺ الناس قسمين:

-مفاتيح للخير.

-ومفاتيح للشرِّ

القسم الأول/ مفاتيح الخير

هؤلاء جعل الله وجودهم في الدنيا رحمة وخيرا وبركة وهداية للناس، يحبون الخير، ويبحثون عن أي باب فيه منفعة للناس فيبذلون جهدهم لفتحه، وتجد الواحد منهم ناصحا ومعلما وهاديا ومصلحا، فهو ساع بالخيرات لوجه الله، فهم الذين قال عنهم الرسول ﷺ **(خير الناس أنفعهم للناس)**

وتجد الرجل من هؤلاء الصنف ما تنافس الناس في خير إلا وكانت أقدامهم إليه أسبق وأياديهم إليه ممتدة؛ فهم أئمة في الخير.

القسم الثاني / مفاتيح الشر

هؤلاء الواحد منهم تجده داعيا إلى ضلالة أو بدعة أو ساعيا في ظلم؛ فهو إمام في البدعة، أو إمام في الضلالة والشر كما قال الله عن فرعون وجنوده **(وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون)** [القصص:41]

الآن سل نفسك من أي الفريقين أنت؟

مفتاح خير مغلاق شر؟

أم مغلاق خير مفتاح شر؟

ولاحظوا من كلام النبي - ﷺ- أن من فتح باب خير أغلق باب شر والعكس بالعكس:

- فالذي يدعو إلى التوحيد والإيمان بالله فهو يغلق باب شرك وإلحاد.
-الذي يفتح باب الحلال يغلق باب الحرام.
-الذي يفتح بابا للفضيلة يغلق بابا للرذيلة.
-الذي يفتح بابا للسنة يغلق بابا للبدعة.

والعكس بالعكس

-الذي يدعو إلى بدعة فقد أغلق بابا للسنة.
-من دعا إلى الحرام وحبب الناس في الرذائل فإنه يغلق باب الفضائل .... الخ

وقد جمع النبي ﷺ هذا المعنى في حديث آخر فقال: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)

فمن كان مفتاحا للخير تجده في اي مكان يحل فيه رحمة وبركة يبحث عن المصلحة، فيعلم وينصح ويهدي ويسارع بالخيرات ويقترح اقتراحا إيجابيا

وقد يقول كلمة طيبة، هذه الكلمة تكون سببا لبناء مسجد، أو سببا لبناء مستشفى، أو سببا لإنشاء مدرسة، أو سببا لإحياء لسنة.

سهيل بن عمرو ثبت الله به أهل مكة:

عندما وقع سهيل بن عمرو أسيرا في غزوة بدر اقترب عمر بن الخطاب من رسول الله ﷺ وقال :يا رسول الله.. دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبا بعد اليوم"..

فأجابه الرسول: ﷺ كلا يا عمر.. لا أمثل بأحد، فيمثل الله بي، وان كنت نبيا، يا عمر.. لعل سهيلا يقف موقفا يسرك غدا!!..."

وعندما حدثت فتنة الردة بعد وفاة الرسول ﷺ وقف سهيل عليهم خطيبا فقال

يا أهل مكة، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد بعد موت النبي ﷺ

فثبت الله أهل مكة بكلامه.

ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى:

كان زاذان مغنياً.. صاحبَ لهو وطرب فمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بمكان كان يغني فيه زاذان، **فقال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.. ثم** مضى.. فقال زاذان لأصحابه: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن مسعود.. قال: صاحب رسول الله ﷺ؟!!

قالوا: نعم.. قال زاذان.. فألقى في نفسي الَّتوبة، فسعيت أبكي، وأخذتُ بثوبه، فأقبل علي فاعتنقني وبكى، وقال: مرحبا بمن أحبه الله، ثم لازم زاذان ابن مسعود حتى تعلم القرآن.. وصار إماماً في العلم.

فنلمس من هذه القصة أثر كلمة ابن مسعود في زاذان، بالرغم أن ابن مسعود قال كلمة بسيطة ولكن انظروا مدى تأثر ذلك الشاب بها.
وفي هذا درس لنا أننا نحرص على حسن اختيار الألفاظ مع العصاة الذين يرجى منهم الخير.

سبب تأليف البخاري لصحيحه:

يذكر العلماء أن البخاري سمع شيخه إسحاق بن راهويه يوما يقول: "لو جمعتم كتاباً مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ"، قال: "فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح"

أبو حنيفة والشعبي:

كان أبو حنيفة تاجر قماش يبيع في السوق، فمر ذات يوم بالشعبي، وهو تابعي فقيه ومحدث؛ فقال له: إلى من تختلف؟ (يقصد من تذهب إليه؟)

فقال: أختلف إلى فلان.

قال: لم أعنِ إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء.

فقال: أنا قليل الاختلاف إليهم.

فقال له الشعبي: عليك بالنظر إلى العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك ذكاء وفطنة.

قال أبو حنيفة: فوقع في قلبي من قوله، فأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله.

انظر ماذا يقولون؟

وعلى النقيض من ذلك من يتكلم بالكلمة فيها شر وأذى..... وللأسف نحن في زمن صار الناس يطربون للفضائح، والخوض في الأعراض، وهتك أستار الناس وحياتهم الشخصية ....

يا أخي الحبيب اذكر الخير فينتشر ودع الشر فيندثر .

وأحيانا ينشرها البعض مستنكرا يقول: انظر ماذا يقولون؟

اسمع لهذا المقطع الذي فيه فضيحة أخلاقية لفلان أو فلانة ...

يا أخي هل تظن الناس على قلب أبي بكر الصديق؟

هناك من سيرى ويستنكر ويقول أعوذ بالله ....

وهناك من سيتلقفها مع ضعف إيمانه وربما وقعت الشبهة أو الشهوة في قلبه بسبب ذلك.

فانتبهوا إخواني فقد نساهم في نشر الشر دون أن نتعمده.

كن مفتاح خير مغلاق شر

اذكر الخير واحرص عليه وانشره، فإذا رأيت شرا فاطوه وأمته بعدم ذكره ، وإذا وجدت نقصا في عمل من أعمال الخير فانصح برفق ولطف أو مد يدك معينا لهم ، بعض الذين لا يجيدون إلا النقض (وليس النقد) إذا وجد نقصا في عمل خير سلق الناس العاملين به بلسان حاد ويتهمهم في ذمتهم ودينهم ونواياهم ، ويكيل لهم الاتهامات بلا دليل ، فكن يا أخي مفتاحا للخير

وتعاون في كل باب فيه خير، وقدوتك في ذلك أمامنا المعصوم حينما شارك قبل البعثة في حلف الفضول الذي تعاهدوا فيه على نصرة المظلوم ، حتى أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال بعد أن أكرمه الله بالنبوة والرسالة: (**لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان، ما أحبّ أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت)**

ولسان حالنا ما قاله الشاعر:

أنا نفس محبة كل خير كل شيء حتى صغير النبات

فكونوا عباد الله مفاتيح الخير مغاليق الشَّرِّ

تفلحوا وتسعدوا في الدُّنيا والآخرة،

وتُسعدوا غيركم وتنالوا رضا ربِّكم.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتِّباعه،

ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه،

وأن يجعلنا هداةً مهتدين،

مفاتيح للخير مغاليق للشَّرِّ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

****

قوانين السعادة

(8)

الصلاة

قرة عين المؤمن

(8) الصلاة قرة عين المؤمن

ما معنى قرة العين؟

قرة العين لها معنيان:

المعنى الأول: من القرار والثبات:

قُرَّة العين: يُشتق معنى قُرَّة العين من كلمة "قرار"، والتي تعني الهدوء والطمأنينة، وأن ما يصيب المرء يسكن ويستقر به قلبه وعينه.

فهي تعني السعادة والفرح الشديد والطمأنينة، أو ما يسرّ به القلب وتقرّ به العين فلا تطمح إلى ما سواه.

وقد ورد هذا المعنى في قوله جل وعلا: **(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ)** [الفرقان:74]، يعني: هب لنا من أولادنا ومن أقاربنا وذرياتنا ما نفرح بهم فرحًا تقر به أعيننا؛ وذلك بأن تكون أمورهم حسنةً، ويفرح بهم الإنسان فرحًا تقر به عينه

فإذا كان الإنسان خائفا أو مضطربا سنرى عينه تزوغ يمينا وشمالا، وقد ورد هذا المعنى بشأن المنافقين فقال تعالى: **(فَإِذَا جاء الخوف رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كالذي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الموت)** [الأحزاب: 19]. فهؤلاء تدور أعينهم هنا وهناك لا تهدأ، إما من خوف، أو من قلق، أو من اضطراب، وهذا كله ينافي قُرَّة العين.

المعنى الثاني: الدمع البارد الناتج عن السرور:

ويُقال إنّها من "القرور" وهو الدمع البارد الناتج عن السرور والفرح، وتُستخدم هذه العبارة للدعاء لشخص بأن يرى ما يفرح قلبه ويسرّه كما في قولهم **"أقرّ الله عينه"**، أي جعل السرور سبب دمعته الباردة، وهي نقيض دموع الحزن التي تكون حارة.

إذن: قرة العين إما بمعنى ثباتها وعدم حركتها، وثبات العين واستقرارها

وجعلت قرة عيني في الصلاة:

يقول النبي ﷺ: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)

فكانت أسعد لحظات النبي ﷺ وهو في الصلاة **(وجعلت قرة عيني في الصلاة)**

والصلاة تنفرد عن باقي العبادات بأنها عبادة متكررة كل يوم ... فالزكاة مرة في العام، الصيام شهر في السنة، الحج مرة في العمر، لكن الصلاة عباده متكررة كل يوم خمس صلوات.

ولو تأملنا لرأينا أن كل العبادات فرضت بواسطة جبريل فينزل بالأمر من الله، ثم يقوم النبي ﷺ بتبليغ الصحابة، إلا الصلاة فقد رفع الله نبينا ﷺ إلى فوق سبع سماوات إلى سدرة المنتهى إذ يغشى السدرة ما يغشى، وفرض عليه الصلوات الخمس.

حكمة فرضية الصلاة ليلة الإسراء:

لما عُرِجَ به- ﷺ- رأى تعبُّد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يرقد، فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص.
وأيضًا كانت فرضيتها بغير واسطة إشارة إلى عظيم منزلتها، وسموّ مكانتها في الدين، وكيف لا وهي عماد الدين وأساس اليقين، ومنطلق التحرُّر من كل عبودية، إلا من العبودية لله وحده، والتخلص من كل ذلٍّ، إلا لربه وخالقه ورازقه،

الصلاة معراج المؤمن:

برغم أن هذا القول ليس بحديث، إلا إنه يصف بدقة الكيفيّة التي فرضت فيها الصلاة وحال العبد في صلاته، حيث أكرم الله عزّ وجلّ عبده ونبيه محمدًا - ﷺ- بالعروج إليه، وهناك عند سدرة المنتهى فرض عليه الصلاة وحيًا مباشرًا، وهي معراج المؤمن إلى ربه، ومدَدَ متصل بين الأرض والسماء، ففي الصلاة يعرج الإنسان بروحه، ويطوي فواصل البعد بينه وبين خالقه عزّ وجلّ، ولا يشعر بهذه الرحلة إلا من يكتمل خشوعه في صلاته، وبهذا يتحقق المعنى الحقيقي للصلاة وهي الصلة بين العبد وربه.

ولما كان الإسراء والمعراج للرسول ﷺ بالجسد والروح تكريمًا للنبي ﷺ، فإن ربَّ العالمين اختصَّ أمته بأن فرض عليها الصلاة في تلك الرحلة؛ لتكون عروجًا للمسلم بروحه وقلبه، وإذا كان الرسول ﷺ قد اقترب من ربه، فإن في الصلاة قربًا من الله تعالى قال تعالى:**(كلا لا تطعه وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) [العلق:19]**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ".

لأنك بمجرد أن تقول الله أكبر مستقبلا القبلة فأنت بذلك قد دخلت في مناجاة مع الله عز وجل كما في الحديث الإلهي:

يقول الله عز وجل: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) رواه مسلم.

إذن الصلاة التي فيها معنى السعادة هي الصلاة التي فيها خشوع لله عز وجل قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ **[البقرة: 45]**

قال ابن كثير (1/ 253) في تفسيرها: فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر، **كما قال تعالى: (اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر)** [العنكبوت/45]. ثم ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه أخوه وهو في سفر، فاسترجع، ثم تنحى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: **(واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)** انتهى .

والمعنى: أي مشقة الصلاة ثقيلة إلا على الخاشعين، فهي أحب ما تكون إلى قلوبهم، ولعلنا نجد بعض الناس إذا صلي لا يشعر ماذا قال ولا كيف صلى ولا كيف انتهى؟ فيشعر أنها ثقيلة!! وربما تسمع بعض الناس يقول: أروح أخطف أربع ركعات الظهر!!!

فالصلاة روحها الخشوع، ولو أردت أن تتذوق الصلاة اخشع فيها وتدبر الآيات.

الفرق بين الصلاة التي فيها خشوع والصلاة التي ليس بها خشوع دقيقتين لكن الأثر كبير.

فجعلها النبي ﷺ راحة ومستراح قلوب المؤمنين وفي سورة الحجر رب العزة قال لنبينا: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾ **[الحجر: 97-98]**، لأن النبي كان بشرا ويضيق صدره بما يقولون مرة مجنون ومرة شاعر ومرة كاهن فأوصاه الله بالتسبيح والصلاة.

فإذا ضاق صدرك فتوضأ والجأ إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال حذيفة: كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

حزبه الأمر: اشتد عليه.

علامات الخشوع في الصلاة

من علامات الخشوع:

1-أن الخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد خفّة من نفسه.
2- يشعر بأن أثقالا قد وضعت عنه.
3- يجد نشاطا وراحة وروحا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرّة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا.
4- يشعر كأنه كان في سجن وضيق حتى دخل فيها، فاستراح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم: **(يا بلال أرحنا بالصلاة)** ولم يقل أرحنا منها، **وقال: (جعلت قرة عيني بالصلاة)** فمن جُعلت قرّة عينه في الصلاة، كيف تقرّ عينه بدونها وكيف يطيق الصبر عنها؟

الآن الموضة أول ما يحصل له حاجة يجري الشخص على الفيسبوك ويكتب: ادعوا لي كثيرا!!!

سؤال: هل دعوت لنفسك؟ هل توضأت وصليت ركعتين؟ كلا.

إذن ادع أنت أولا وأقبل على الله قبل طلب الدعاء من غيرك، فأنت عبد لله ارفع يديك وقل يا رب.

وعن علي رضي الله عنه، قال: "لقد رأيتُنا ليلةَ بدرٍ وما منا إنسان إلا نائمٌ، إلا رسولَ الله ﷺ، فإنه كان يصلِّي إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح"

وعن حُميد بن عبدالرحمن بن عوف، عن أمِّه أم كلثوم بنتِ عقبة بن أبي مُعَيط، رضي الله عنها، وكانت من المهاجرات الأُوَل، في قوله تعالى:

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: 45]، قالت: "غُشِي على عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه غشية ظنوا أن نفسَه فيها؛ فخرجت امرأتُه أمُّ كلثوم إلى المسجد لتستعينَ بما أُمِرت أن تستعين من الصبر والصلاة، قال: فلما أفاق، قال: غُشِي علي؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم، إنه أتاني ملكانِ في غشيتي هذه، فقالوا :انطلِقْ نُحاكِمك إلى العزيز الأمين، قال: فانطلَقا بي، قال: فلقيهما ملَكٌ آخر، فقال: أين تريدانِ؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين، قال: فأرجعاه، فإن هذا ممن كتب لهم السعادة وهم في بطون أمهاتهم، وسيُمتِّع الله بَنِيه ما شاء الله، فعاش شهرًا ثم مات"

دعوت لك ملك الملوك:

وهذه قصة لأحد مشايخ السعودية والمشايخ في السعودية كانوا لوقت قريب لهم مكانة في المجتمع ولهم شفاعة مقبولة عند أولي الأمر.

فجاء أحد المصلين يبكي للشيخ قائلا: وقع علي ظلم في الشركة وبدل من أن آخذ ترقية أو آخذ مكافاة ظلمت ونقلت من المكان الذي أعمل فيه، فهل عندك واسطة – يقصد أمير أو مسؤول – تكلمه في شأني؟

فقال نعم عندي واسطة إن شاء الله في المساء أكلمه عنك.

وفي اليوم التالي ذهب الرجل لعمله فوجد المدير ينادي عليه وسمع منه قصته، وعلم أن هناك وشاية القصد منها إفساد سمعته وأنه رجل محترم وذو كفاءة، فعوضه وأعطاه الترقية التي كان يستحقها ومكافأة.

كل هذا والرجل يقول في نفسه متعجبا: هل الشيخ أوصى الملك نفسه؟

وفي المساء ذهب الرجل إلى الشيخ فرحا مستبشرا وقال له جزاك الله عني خيرا يا شيخ جزاك الله عني خيرا حدث كذا وكذا....

لكن بالله عليك أخبرني من هو الواسطة الذي كلمته لعلك حكيت مع الملك نفسه؟ فقال الشيخ كلا لم أتكلم إلى الملك ولكني قلت لك: أمهلني إلى المساء فتوضأت وصليت ركعتين ودعوت لك ملك الملوك جل جلاله الله بظهر الغيب فلعلها كانت ساعة إجابة.

قصة شيخ مع الفأر:

أحد مشايخنا رحمة الله عليه حكى لنا قصة حدثت له يقول: دخلت البيت بعد العشاء فوجدت فيه جلبه وحركة، فقلت مالكم يا أولاد؟ قالوا في فأر بالشقة!!

فقال لهم: ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة[8] ، أنا متوضئ فتوضأوا، ووقف إماما فصلى ركعتين، وبعد الصلاة سألوه ماذا نفعل؟

قال أنا جائع جدا فسخنوا الأكل، وهيا إلى العشاء، قالوا بنفس واحد والفأر؟ فقال لهم نحن قد صلينا، وبعد العشاء يحلها ربنا... أو نتفاهم مع الفأر في آخر الليل فسخنوا الأكل، وبينما هم يأكلون إذا بالفأر خارج من المطبخ يترنح، فقد كان المسكين مختبئا في البوتاجاز فلما شغلوا النار احترق واشتد عليه الألم، فخرج يترنح، فأخذ ضربتين على رأسه، وكفى الله أهل البيت من شره.

****

(8) ليست حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل هي قول مروي عن بعض السلف الصالح مثل العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، وقد صحح بعض العلماء روايتها عنهم، وهي تمثل معنى صحيحًا تدل عليه نصوص القرآن والسنة النبوية .

قوانين السعادة

(9)

استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان

(9) استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 4-5]

فالرؤيا تبين أن يوسف سيكون له شأن كبير في المستقبل فأوصى يعقوب ابنه يوسف عليهما السلام بعدم إفشائه لإخوته لكيلا يحدث شيء من الحسد؛ فدل هذا على جواز كتمان النعم، خوفاً من الحسد.

وفي نفس السورة: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: 67]

وذلك أنه خاف عليهم العين، لكونهم أحد عشر أخا أبناء رجل واحد، وإني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئًا قضاه الله، فما الحكم إلا لله وحده، عليه توكلت، وعليه وحده يتوكل المؤمنون.

والنبي ﷺ قال: (العين حق. وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر.)

أي ترى الجمل طول بقوة بضخامة؛ عين واحدة تصيب الجمل تدخله القدر يعني يقع في الأرض فيدركونه فيذبحونه، فيدخل القدر ليكون طعاما.

وتجد الرجل ما شاء الله صحة وقوة وشباب، فتصيبه العين فربما يموت من أثر هذه العين.

وورد في الحديث عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود). صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

معنى الحديث: النبي ﷺ يعلمنا الاستعانة بالكتمان في قضاء حوائجنا، لأن النعمة تجلب الحسد، فإذا علم الناس بأمرك قد يحسدك بعضهم، وقد لا يتم الأمر على وفق ما كنت تريد أو تخطط؛ فمن أجل هذا علمنا رسول الله ﷺ أن نستعين على قضاء حوائجنا بالكتمان، وليس كل ما نعرفه نخبر به وليس

كل الناس صالحا لأن تأتمنه على مشورة أو تأتمنه على مشروع أو على حياتك الخاصة وما شابه ذلك.

وقد ابتلينا في الفترة الأخيرة بالفيسبوك وغيره من وسائل التواصل وصار كثير من الناس عندهم هوس أن ينشر أحدهم حياته الخاصة على الفيسبوك، ومن المؤكد أنه لا مانع من نشر أخبار طيبة أو إنجاز أو وجهة نظر، لكن الإشكال فيمن ينشر حياته الخاصة كلها على الفيسبوك.

- الأخت تطبخ طبق من الحلوى تصوره وتنشر على الفيسبوك.
- صورة بالأحضان أنا وزوجي سندي في هذه الحياة.
- في عيد زواجنا هدية من زوجي حبيبي خاتم رائع جدا.
- هاتفي الجديد ...فستاني الجديد... عباءتي الجديدة.
- أول مرة اعمل مشاوي كباب هذا الصيف مع صورة للحم!!
- سافرت رحلة هي وزوجها تقول: أنا وزوجي ركبنا الطائرة الآن نزلنا من الطائرة... ركبنا السيارة .... نزلنا من السيارة ...طبعا بعدها هي وزوجها وعيالها في المستشفى، أو تجد البيت مليء بالمشاكل التي تصل للطلاق.

سألت الشرطة اللص كيف عرفت أن البيت خالي من السكان؟ قال: من الفيسبوك!!الرجل متابع المدام وعارف أن المدام ستسافر إلى أين ومتى وستقضي كذا وتفعل كذا... فاللص رتب أموره من خلال الفيسبوك.

ومن الممكن أن أحكي لكم عن وقائع رأيتها بعيني، منها أني رأيت على الفيسبوك أحد الإخوة صور رحلة للعائلة في مكان جميل، وأولاده في حالة من المرح والسعادة، وهممت أن أرسل له ليحذف هذه الصور خوفا عليهم من أعين الناس، لكني ترددت ولم أفعل لحكمة يعلمها الله، وفي اليوم التالي رأيته ينشر صورة أحد أولاده بالمستشفى انكسرت رجله!

ونشرت الصحف صورا للفتاة المتفوقة وهي الأولى على الثانوية العامة بمصر عام 2025 وبعد أسبوع نشروا خبر وفاتها!!!

وأمور كثيرة أخرى حصلت لناس تنشر على الفيسبوك وتفتخر وتتكلم، ولا يدرون أن هناك من يرى ويتأمل ويكبر الصورة ويفتح وينظر الى أثاث

البيت والستارة والملابس وساعة اليد بل والحذاء يفصل الصورة تفصيلا بدون أن يقول اللهم بارك ... وأنت غافل عن كل هذا.

فنصيحتي خلي صورك وذكرياتك، وأمورك العائلية خاصة بك أو خاصة بمن تحب ومن يحبك، إنما إطلاع العالم كله على حياتك الخاصة وعلى صورك الخاصة، وعلى رحلاتك، وعلى سيارتك الجديدة ...أنت لا تدري من يقلب الصفحات في هذه الصور وهذه الأشياء.

لا تخبر الناس بكل شيء

سرقة مشروعك أو تثبيط همتك:

ومن الأسباب التي تؤكد أن الكتمان مصلحة لنا أن بعض الناس قد تلمع له الفكرة التي سمعها منك فتروق له فيسرقها منك، ثم يسبقك بها، ويقول للناس: هذا من بنات أفكاري!!

وقد تجد بعض الناس عندهم النظرة السوداوية للأمور فما إن تعرض عليه شيء إلا ويفشله لك قبل أن يكون، فيذكر لك ألف مصيبة في هذا الأمر الذي تريده، سيحدث كذا وسيحدث كذا والسوق فيه كساد وفيه خسارة ولا تلقي بأموالك.

وهذه النصائح إذا خرجت من خبير بالسوق وناصح أمين فهي مقبولة، لكن تخرج من شخص أعلى ما وصلت إليه ثقافته الفيس بوك، فهذه مصيبة، لأن **(المستشار مؤتمن)**، وأنا إذا أردت أن أستشير سوف أستشير أهل الثقة، والخبرة وهناك شركات ومكاتب متخصصة الآن في عمل دراسة جدوى للمشاريع.

فاقض حاجتك بالكتمان بعيدا عن المثبطين، تقول أنا نويت أن أدرس كذا فيقول يا رجل أنت لست عندك وقت تدرس؟ هذه الدراسة غالية، الذين أخذوها ماذا فعلوا بها؟ أنصحك ألا تدرس، لا اللغة الفلانية صعبة المجال الفلاني صعب، هذه الشهادة صعب الحصول عليها، أنا أعرف فلانا وفلانا تقدموا لها وفشلوا لم يحصلوا عليها، وهؤلاء المثبطين تجدهم في كل مكان يا للأسف الشديد، وترى أحدهم، وقد جعل خبرته المحدودة هي خبرة للعالم كله، كأنه صار خبيرا في كل شيء، وبعضهم لما تستشيره في أمر يقول لك العالم يقولون كذا وكذا، العالم فعلوا كذا وكذا، والعالم في بال صاحبنا هم مجموعة من أصدقائه على الفيس بوك، هذا هو العالم عنده!!

فالمثبطون دائما يجعلون الهمة دنية يجعلون الإنسان يتردد في فعل أي شيء أو الإقدام على أي خطوة.

كيف نفهم الآية (وأما بنعمة ربك فحدث)؟ كيف نتحدث بنعمة الله؟

التحديث يكون بذكر النعمة والإخبار بها. وقول العبد: أنعم الله علي بكذا وكذا، والتحدث بنعمة الله شكر.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده) أخرجه الترمذي – وقال: حديث حسن

وعن جابر مرفوعا "من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن عليه. فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط، كان كلابس ثوبي زور" صححه الألباني.

فالتحديث بنعمة الله يكون بشكرها وإظهار آثارها، كما جاء في الحديث **ولما**

ورأى الرسول ﷺ رجل رث الثياب والهيئة كما في الحديث عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وعليَّ ثوب دون، فقال لي: (أَلَك مالٌ؟)، قلت: نعم، قال: (مِن أي المال؟)، قلت: مِن كل المال قد أعطاني الله: من الإبل، والبقر، والغنم، والخيل، والرقيق، قال: (فإذا آتاك الله مالًا، فَلْيُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته).

فهذا تحديث فعلي بنعمة الله، وكذلك يشرع الحديث القولي إذا أمن الإنسان العجب، فيتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى عليه.

وعلى المسلم أن يحرص على أن تقضي الحاجات من طريقه، وهذا هو سر الأمر بالتحدث بها، فالغني مثلاً يظهر أثر النعمة عليه بحيث يتوجه الفقير إليه ويسأله.

وفي الآية تنبيه على أدب عظيم: وهو التصدي للتحدث بالنعمة وإشهارها؛ حرصاً على التفضل والجود والتخلق بالكرم، وفراراً من رذيلة الشح الذي رائده كتم النعمة والتمسكن والشكوى، ومن عادة البخلاء أن يكتموا مالهم؛ لتقوم لهم الحجة في خفض أيديهم عن البذل، فلا تجدهم إلا شاكين من قلة ذات اليد، أما الكرماء فلا يزالون يظهرون بالبذل ما آتاهم الله من فضله، ويجهرون بالحمد بما أفاض عليهم من رزقه، فالتحديث بالنعمة كناية عن البذل وإطعام الفقراء وإعانة المحتاجين.

ويشهد لذلك قول الله تعالى) :**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)** فأنت عرفت في نفسك ما يكون فيه الفقير، فأوسع في البذل على الفقراء، وليس القصد في مجرد ذكر الثروة، فإن هذا يتنزه عنه النبي "ﷺ، ولم يعرف عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يذكر ما عنده من نقود وعروض، ولكن الذي عرف عنه أنه كان ينفق ما عنده ويبيت طاوياً "ﷺ.

فهذا أول شيء التحدث بنعمة الله عليك بأن يظهر أثر نعمته عليك في نفسك، لا تبخل على نفسك، ثم لا تبخل على زوجتك وأولادك، فهذا البخيل يبخل عن نفسه ويبخل عمن حوله ويكتنز المال كنزا ويمتنع عن الضروري من النفقات تحت أي دعوى من الدعاوى الكاذبة التي يوهم نفسه بها، لكن كما وصف لنا الله عباد الرحمن ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ **[الفرقان: 67]**، وسط لا إسراف ولا تقدير، ليس البخيل الذي يفكر أين يصرف أمواله، وليس البخيل الذي يحسب للأمور حساباتها، وليس الذي ينفق على قدر دخله، هذا إنسان متوازن، هذا إنسان يعرف كيف ينفق المال بحيث لا يصل إلى درجة أنه يكون عبدا للفواتير والأقساط الشهرية، كلما جاءه الراتب الشهري وزعه ويبقى بقية الشهر محزونا مكروبا، فهذا سوء تدبير.

إذن المسلم يُرى الله تعالى أثر نعمته عليه من غير إسراف ولا تقتير.

ويذكر أن بعض العلماء رآه الناس يلبس ثيابا جميلة، فقالوا تلبس هذه الثياب وأين الزهد؟ فقال لهم: **(نعم الثياب الفاخرة للقلوب الطاهرة)**

الحسد في الطاعات

ومن المستحب للمؤمن أن يسر بطاعاته وأن يكتمها عن الناس خاصة النوافل وأحواله الإيمانية مع الله ، وكذلك الرؤى الصالحة، فقد يصاب المسلم بالحسد على طاعته، فيحسد لمحافظته على الجماعة أو قيام الليل، أو صيام التطوع ، فيصاب بثقل ونفور كبير بعد همة ونشاط ويقع ذلك له بقدر الله الكوني لا الشرعي .

قال تعالى في محكم كتابه : ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ **[البقرة: 109]**

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54]

فالله تعالى يحذر عباده المؤمنين من حسد الكفار من أهل الكتاب لهم مع علمهم بفضلهم، وفضل نبيهم، فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم، وفي الحديث عن عائشة: **(ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين)**

أي حسدوكم على إفشاء السلام فيما بينكم؛ وذلك لما فيه من إظهار المحبة والود بين المسلمين بعضهم البعض، والرفق فيما بينهم، "والتأمين"، أي: قولكم "آمين"، أي: خلف الإمام؛ لما علموا من فضلها وبركتها.

وفي رواية: "إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين".

ومما لا شك فيه أن نعمة الدين من أفضل النعم على الإطلاق، لأن بعض الناس –خاصة المحرومين من العبادة والطاعة– يحترق قلبهم عندما يرون بعض عباد الله قد أكرمهم الله تعالى بالاستقامة والثبات على دينه، فكما يحسدون الناس على أموالهم، وعلى أولادهم، وعلى صحتهم، قد يحسدون الناس أيضًا على دينهم، وهذا كثير ومطرد، بل كما ثبت أن كثيرًا من الناس قد يؤثر الحسد فيهم تأثيرًا بالغًا، فقد يكون متفوقًا في طلب العلم والتعليم فيحسده بعض أقرانه أو من رآه، فتجده وقد نسي كل شيء وأصبح مُهملاً في طلب العلم والتعلم.

والعلاج في الكتمان وعدم إطلاع كل الناس على أحواله، فإن أصيب بشيء استرقى من العين بالأذكار الشرعية.

****

قوانين السعادة

(10)

القناعة

سبب للسعادة

(10) القناعة سبب للسعادة

معنى القناعة:

القناعة: هي الرضا بما أعطى الله.

الدنيا دار النقص، ودار التمام والكمال هي: الجنة.

قال تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ [يس: 55-56] وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: 20])

فلا شيء يشغلهم، فلا يحمل أحدهم هم أكل ولا شرب ولا دفع إيجار آخر الشهر، ولا مصاريف عيال في المدرسة.... الخ.

وقد شاء الله ذلك النقص في الدنيا لتدور عجلة الحياة، فلو أن الناس عندهم كل شيء ما ذهبوا ولا عملوا ولا اشتغلوا، فجعل الله الدنيا دار نقص، لسعى الناس ويعملوا ويعمروا الأرض.

فسعادتك أن ترضى بما قسمه الله لك؛ فقد أعطى الله قسمة العدل: لكل واحد منا رزق مقسوم وأجل مقدور.

من أسباب ضيق الصدر أن ترى إنسانا غير راض عن حاله، غير راض عن عطاء الله له، ساخط على حياته، ساخط على رزقه، ساخط على وضعه، ساخط على كل شيء.

وقعت عيني على كلمة رائعة لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه **يقول:"جعل الله السعادة والروح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في السخط والجزع ."**

الروح: بسكون الواو من الراحة يعني الشعور بالطمأنينة والسكينة وراحة النفس.

جعل الله السعادة والروح في الرضا واليقين، وجعل الغم، والحزن دائما مقترن بعدم الرضا بالسخط على الحال.

فالسخط من أكبر أسباب ضيق الصدر وشعور الإنسان الدائم بالنقص وعدم الرضا عما هو فيه يؤدي حتما إلى الشعور الدائم بالاكتئاب وضيق الصدر والغم والعياذ بالله.

هل الغني هو من يملك المال فقط؟

والعلماء يقولون أن آفة العصر الذي نعيشه هي أن الناس لما تقول فلان غني ظنوا أن الغنى هو المال فقط، وهذا هو التصور الشائع عندنا، لكن لو تأملنا لوجدنا أن الغنى والفقر قضية موزعة عند كل إنسان منا؛ فالمال ليس هو الغنى فقط وليس هو العطاء الإلهي الوحيد للبشر فقط.

العطاء يتنوع؛ وليس كل عطاء من الله يكون مالا فقط، فما وهبنا الله تعالى من عافية وزوجة وأولاد وأمن وراحة بال، وقدرات في العقل كالذكاء والتفكير والحكمة، والخلق الحسن، ومحبة الناس هذه نعم لا تقدر بمال.

لو أن إنسانا غبيا أو أحمقا يملك الملايين كم تساوي مع قلة ذكائه أو حماقته؟

سبحان الله هذا داء لا دواء له!! كما قال المتنبي:

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

أيضا أدوات الحس التي أعطاها الله تعالى لنا (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) وغيرها من النعم التي نستشعر بها وندرك بها الوجود والعالم حولنا، بكم تقدرها؟

والنبي ﷺ أعطانا معنى رائع جدا للقناعة فماذا قال؟

قال: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا". أخرجه الترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني.

آمنا في سربه: آمنا: نعمة الأمن والأمان نعمة عظيمة أن يكون لك بيت يؤويك فتنام وأنت آمن على نفسك وأهل بيتك، والله نعمة عظيمة لا تقدر بمال.

وهذه النعمة حرم منها ملوك ورؤساء لا ينام أحدهم بسهولة مثلك فلا بد من الحراسة، وفوق الحراسة حراسة، وكلما زاد ظلمه يزيد خوفه ...

فأنت والحمد لله لست بظالم فتنام وقد وضعت رجلا على رجل وطلقت الدنيا بالثلاثة فلا تخاف شيئا.

سربه: يعني عيالك وزوجتك وأهل بيتك.

معافى في جسده: أي :صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام، فتأكل وتشرب وتتنفس الحمد لله وعندك قدرة أن تمشي على رجليك الحمد لله.

قال رجل لعبد الله بن عمرو: (ألسنا من فقراء المهاجرين؟

قال: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم.

قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم.

قال: فأنت من الأغنياء.

قال: فإن لي خادمًا. قال: فأنت من الملوك.) رواه ابن أبي شيبة

ولذلك نبه العلماء على نسيان الشكر عند إلف النعمة، أن الإنسان لما يألف النعمة لا يستشعر قيمتها، لا يستشعر عظم قدر هذه النعمة التي أنعم الله عليه بها.

فجعل الله في هذا الكون الأضداد؛ يعني الشيء وضده حتى ينتبه العباد.... فتجد الأعمى والمبصر وتجد الذي يمشي على قدميه والذي يتحرك على كرسي متحرك أو يستعين بعكاز مثلا ...فقدر الله الشيء وضده، الليل والنهار، الظلمة والنور، البياض والسواد حتى ينتبه الخلق إلى عظم نعم الله تعالى عليهم.

فالعطاء الإلهي ليس هو المال فقط... العطاء الإلهي يشمل السلامة والعافية، الذكاء، الحكمة، الغنى بالنفس، الزوجة، الأولاد، الذرية الطيبة.

أحد الإخوة حينما وقف في حر الشمس عند محطة الباص ينتظر، وجاء الباص، ومع كثرة الناس لم يصبه الدور ومعنى ذلك أنه سينتظر الباص التالي، قال فأصابني السخط على هذا الوضع، وقلت لماذا لم يرزقني الله كغيري حتى يكون عندي سيارة موديل كذا وكذا؟!!

يقول ومع العرق والحر والضيق صرت أنطق بكلمات أستحي منها فلما أردت أن أركن إلى عمود إنارة لأنال شيئا من الراحة وجدت رجلا بجانبي مقطوع القدمين على كرسي متحرك.... فبكيت حياء من الله عز وجل..... كيف أسخط على الله الذي خلقني بهذه النعمة وغيري مقطوع القدمين لا يستطيع السعي ولا يستطيع الحركة؟!!

ببركة أذكار المساء أنجانا الله من حادث مروع:

سأحكي لكم موقفا حصل لي منذ شهرين: كنت أركب سيارة متوجها للمسجد مع أحد الإخوة ، فقلت له تعال نردد أذكار المساء ، والله كما أحكي لكم وأنا أردد معه أحد الأدعية؛ فوجئنا ونحن على الطريق السريع بسيارة

تأتي من خلفنا على سرعة 160 كم أو أكثر؛ جاءت من خلفنا، وكانت سرعتنا طبيعية حوالي 100كم ، فجاءت هذه السيارة المسرعة جدا من خلفنا، ثم اتجه على شمالنا ليتجاوزنا، ثم تقدم أمامنا بسرعته العالية فاختل توازن السيارة ،وصار بيننا وبينه أقل من عشرين مترا، وصارت سيارته بعرض الطريق ونحن نرى موتا محققا؛ أقسم بالله رأينا الموت على بعد أمتار منا!!

لكن الله لطيف لما يشاء، فمن لطفه سبحانه أن تتحول هذه السيارة من عرض الطريق أمامنا لتندفع بقوة نحو المنحدر على جانب الطريق، وانقلبت حوالي عشرة قلبات... فلولا لطف الله سبحانه وتعالى لكان حادثا مروعا لنا ولمن وراءنا من السيارات على الطريق السريع.

طبعا أنا وصاحبي وقتها كنا في قمة الفزع... فقال لي بصوت مرتعش اتصل بالشرطة، أو الإسعاف فقلت له بصوت كانه يأتي من قعر بئر: شرطة يعنى ايه؟ وكيف اتصل؟

عقلي راح وذهب تركيزه، نسيت والله فلم أذكر ماذا يجب أن نفعل في مثل هذه الحالات!!!

وبعدها بدقائق كنا خرجنا من الطريق السريع، ونحن لم نستوعب الصدمة بعد، فقلت لصاحبي هل تذكر آخر دعاء في الاذكار كنا نقوله؟ إنه هذا الدعاء:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال :لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي ".رواه الإمام أحمد

فببركة هذا الدعاء أنجانا الله وصرف عنا هذا الحادث المروع، والحمد لله الذي عافانا وكتب لنا السلامة.

عنده قوت يومه: أي: قدر ما يغديه ويعشيه، والطعام من نعم الله العظيمة، قال تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: 3-4]

فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها: أي: بتمامها، والحذافير الجوانب، وقيل الأعالي، واحدها: حذفار أو حذفور، والمعنى: فكأنما أعطي الدنيا كلها.

من اجتمعت له هذه الخصال الثلاث في يومه، فكأنما ملك الدنيا كلها، وقد اجتمع لكثير من الناس أضعاف ما ذكر في هذا الحديث، ومع ذلك فهم منكرون لها، محتقرون ما هم فيه، فهم كما قال تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ **[النحل: 83]:**

سبحان الله هذه النعم لو أن الإنسان يستشعرها سيعرف معنى السعادة فلا يغتم ولا يهتم؛ فمن أسباب السعادة القناعة، وأن ترى القليل من نعم الله كثيرا.

النظر إلى نصف الكوب الفارغ:

من الأسباب الباعثة على عدم الرضا: النظر إلى نصف الكوب الفارغ يعني كالمثل الذي ضربه العلماء: واحد عنده كأس ماء نصفه ملآن ونصفه فارغ. الكثير منا ينظر إلى النصف الفارغ، لو تأملت النصف الملآن لعظمت نعم الله عليك، فلا تنظر كم فقدت من نعم بل انظر كم أنعم الله عليك من نعم، كم وجدت من نعم؛ فهذه النظرة تحول دائما كل سخط وعدم قناعة إلى رضا، وتعظم نعمة الله تعالى عليك.

شاهد المرضى على الأسرّة بالمستشفيات واحمد الله على نعمة العافية.

شاهد من فقد نعمة الذرية واحمد الله على النعم.

شاهد صفوف العاطلين الذين لا يجدون عملا واحمد الله على نعمة العمل.

المشكلة أن الإنسان فينا دائما يتطلع إلى المفقود، يتطلع إلى أنه دائما عنده نقص، وبالتالي يدوم سخطه ويدوم غضبه وجزعه والعياذ بالله.

لكن حينما تنظر إلى نصف الكوب الملآن، وتحمد الله عز وجل، وتسأل الله تعالى من فضله فهذا من عظيم نعم الله عليك.

الفرق بين الرضا والقناعة والخنوع والذل:

ومن المفاهيم الخاطئة أن بعض الناس يظنون أن الرضا معناه أن الإنسان يرضى أن يكون فقيرا ذليلا، وهذا ليس هو المقصود؛ لأن الرضا رضا بالعطاء، ولا مانع من السعي من خلال سنن الله في الكون، والأخذ بالأسباب للازدياد.

لكن أن يكون هناك شخص أرخص شيء عنده نفسه وكرامته يقول لك: (خلينا نأكل عيش) نريد فقط أن نربي أولادنا فهو من خوف الفقر في فقر، ومن خوف الذل في ذل، ومن خوف المرض في مرض...

هذه ليست أخلاق الإسلام؛ فالإسلام لا يعلمنا المذلة ولا الهوان ولا يعلمنا أن يكون المسلم جبانا خاضعا ذليلا من أجل لقمة عيشه لأنه يعلم أنه ما قدر الله على فكيه أن يمضغاه فستمضغاه فليمضغه بعزة؛ أما إن رأى أن لقمته أو لقمة عياله تأتي من طريق ذل فلا حاجة فيها أبدا.

كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوتاً وَإذا متّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا

همتي همَّةُ الملوكِ ونفسي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرَا

فلا يليق بالمسلم أن يكون ذليلا جبانا منافقا عنده شعور دائم بالحرمان والهوان من أجل لقمة عيش، بل اطلب لقمة عيشك بعزة.

اطلب لقمة عيشك بأسبابها لأن الرزاق ليس هم البشر، الرزاق هو الله.

ولو ظن أحد من البشر أن بيده مفاتيح الرزق أو أنه يمنع عن الناس فهو واهم.

ما الفرق بين الطموح والطمع؟

الطموح من الصفات المحمودة، ويُعتبر عكس الطمع: يقال: فلان طموح، أي عنده توقّع ورغبة شديدة في بلوغ المعالي.

والطموح هو الرغبة الصادقة في بلوغ هدف عالٍ، مع الاستعداد لبذل الجهد والتعب في سبيل تحقيقه.

الطموح أن تخطط لمستقبلك، اليوم عندك سيارة سيئة؛ فتسأل الله أن يوسع عليك، وتشتري سيارة بدون مشاكل، أو تسكن في شقة إيجار تطمح غدا أن يكون عندك شقة تمليك أو بيت، أو تحسن دخلك بأن تتحصل على خبرة جديدة في مجال عملك؛ هذا هو الطموح.

والإنسان الطموح دائما عنده همة، وعنده سعي وأخذ بالأسباب وتدبير وتخطيط شخصية منظمة ومحبوبة لأنه عنده إنجازات وعنده سعادة بإنجازه وفوزه وانتقاله من نجاح إلى نجاح.

أما الطمع فهو تعلّق القلب بما في أيدي الناس من متاع الدنيا، وانتظار نيل ما ليس لك بحق، أو بغير سبب مشروع، وهو ضد القناعة والرضا، ويُورث الذل والهوان، لأن الطماع لا يقنع مهما كان في يده، ودائما عينه تنظر إلى ما في يد غيره، ودائما يرى النقص فيما يملك والزيادة فيما يملكه غيره، والطماع دائما حسود يستسهل أن يأكل حراما، ويستسهل أن يظلم غيره

وتجده عالة على المجتمع يود أن يتحصل على أكبر جزء من المال أو الثروة بدون عمل.

ينظر إلى الثراء من وجه سريع حتى وإن كان حراما حتى وإن كان غصبا لغيره.

قال ابن القيم :الطمع يوقع العبد في الذل، ويُبعده عن الله، لأنه يعلّق قلبه بالمخلوقين لا بالخالق.

من ثمرات الرضا السكينة والطمأنينة:

حينما يكون المسلم راض عن الله عز وجل راض بقضاء الله سبحانه وتعالى تأتيه السكينة والطمأنينة وهذا ما عناه الرسول بقوله: **(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله بخير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) هذه** العبارة تبين لنا الفارق بيننا وبين غيرنا من غير المسلمين **(إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)**

وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن :لأن غير المؤمن إن أصابه الخير فرح، لكن إن أصابه الشر بالنقص أو الضر يشقى ويتعب ويسخط ويجزع.

فالفارق بين المؤمن وغيره: أن المؤمن إن أصابه الخير فمن فضل الله وعطائه، وإن أصابه الضر فهذا ابتلاء واختبار يصبر عليه.

فالمسلم في حالة العطاء يشكر الله عز وجل، وفي حالة المنع يصبر لأن هذا اختبار من الله، ليقينه أن الله يربي عباده بالعطاء والمنع.

تربية الأبناء بالعطاء والمنع:

علماء التربية يقولون في تربية الأبناء: ينبغي أن تربي أبناءك على هذا المعنى: وهو ألا تعطيه كل ما يطلب، إنما تعطيه بحكمة، فلما تعطيه يستشعر قدر ما أعطي، ولما تمنع عنه يستشعر قيمة ما منع عنه.

إنما العطاء الدائم؛ أنا لا أريد أن أحرم أولادي؛ أنا أريد أن أعطيهم كل ما يريدون هذه تربية فاشلة؛ تنشئ جيلا مدللا لا يعرف التعب ولا الكد ولا السعي في تحصيل ما يريد فكل ما يطلبه يجده.

فالتربية السليمة تربية على العطاء والمنع.... فلا ينبغي أن نربي أبناءنا على مبدأ: إن أبانا على كل شيء قدير.

إنما يتربى على أن هناك شيء يطلبه فيجده، وشيء يسعى إليه باجتهاده، وشيء يمنع عنه لأنه فيه ضرر، أو أنه لا يصلح له، أو أنه ينبغي أن يبذل مزيد جهد إلى غير ذلك.

إذن، فالله تعالى يربينا بالعطاء والمنع يعطينا فتعظم نعمته علينا، ويمنع عنا فنصبر ونحتسب ذلك عند الله عز وجل.

****

قوانين السعادة

(11)

البركة

من أسباب السعادة

(11) البركة من أسباب السعادة

نقرأ في القرآن الكريم ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1]، وتبارك معناها الذي بلغ من الخير والعطاء والإحسان الكثرة والكمال والوفرة فتبارك اسمه فلا يذكر على شيء إلا وجعل الله فيه الخير والبركة، وما نزل على عباده شيئا إلا وجعل فيه الخير والبركة فتبارك الله رب العالمين .

تعريف البركة:

البركة تأتي في اللغة بمعانٍ عدة: الكثرة، الزيادة، العمل القليل الذي يجعل الله تعالى ثمرته عاجلة، الكسب القليل الذي يجعل الله تعالى فيه خيرا كثيرا، العمل الصغير الذي يجعله الله تعالى عظيما، وهكذا.

كيف تكون البركة من أسباب السعادة؟

- إذا أنعم الله عليك بالبركة في صحتك فهذه نعمة عظيمة.
- إذا جعل الله البركة في أولادك، يجعلهم موفقين ومسددين وبارّين بك ومطيعين لك فهذه نعمة من الله عظيمة.
- إذا جعل الله البركة بزوجة صالحة أو يكرمِك بزوج صالح يعينك أو تعينك على أمر دينك ودنياك هذه نعمة من الله عظيمة.
- أن يرزقك الله بسيارة ليس فيها أعطال كثيرة، وليس فيها مشاكل هذه نعمة من ربنا عظيمة.
- أن يرزقك الله بعمل تحبه سهل المواصلات وسهل في الإنجاز هذه نعمة من ربنا عظيمة.

أين البركة؟

أين البركة في الوقت؟ أين البركة في المال؟

أين البركة في الأولاد؟ أين البركة في العمل؟

أقول لك البركة موجودة لكن لها أسبابها لأن البركة شيء مرتبط بطاعة الله.

كيف نتحصل على البركة؟

أولا / بالإيمان والتقوى:

حينما تكلم الله عن البركة في سورة الأعراف ماذا قال جل وعلا؟ ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: 96]

(الإيمان والتقوى) لا يعدك الله معهما بكثرة الأموال وكثرة الأرزاق إنما يعدنا الله تعالى بفتح الإنعام منه بالبركة.

البركة أن يجعل الله في القليل كثيرا، البركة ليست أموال ...البركة بركة في الوقت، بركة في العمر، بركة في الأولاد ....أن يجعل الله تعالى في وقتك بركة، في سعيك بركة.... أن يجعل الله في زوجك بركة. أن يجعل الله في أولادك صلاحا. ان يجعل الله في بدنك عافية ....أن يجعل الله لك راحة البال. أن ينفي الله عنك القلق والتوتر.... أن يباعد الله بينك وبين الأمراض وبين الحوادث والآفات والشرور ....كل هذا من البركات.

ولاحظوا كلمة **(لفتحنا) هذا** الفتح يبين الكثرة، وكلمة بركات جاءت مجموعة **(لفتحنا عليهم بركات)** إشارة إلى كثرة الخير الوافر من الله سبحانه وتعالى، وهذا كله بالإيمان والتقوى.

الله تعالى لم يعد أحدنا أنه إذا آمن واتقى أن يزاد في راتبه أو أن يزاد في دخله أو أن يزاد في ممتلكاته إنما وعدنا بالبركة.

فما العبرة بالكثير إن لم يكن فيه بركة؟!!

ما العبرة في الكثير إن لم يكن له ثمرة؟!!

فيجعل الله تعالى في القليل بركة وخيرا كثيرا.

ولذلك قال العلماء: ومن البركة ما صرفه الله عنك؛ الكثير منا دائما ينظر الى ما صرف له، ما أخذته يداه، لكن لو تأملنا طويلا في هذا المعنى: ما صرف الله لك وما صرفه عنك لعلمت كم من بركة جعلها الله لك.

عافاكم الله جميعا ونسأل الله الشفاء لكل مريض... من الممكن فايروس لا يرى بالعين لا يهتدي الأطباء إلى علاجه أو تشخيصه؛ أنظر كم ينقص من العافية وكم يهدر من الوقت ومن الجهد ومن القلق والتعب دون أن تصل إلى علاج أو شفاء فيجعل الله تعالى من البركة الشفاء والعافية.

تأملوا أيضا أن يصرف الله عنك حوادث الطريق.

أن يصرف الله عنك الفشل في عمل من الأعمال.

أن يوفق الله تعالى أولادك في دراستهم مثلا، فلا يفشلوا ولا يخيبوا، ولا يضلوا عن الطريق المستقيم.

ومن البركة أن يجعل الله العلاقة بينك وبين زوجتك علاقة طيبة ليس فيها كثرة مشاكل وتوترات ... فصرف الله عنك المشاكل، وصرف الله عنك قلة الراحة وكثرة المشاكل.

ومن البركة الجار الطيب الذي لا يسبب لك مشاكل ولا متاعب.

ومن البركة السيارة أن يجعلها الله لك قليلة الأعطال أو منعدمة الأعطال.

ومن البركة العمل الذي تقوم به فيعينك الله تعالى وتشعر بعونه ومدده وإن كان شاقا لأنك تسعى على عفة نفسك.

وهكذا لو تأملنا هذا المعنى لرأينا كم جعل الله لنا من بركات لا نستطيع عدها ولا حصرها.

الكثير منا عنده سخط دائم لأنه دائم النظر الى ما فقد لا إلى ما وجد....

فهو دائم التطلع الى ما في يد غيره لا ما في يده... ولو تأملناها والله لعلمنا أن الله سوى بين الجميع لكنه نوّع في العطاء حتى يكون هنالك سنة التدافع، السعي والحركة في هذا الكون، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: 251]

الدنيا قائمة على العمل، على السعي، والآخرة قائمة على النعيم والثواب.

فإذا أعطي الإنسان كل شيء في الدنيا لتوقفت الحياة لاستغنائه، لكن تجد عندك نعمة في كذا، ونقص في كذا، فالنقص الذي عندك أنا أكمله، والعكس بالعكس، فيجعل الله النقص فيه عين العطاء، ويجعل في العطاء عين الإضافة إلى الناس .

إذن أنت تنظر دائما الى نصف الكوب الفارغ؛ أنظر إلى النصف الملآن.... أنظر كم أعطاك الله؟ تأمل كم صرف الله تعالى عنك؟ فتعظم نعمة الله تعالى عليك.

فالإيمان والتقوى سببان لفتح بركات من السماء والأرض وعطاء من الله سبحانه وتعالى لا يعلم الإنسان مداه.

ثانيا / من أسباب البركة: الزكاة:

الزكاة اسم على مسمى قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103]

زكى في اللغة تأتي من التزكية بمعنى التطهير، وتأتي من الزكاة بمعنى النماء، زكى المال يعني نما المال، والطعام زكي، كما في الآية: **(فلينظر أيها أزكى طعاما)** يعني طعاما طيبا.

فالصدقة أو الزكاة تطهرك من الأنانية والبخل والشح وحب الذات والكبر، وتجعل فيك طهرا من هذه الصفات الخبيثة إلى صفات طيبة، الرحمة والعطف على الناس والرفق بالفقراء وذا الحاجة واليتيم والمسكين إلى غير ذلك.

ومن المعاني زكى المال يعني نما؛ الزكاة ظاهرها النقص؛ أنا معي ألف دولار طلعت زكاة خمسين دولار مثلا، هذا المال صار تسعمائة وخمسين.... إذن في نقص!!

الله تعالى يعدك أن الزكاة فيها البركة فأنت تطهر مالك بهذا القليل، ربع العشر حتى يكون في بقية المال البركة.

تأملوا يا وجوه الخير الله جل وعلا يقول هذا في كتابه: **﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾** [سبأ: 39] أنت ترى بعينك المال ينقص في الظاهر لكن البركة من عند الله في هذا المال.

والنبي ﷺ يقسم بالله عز وجل (ما نقص مال من صدقة.)

ويبين ﷺ في حديث قدسي عن الله عز وجل: (يا ابن ادم أنفق أنفق عليك.)

أنفق في طرق الخير وأبواب البر، وما أوجبه الله عليك من زكاة ومساعدة لمحتاج وفقير، أُنفق عليك.

فأنت تظن أن النفقة فيها النقص ... كلا فإن الله تعالى يعدك بالزيادة.

وفي الحديث يقول النبي ﷺ: "ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وينادي ملكان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا تلفا ."

إذن فالبركة بالزكاة، البركة بالعطاء، البركة بالإنفاق.

من كان يشكو أن دخله لا يكفيه فليتصدق منه:

اجعل من دخلك صدقة لله ثم تأمل بعد ذلك البركة التي يجعلها الله في هذا القليل.

الزكاة لا تجب إلا على الغني الذي حقق الكفاية، لكن الصدقة بابها مفتوح للجميع.

يقول النبي ﷺ: (أفضل الصدقة أن تصدق وأنت شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى.)

دخلك لا يكفيك، دخلك ضئيل جدا ثم تجعل من هذا الدخل القليل صدقة بينك وبين ربك فيجعل الله في القليل بركة وخيرا وكثرة.

كيف ذلك؟

أنا وأنت لن ندركها بالحسابات الظاهرة، لكن عند الله عز وجل حسابات أخرى.... بركات من السماء والأرض.... فأنا أصدق الله فيما قال **(فهو يخلفه)** وأصدق رسول الله في قسمه **(ما نقص مال من صدقة)** وأنفق رجاء بركة الله سبحانه وتعالى في هذا المال.

ثالثا/ من أسباب البركة: الرزق الحلال:

الرزق الحلال معادلة صعبة في هذا الزمن لكثرة تداخل الحرام في الحلال ....وكما ورد في الأثر أنه يأتي زمان على أمتي من لم يأكل الربا أصابه من غباره؛ نسأل الله أن ينجينا وأن يعافينا من الحرام وموارده، اللهم آمين.

فالكسب الحلال صعب، تحري الشبهة بالبعد عن منطقة الحرام وما تجرها يجعل الإنسان دائما عنده معاناة.

أما الكسب الحرام ففيه سهولة وفيه يسر لكن بشرط أن تتنازل عن مبادئك، وعن دينك، وعن شرفك، وعن أمانتك، وأن تكون غشاشا أو منافقا!!!

والسعادة لا تكون بكثرة المال، وإنما بأن يجعل الله في المال بركة.

يقول النبي ﷺ لحكيم بن حزام: **(يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة)** شكله جميل وكسب الإنسان وأن يمسك الفلوس في يده هذا شيء مريح للنفس شيء يجعل الإنسان عنده ثقة واطمئنان وشعور بالأمان.

(إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه.) والمقصود هنا أن تأخذه بعزة، أن تطلب رزقك من طريق حلال يجعل الله تعالى فيه الخير والبركة.

أعجب والله لهؤلاء الذين يسرقون الملايين ويجيعون الشعوب ويحولوا الناس الى فقراء فقر مدقع شديد ثم بعد ذلك يشكون ويتململون وعندهم ما عندهم في الخزائن، ثم يرحلون ولا ينتفعون بشيء من ذلك.

فالعبرة ليست في كثرة المال؛ العبرة أن يكون حلال أن يكون فيه بركة.

وكان الشاعر يقول:

جمع الحرام إلى الحلال ليكثره أخذ الحرام الحلال فبعثره

الحرام لا يبقي على شيء قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة: 276] وهذا المحق يكون في الربا، وفي كل مال مكتسب من حرام، فلا يغرنك كثرة المال إن كان طريقه من حرام فيكون نقمة عليك وعلى أهل بيتك.

لا يغرنك كثرة الممتلكات من حرام، أو من شبهات، أو من غصب ميراث أو بعدم رضا نفس، وبغش أو بكذا أو بكذا... فقد رأينا بأعيننا المرتشين والفسدة والذين يأكلون أموال الناس بالباطل كيف صارت حياتهم والعياذ بالله الى جحيم، وكيف صار أبناؤهم في ضياع، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ [النساء: 9]

عبرة من قصة موسى والخضر:

وذكر الله تعالى لنا في كتابه قصة الغلامين اليتيمين في قرية أهلها أهل لؤم وبخل؛ في قصة موسى والخضر لما نزل موسى والخضر في الرحلة الثالثة إلى قرية ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ**

يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: 77] وجدا جدارا مائلا آيلا للسقوط؛ فما الذي فعله الخضر؟ أزاح الحائط تماما، بنقضه ثم أعاد البناء بمعاونة موسى.

نبي الله موسى قال لن أسالك لماذا هدمت؟ ولماذا بنيت؟ لكن هؤلاء أهل بخل ولؤم **(لو شئت لاتخذت عليه أجرا)** خذ منهم أموال نشتري طعاما حتى نتقوت، وبعد أن ذكر له تفسير الوقائع السابقة ذكر له الثالثة فقال له: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: 82]

تأملوا، مال حلال يدخره الرجل لأبنائه تحت الجدار لم تكن هناك بنوك ولا خزائن ولما أوشك الجدار أن ينهدم، وأهل القرية أهل لؤم وبخل سيستولون على هذا المال، ولن يتركوا لهؤلاء الأيتام شيئا؛ يسخر الله تعالى رسوله وكليمه موسى ونبيه الخضر عليهما السلام لإعادة بناء الجدار!!!

ما السر في هذا؟ (وكان أبوهما صالحا) مال حلال لرجل صالح يدخر المال لأبنائه فيوكل الله تعالى من يحفظ المال للأيتام، فخير تأمين على أبنائنا ليس بتأمين مستقبلهم بكثرة المال من حرام إنما تأمينه بالتقوى.

رابعا / من أسباب البركة الاجتماع على الطعام:

بين لنا رسول الله ﷺ: إن الله يحب أن تكثر الأيدي على الزاد، ولما جاءه رجل قال: **(يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع)** عندنا طعام نأكل ولا نشبع **(قال: فلعلكم تأكلون متفرقين)**

كل واحد يأكل وحده هذا واقعنا كل واحد عنده ساعة يخرج فيها من العمل ينتهي فيها من الدراسة، هذا يأكل الساعة كذا، وهذا يأكل الساعة كذا.

نقول اجعل وجبة تجمع أهل البيت جميعا يجعل الله في هذا الاجتماع خيرا وبركة، إن الله يحب تكثير الأيدي على الزاد، لقول النبي ﷺ **(طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، وطعام الأربعة يكفي الخمسة والستة)**

فالرجل يقول نأكل ولا نشبع قال: "لعلكم تأكلون متفرقين قال نعم قال فاجتمعوا على طعامكم وسموا الله يبارك لكم فيه ."

وأوصانا ﷺ بالتسمية عند الطعام والأكل باليمين حتى لا يكون للشيطان سبيلا لهذا الطعام؛ فإنه يستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه فتوصي نفسك وأهل بيتك سموا الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه وإن كان حليبا تقول: وزدنا منه؛ كما كان هديه ﷺ.

ومن البركة أيضا في الطعام أن تأكل من حواف الإناء وليس من وسطه. **يقول النبي ﷺ: إن البركة في الوسط فكلوا من جوانبه ولا تأكلوا من وسطه فإن البركة في الوسط .**

خامسا / من أسباب البركة تنظيم الأوقات:

تنظيم الأوقات لأن هنالك أوقات بينية كثيرة ضائعة، والنبي ﷺ كان يقول: **"اللهم بارك لأمتي في بكورها "**

وفي هذا إشارة إلى أنك تأخذ اليوم من أوله، الهمة والنشاط والذهن المتفتح فتستطيع أن تحصل خيرا كثيرا في هذا الوقت المبكر بعد صلاة الفجر لأن فيه العطاء القوي والذهن المتفتح، أما من ينام إلى الضحى أو ما شابه ذلك فقد ضيع بركة اليوم.

ومن جهة أخرى أن تجعل في الأوقات البينية عملا يفيدك.... الهواتف الذكية الآن في أيدي الجميع فيها فوائد كثيرة لكن تعجب أن الكثير جعلها لسماع الأغاني، وجعلها للألعاب المختلفة، وجعل مضيعة الأوقات في مشاهدة مقاطع الفيديو الكثيرة والمتنوعة، وكثرة الرسائل التي وصلت إلى حد التخمة في الواتساب اغلبها مضيعة للأوقات .

فاترك كل ما لا نفع فيه ولا فائدة إلى ما فيه نفع وفائدة.

إذا نظمنا أوقاتنا وقمنا باستغلال الأوقات البينية سنرى من هذا الأمر فائدة عظيمة، ونأخذ بركة دعوة رسول الله ﷺ أول النهار **"اللهم بارك لأمتي في بكورها."**

****

قوانين السعادة

(12)

السكينة

طمأنينة القلب

(12) السكينة طمأنينة القلب

تعريف السكينة:

السكينة من السكون والسكون ضد الحركة، والمقصود بها الطمأنينة والهدوء بعد الحركة والاضطراب.

والسكينة طمأنينة يضعها الله في قلب عبده المؤمن، فيثبت عند الفتن والمخاوف، ويطمئن عند القلق والاضطراب.

قال ابن القيم :"هي روح من الله يسكن إليها العبد، فيطمئن بها، وتزول عنه الوحشة والاضطراب" .

قد ينزل بأحدنا أمر شاق أو صعب، أو يحتاج للتفكير في مرحلة صعبة أو يصاب ببعض الابتلاءات فيضطرب قلبه، فهذه مسألة فطرية فطرنا الله تعالى عليها ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 28] فمع اضطراب القلب تلجأ إلى الله فينزل الله عليك السكينة والطمأنينة فيهدأ قلبك.

الحاجة للسكينة:

فجعل الله الضعف في الإنسان، وجبر هذا الضعف يكون باللجوء إلى الله، فإذا وقع المسلم في ورطة أو شدة، أو سيعمل عملية جراحية، أو عنده امتحان، أو عنده مقابله لوظيفة.... الخ، يلجأ إلى الله، لأن كل هذه الأمور تؤدي إلى القلق والتوتر.

وهذه الحالة أصيب بها كثير من الناس لأن العالم كله تحول إلى الرأسمالية التي حولت الإنسان من كيان فيه جسد وروح إلى سلعة تقدر بماذا تنتج؟ وماذا تستهلك؟ حتى تحول فكر الكثير من الناس أنه عبارة عن شيء له ثمن مادي بحت، بكم يعمل؟ وكم يستهلك؟ وماذا تبقى؟ وكيف يزيد من دخله؟ وكيف يزيد من متعه؟

فتحول الإنسان بهذا الخواء إلى ما يشبه (machine) الماكينة الصماء التي لا إدراك لها ولا أحاسيس.

وكثر في الناس الحديث عن الامراض وعلاجاتها وأخطارها وظهر عند الناس الخوف الشديد من المرض؛ فتجد الكثير يتكلمون الآن عن مرض السرطان وكأنه لمجرد ذكره يخافون أن يصيبهم.

يخافون الكلام عن الموت وكأنه بمجرد الكلام عن الموت سيموت.

يتكلمون عن خسارة العمل، يتكلمون عن المستقبل المظلم، يتكلمون عن الأولاد وفشلهم وضياعهم.

الزوجة تخاف أن يطلقها زوجها والزوج يخاف أن تكون زوجته كذا وكذا...

الفتاة تخاف أن تكون عانس، الشاب يخاف أن يفقد قوته وشبابه .....إلى غير ذلك من هذه الأمور التي تسبب الكثير من القلق والتوتر عند الإنسان.

والمؤمن في هذه الحالة جعله الله تعالى مميزا بشعوره بالسكينة.

هذا الشعور الذي لا يشترى بالمال ولا يوهب ولا يكتسب ولا يتحصل عليه بشهادة أو دراسة إنما هو محض عطاء من الله عز وجل.

قصة:

قرأت قصة عن أستاذ جامعي كتب أنه دخل مستشفى في ألمانيا وكان عنده عملية خطيرة فجاءت إليه قبل العملية امرأة ظنها ممرضة، أدارت معه حديث وديا، قالت من أنت؟ وكم عندك من الأولاد؟ ما موضوع العملية؟ من سيجري لك العملية؟ أنا أعرف أنه طبيب ناجح ومشهور وأجرى هذه العملية كثيرا، وهو أستاذ بروفسور في جامعة كذا، ويعمل كذا، وهناك أعراض ستزول، أنت الان تشتكي من كذا وكذا بعد العملية بساعة تبدأ تشعر بكذا، وعندما تتعافي ستشعر بالتحسن، وترجع لأولادك وتعيش حياه أطول.

المهم يقول إن أسلوبها في الكلام وإجاباتها طمأنته كثيرا وهدأته نفسيا بصورة كبيرة جدا...

بعد انتهاء العملية ونجاحها والحمد لله، وجد في الفاتورة أن لها 4 آلاف يورو فقال لماذا؟ قالوا له هذه طبيبة نفسية متخصصة في تهيئة المرضى قبل العمليات الجراحية.

فالإنسان يحتاج في الأوقات الحرجة إلى من يطمئنه، وليس لنا أعظم ولا أكرم ولا أجل من الله الذي ينزل السكينة في القلوب.

فطبيعة الإنسان عندما يتعرض لأشياء صعبة يتوتر القلب، فهنا يتميز المؤمن عن غيره بأنه يطلب الأمان والسكينة من الله، فيبقى القلب مضطربا حتى ينزل الله السكينة فيه.

ولذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 4]

وأدق وصف لمعنى السكينة: وصف أم موسى:

كلنا يعلم أن فرعون كان يقتل الأولاد (الذكور) من بني إسرائيل فأوحى الله تعالى إليها أن تلقي بابنها في اليم، (في النهر)، وتعلم يقينا أن الله سيرده عليها، وعلى الرغم من هذا لما ألقت أم موسى بابنها في اليم يقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: 10] **إنها** أم!! عندها خوف شديد على ابنها، عندها لهفة على نجاته والاطمئنان عليه.

يقول تعالى: **(لولا أن ربطنا على قلبها)** فعند الشدائد القلوب تضطرب لا تستطيع الاستقامة ولا التفكير، فيأذن الله سبحانه وتعالى بربط القلب، كأن القلب فعلا شيء متحرك، شيء ينتقل من مكانه فيربط الله تعالى عليه، وربط الله تعالى على القلب إنما هو بالسكينة.

السكينة في الغار:

في حادث الهجرة لما قال الصديق لنبينا ﷺ: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله ﷺ : مطمئنا إياه يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما **﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: 40] ربط الله على القلب وجعل فيه الطمأنينة والشعور بالهدوء والأمان.

السكينة يوم حنين:

في غزوة حنين حدث أن بعض الصحابة غرتهم كثرتهم وقالوا: لن نغلب اليوم من قلة، وأعد المشركون لهم فخا حينما كانوا يمرون بين جبلين فترصدوا لهم فوق الجبال بالسهام فضربوهم ، فاضطرب المسلمون في أوائل صفوفهم وتراجعوا الى الخلف فأحدث ذلك حالة اضطراب ودهس ،

وما الى غير ذلك ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25]

فوقف النبي ﷺ شجاعا جسورا يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب؛ حتى اجتمع عليه المسلمون مرة أخرى.

السكينة يوم الحديبية:

ويوم الحديبية لما رأى الرسول ﷺ الرؤيا وبشر صحابته بدخولهم المسجد الحرام وكان بيت الله الحرام لا يمنع منه أحد؛ لكن منعتهم قريش كبرا وعنادا، ثم كان الاتفاق والصلح الذي عرف بصلح الحديبية؛ فوقع التوتر عند شروط الصلح لتعنت قريش فيها: كإرجاع من يأتي مسلمًا من قريش إليهم، وعدم دخول المسلمين مكة هذا العام ورجوعهم ثم عودتهم العام المقبل.

في ذلك الجو المشحون، أنزل الله **السكينة** على قلوب المؤمنين، فاطمأنت نفوسهم، وانشرحت صدورهم لقبول الصلح، رغم ما كان فيه من الشروط الظاهرة المجحفة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4] ويقول: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: 26]

فثبّتهم الله بالسكينة، فمنعتهم من الانجرار إلى العجلة أو الغضب، فكان هذا الصلح سببًا في انتشار الإسلام بعد ذلك، حتى سمى الله عز وجل صلح الحديبية بالفتح المبين، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1]

فالسكينة في مواضع القرآن الستة التي ذكرت كانت في ساعات الابتلاء والكرب والشدة والضيق.

وذكر ابن القيم في مدارج السالكين أن شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله – كان إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد علي الأمر،

قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبة.

وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه. فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته.

كيف يكتسب المسلم السكينة؟

أولا /السكينة بذكر الله:

بين الله جل وعلا ذلك فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] حينما يصاب الإنسان بكرب أو شدة نقول له فليطمئن قلبك بذكر الله تعالى.

لماذا قال النبي ﷺ (لا حول ولا قوة إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم) [9]، لماذا؟

لأنك حينما تحرك بها لسانك ويتوافق قلبك مع لسانك تكون على يقين أنه لا انتقال من حال الى حال إلا بحول الله وقوته فينزل الله تبارك وتعالى عليك السكينة؛ فيطمئن القلب ويهدأ.

فالقلب العامر بذكر الله عز وجل ينزل الله تعالى عليه السكينة في ساعات الاحتياج وساعات الكرب والضيق .

ثانيا / السكينة بالخشوع في الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45] كبيرة يعني ثقيلة، شديدة إلا على أنفس الخاشعين، إذا أصابهم ما أصابهم وقفوا بين يدي الله ليكونوا في رحاب السكينة؛ حتى كان نبينا المعصوم ﷺ **يقول أرحنا بها يا بلال.**

وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، -اشتد عليه أمر- فزع الى الصلاة.

---

(9) سنده ضعيف قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم » :(2/158)إسناده ضعيف.« وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم 582) ورغم ضعف الحديث سندا إلا أن هذه الكلمات لها قوة في تفريج الهم فهي كلمات عظيمة تشتمل على إظهار العجز والافتقار إلى الله، والتسليم له، والاستعانة به.

ثالثا / السكينة في بيوت الله:

أيضا تطلب السكينة في بيوت الله فهي خير مواطن السكينة.

وقد علمنا رسول الله ﷺ: **(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسون فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة بأجنحتها وذكرهم الله فيمن عنده.)**

فتدخل بيت الله فيكفل الله لك السكينة والطمأنينة واستغفار الملائكة لك، وتشعر دائما بهدوء واتزان وطمأنينة لا تجدها في غير هذا الموطن أو لا تجدها كما تجدها في هذا الموطن .

رابعا / السكينة عند تلاوة القرآن:

ذكر لنا أسيد بن الحضير قصة تنزل السكينة حينما كان يقرأ وكان ذا صوت طيب بالقرآن كان يقرأ بسورة الكهف وكان بجانبه فرسه وقد ربطها إلى وتد فجعلت الفرس تضطرب وتتحرك كثيرا، فإذا توقف عن القراءة سكنت، فإذا واصل القراءة اضطربت، فقام ليرى ما الأمر؟

فإذا بأمثال القناديل المعلقة بين السماء والارض مثل هذه الثريا التي بالمسجد رأى منها ما هو بين السماء والأرض ترتفع ... فلما سأل رسول الله ﷺ أخبره أن هذه السكينة، وأن الملائكة تنزلت عليه تستمع لكلام الله عز وجل يقول فلو بقيت على تلاوتك لرآها الناس وهم ذاهبون الى الصلاة في الصباح.

إذن فتنزل السكينة مع تنزل الملائكة مع تلاوة القرآن.

****

قوانين السعادة

(13)

السعادة فى

تجنب الفتن

(13) السعادة في تجنب الفتن

عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، قالها النبي ثلاثا(رواه أبو داوود في سننه

ما معنى الحديث:

من أسباب السعادة أن يرزقك الله سبحانه وتعالى التوفيق في الطاعة، ويجنبك الوقوع في الفتن.

ما هي الفتن؟

الفتن مصدرها في نوعين:

7. **فتن الشهوات.**
8. **وفتن الشبهات.**

وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: {**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**} [الأحزاب: 32]، فهذا مرض الشهوة.

وقال تعالى: {**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**} [البقرة: 10]، وقال تعالى: {**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ**} [التوبة: 125]، فهذا مرض الشبهة، وهو أشد من مرض الشهوة، ففتنة الشُّبْهَة أخطر؛ لأنها إذا تمكنت في القلب قل أن ينجو منها أحد، لاعتقاده أنه على الصواب والمخالف هو المخطئ.

أولا/ فتن الشهوات

الشهوات لغةً: جمع "شهوة"، وهي: ميل النفس إلى ما تُحبّه وتميل إليه من متاع الدنيا، كالمال والنساء والطعام والمنصب ونحو ذلك .

واصطلاحًا: هي: ما يبتلي الله به عباده من الميل إلى المعاصي بسبب رغبات النفس وملذّاتها، مما يصرفهم عن طاعة الله واتباع أمره.

وتدخل فيها: فتنة النساء، فتنة المال، فتنة الجاه، والمنصب، التعلق بالدنيا وزينتها، حب الراحة والكسل عن العبادات.

قال تعالى: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذٰلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) [آل عمران: 14]

وفتنة الشهوات سببها تقديم الهوى على طاعة الله ومرضاته، كمن يقع في العشق المحرم، ومن يتلذذ بشرب المسكرات، أو يجمع الأموال بالربا.

يقول ابن القيم: دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان على خلقه. (10)

وقيل: الشهوة هي توقان النفس وميل الطباع إلى المشتهى وليست من قبيل الإرادة، قال الراغب الأصفهاني: أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده،

فالشهوات أغراض متعلقة بحاجة الجسد تفصح عنها النفس راغبة فيها، والمسلم لا يشبع إلا شهواته الصادقة بالحلال، ومن لم يراع الحلال والحرام في إشباع شهواته، أو سعى خلف الشهوات الكاذبة؛ فهو ممن يتبع الشهوات الذين ذمهم الله تعالى بقوله: {**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60)**} [مريم: 59- 60].

ثانيا/ فتنة الشبهات

الشُّبْهَة لغة هي: الالتباس والاختلاط، ومحلها العقل وطريقة التفكير وليس الجسد ورغبات النفس.

وفي الاصطلاح: التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين.

وإنما سميت الشبهة شبهة، لأنها تشبه الحق والباطل، ليست بحق واضح، ولا باطل لا شك فيه، هي بين ذلك.

وقد عرفها ابن القيم رحمه الله فقال: الشُّبهة: وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق (11)

والشبهة نوعان: عارضةٌ ومفتعَلة.

---

(10) الفوائد لابن القيم (ص: 58).
(11) مفتاح دار السعادة (1/ 140).

أما العارضة؛ فما يعترض العقل من فهمٍ لبعض مسائل الدين، وجلاؤها بالعلم أو بسؤال أهل العلم، ومنه قوله تعالى: {**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**} [النحل: 43].

وأما المفتعلة؛ فما يثيره أعداء الدين من المسائل بقصد تشويه عقول المسلمين حول مسائل الايمان والشريعة، وعلاجها يكون أولًا بتجنب الاستماع إلى من في قلوبهم زيغ، وثانيًا بتدبر القرآن الكريم؛ ففيه الإجابة عن كل شبهة تثار حول الايمان والدين، قال الله تعالى: {**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**} [الفرقان: 33]، وقال أيضًا: {**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**} [النحل: 89].

والشبهة والاشتباه ما كان دون الدليل والقرينة الصحيحة، لهذا لا تصلح أن تكون دليلًا على الشيء، أو يبنى عليها حكم أو تصور، وإذا اختلط الدليل بشبهة فلا يُعتدُّ به إلا بزوالها.

والشبهة في الشرع: ما التبس أمره فلا يدرى أحلال هو أم حرام، وحق هو أم باطل، ومن الورع تركه حتى يتبين الحكم الصحيح فيه، وهو الذي أمرنا نبينا ﷺ باجتنابه بقوله: «**الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات: كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» أخرجه البخاري

ما الفرق بين الشهوات والشبهات؟

الشبهة يتدين بها صاحبها، وتبقى في نفسه، وتترسخ في فكره وقناعته، بخلاف الشهوة التي تطرأ وتزول، ويقر مقترفها في خاصة نفسه بقبحها وحرمتها، ولكن غلبه هواه ونفسه الأمارة بالسوء، وهو قد يندم ويتوب ويستغفر ويأتي بالحسنات المكفرة.. الصلاة إلى الصلاة مكفرات، رمضان إلى رمضان مكفرات، العمرة مكفرة، الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.

قال ابن القيم رحمه الله: الفتنةُ نوعان: فتنة الشبهات -وهي أعظم الفتنتين-، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

ففتنةُ الشبهات من ضعفِ البصيرة وقلَّة العلم، ولا سيَّما إذا اقترنَ بذلك فسادُ القصد وحصولُ الهوى، فهنالك الفتنةُ العُظمى والمصيبةُ الكبرى، فقل ما شئتَ في ضلالِ سيءِ القصد الحاكم عليه الهوى لا الهُدى، مع ضعف بصيرته وقلَّة علمه بما بعثَ اللهُ به رسولَه، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: {**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ**} [النجم: 23]

وقد أخبر الله سبحانه أن اتباعَ الهوى يُضِلُّ عن سبيل الله؛ فقال: {**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**} [ص: 26].

وهذه الفتنة مآلُها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنةُ المنافقين وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم.

ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد إتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقهِ وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبته لله من الصفات والأفعال والأسماء وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان؛ فلا يجعلُه رسولًا في شيءٍ دون شيءٍ من أمور الدين؛ بل هو رسول في كل شيءٍ تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتلقَّى إلا عنه، ولا يُؤخَذ إلا منه.

وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنةُ الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتَيْن في قوله: {**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ**} [التوبة: 69]

أي: تمتَّعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخَلاَق: هو النصيبُ المُقدَّر، ثم قال: {**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**}، فهذا الخوضُ بالباطل، وهو الشُّبُهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصُلُ به فسادُ القلوب والأديان من الاستمتاع بالخَلاقِ والخوض بالباطل؛ لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلُّم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح؛ فالأول: هو البدع وما والاها، والثاني: فسقُ الأعمال..

وأصلُ كل فتنةٍ إنما هو من تقديم الرأيِ على الشرع، والهوى على العقل؛ فالأولُ: أصل فتنة الشبهة، والثاني: أصلُ فتنة الشهوة.

ففتنةُ الشُّبُهات تُدفَع باليقين، وفتنةُ الشهوات تُدفَعُ بالصبر، ولذلك جعلِ سبحانه إمامةَ الدين منوطةً بهذين الأمرين؛ فقال: {**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [السجدة: 24]، فدلَّ على أنه بالصبر واليقين تُنالُ الإمامةُ في الدين.

فبكمال العقل والصبر تُدفَعُ فتنةُ الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تُدفَعُ فتنةُ الشُّبهة، والله المستعان. (12)

علاج فتن الشبهات والشهوات

أولا / علاج فتنة الشبهات:

1- عدم الاستماع للشبهات أو مجالسة أصحابها:

فإذا كانت الشبهة من جليس سوء فابتعد عنه وإياك أن تجلس معه؛ لأن الله أمرك أن تقوم إذا ذكر الله بما لا يليق به في مجالس الظالمين {**وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**} [الأنعام: 68]؛ فلا يجوز للإنسان أن يجلس في المجالس التي تثار فيها الشبه ويضعف فيها الإيمان، ومثل ذلك القنوات والمواقع والصفحات التي تعرض الشبهات.

وهذه الفتنة صارت شرا مستطيرا في زماننا؛ فكل من أحب أن يشتهر يلقي بشبهة على أسماع الناس وصار الموضوع **(أكل عيش)**

شخص عمله: ملحد- والعياذ بالله- كنا قديما نسمع عن شخص يعمل مهندس دكتور مدرس؛ أما الآن في مهنة جديدة اسمها **ملحد** يخرج على القنوات وعلى وسائل التواصل ويروج للإلحاد.

وآخر اسمه مفكر إسلامي؛ وهو لا يعرف شيئا عن الإسلام، ولم يفهم في الاسلام، فيخرج يشكك في الإسلام، وفي آيات القران وفي السنة المطهرة، وهؤلاء هم الذين تفسح لهم المجالات الإعلامية ليعرفوا ويسمع لهم.

وتبلغ الجرأة ببعضهم مبلغا كبيرا لم نكن نسمع به من قبل فيقول: أنا غير مقتنع بهذه الآية، أنا غير مقتنع بهذا الحديث، أنا أرفض هذه الآية، أنا أرفض هذا الحديث!! كلام والعياذ بالله يخرج من الملة.

وقد قال الله في شأن بعض المنافقين **(سماعون للكذب)** فإذا عرض لك مقطعا من هذه المقاطع فلا تكمله لأنه مضيعة للوقت، وفتنة؛ بل إن كثيرا ممن سلكوا طريق الإلحاد كانت البداية طريق الشبهات، وتأمل معي قول

---

(12) إغاثة اللهفان (2/ 165- 167).

الحق تبارك وتعالى :"**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**" (سورة الإسراء: 73-74).

هذا رسول الله ﷺ!! والله يقول له (**لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا**) ولذلك لا تظن نفسك وأنت تسمع هذه الشبهات أنك ستنجو؛ لأن هذه الشبهات والعياذ بالله لها غبار يصيب قلب المؤمن، وأنت لست معصوم، قد يُقذف في قلبك بالشبهة فلا تخرج منه فتقع في الضلالة.

نسأل الله العفو والعافية.

وأذكر أن أحد علمائنا قال لي: "وأنت تذكر الشبهة لا تعرضها بالتفصيل، لأنك ستجد قلوبا تتلقفها، وذكّر الناس بالأصل وهو الدين الواضح، الصراط المستقيم.

و**قال ابن القيم: قال لي شيخ الإسلام**، وقد جعلت أورد عليه إيرادًا بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها، فلا ينضح إلا بِها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمرُّ الشبهات بظاهرها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعُها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها، صار مقرًّا للشبهات، -أو كما قال-، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك. (13)

2- علاج ضعف الإيمان:

فالشبهات ترد على الإنسان بضعف إيمانه، **فعليك** أن تأخذ بالأسباب التي تزيد في الإيمان، ومن أعظم ذلك تلاوة القرآن وتدبره، أن تختار لتلاوة كتاب الله أنسب الأوقات، وأن تقبل على كلام الله وأنت تحس كأن الله يخاطبك، وكأن الله يناديك، وكأن الله يوصيك، فإذا استشعرت بهذا الشعور دخلت الآية إلى سويداء قلبك وتغلغلت إلى جنانك وكان لها أطيب الأثر على جوارحك وأركانك، وكف الله بها عنك الوساوس والشكوك، القرآن فيه الحجج وفيه الآيات، وهذه الحجج والآيات تقوي القلب، وتجعل فيه الحصانة والقوة من هذه الشبهات التي ترد على القلب.

3-سؤال الله أن يصرفها عنه:

فعلى المؤمن أن يدعو الله أن يصرفها عنه، وأن يثبته على الإيمان الذي يحول بينه وبين هذه الشبهات، وأن يستعيذ بالله جل وعلا، لأن الله يقول في

---

(13) مفتاح دار السعادة (1/ 140).

كتابه: {**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [فصلت: 36]، فأمر الله بالاستعاذة إذا حصلت الشبهة، فأكثر من الاستعاذة فإن الله يعيذ من استعاذ.

والرسول ﷺ قال: (تعوذوا بالله من الفتن) اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدعو: (اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.)

4- العلم الشرعي الصحيح:

والله عز وجل أمتن على عباده بنعم كثيرة، ومن أفضل وأعظم ما يمنَ الله تعالى به على عبده هو العلم النافع، لأن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا؛ وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر، وضابط العلم النافع هو ما أزال عن القلب شيئين:

الأول: الشبهة، والثاني: الشهوة.

لأن الشبهات تورث الشك، وأما الشهوات فتورث درن القلب وقسوة القلب، وتثبط البدن عن الطاعات.

إذا أزال العلم النافع الشبهة والشهوة حل محل الأول اليقين الذي هو ضد الشك، وحل محل الثاني الإيمان التام الذي يوصل العبد لكل مطلوب المثمر للأعمال الصالحة.

وكلما ازداد الإنسان علمًا حصل له كمال اليقين وكمال الإرادة وكمال الخشية قال الله عز وجل: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**} [فاطر: 28]

وإذا كان العلم بهذه المنزلة وبهذه المثابة فإنه ينبغي للإنسان أن يحرص على طلبه، وأن يستزيد من طلب العلم، ولذلك لم يسأل النبي ﷺ المزيد من شيء إلا من العلم قال الله عز وجل: {**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**} [طه: 114]

5- الرجوع لعلمائنا الثقات:

فنحن عندنا النص من القرآن أو السنة ودلالة النص، ما دلالة كلام الله أو كلام رسول الله؟

فإذا جاء من يقول: قال الله تعالى وقال رسول الله، نقول له: تعال لنرى ماذا قال علماء التفسير، وماذا قال علماء الحديث، وماذا قال فقهاؤنا الأعلام؛ فنرد الأمر إلى علمائنا.

والإسلام علمنا احترام التخصص فقال: **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** [الأنبياء:7]

في مسألة صحية اسأل الأطباء، وفي مسألة قانونية اسمع لمحامي، ولو مسألة في الضرائب اسمع لمحاسب، وهكذا لو مسألة شرعية اسمع لعالم.

وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعا بلفظ: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) صححه الألباني في " صحيح سنن أبي داود ".

والمقصود بالأئمة المضلين: الأئمة المتبوعون الذين يضلون الناس عن سبيل الله، فيدخل في ذلك: الحكام الفسدة، والعلماء الفجرة، والعباد الجهلة.

ومعنى الحديث: أن الأئمة المضلين من أشد ما يخاف النبي ﷺ على أمته، حتى إنهم أخوف عنده على أمته من الدجال؛ لأن الدجال كذاب أعور ويقول أنا ربكم ومكتوب بين عينيه كافر يقرأها كل مسلم قارئ وغير قارئ، فشكله يخبر عن كذبه، لكن إذا كان الدجال شيخا بلحية أو شيخا معمما بلقب أستاذ دكتور بروفسور علامة الخ هذه الألقاب، وهو إمام ضال مضل فهذا فتنته أشر من فتنة المسيح الدجال.

6- تلقى الأخبار الإلهية باليقين:

أخبرنا الله عن نفسه، وجنته وناره، والبعث، والملائكة، والجن.. فهل أحد أصدق من الله تعالى؟ {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**} [النساء: 87] {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**} [النساء: 122]، {**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**} [الأنعام: 115]، صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، لا مبدل لكلمات الله.

فعلينا أن نتلقى الأخبار الإلهية باليقين، واليقين هو منتهى درجات التصديق، أي أن يستيقن القلب ويثبت ويطمئن على هذا الكلام أنه حق، فالله يقول في القرآن الكريم: {**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**} [الذاريات: 23] (الحق) البعث.

ويقول في آية أخرى: {**وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**} [يونس: 53]، إنه حق: أي البعث.

ويقول: {**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**} [التغابن: 7]، إن كان مستحيلًا بالنسبة لكم فهو يسير عند الله.

ثانيا/ علاج فتنة الشهوات

1- البعد عن أسبابها:

كل الأسباب التي تثير الشهوة ابتعد عنها، غض البصر عن الحرام، وعن استماع الفحش والآثام، وابتعد عن أماكن الفتن؛ فإن ذلك يعصم الله به قلبك، فإن الإنسان إذا حفظ سمعه وبصره صانه الله عن الشهوات، ولم يجد الشيطان عليه سبيلًا أن يعلق قلبه بها.

2- علاج ضعف الإيمان:

خذ بالأسباب التي تزيد في إيمانك حتى تقوى على البعد من الشهوات، **وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فأسالوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) رواه الحاكم.**

3- تقوى الله عزوجل:

وبتقوى الله تعالى تنزاح الشهوات، فاستحضار مراقبة المولى عز وجل، ومخافة الله عز وجل، وكل ما يمكن أن تجمعه كلمة تقوى الله هي علاج الشهوات

4- أن نتسلح بسلاح الصبر:

الصبر على أوامر الله، والصبر عن المحرمات، والشجاعة كما يقولون: صبر ساعة، اصبر قليلًا، فأنت لو لم تصبر على مر التعلم لا يمكن أن تنجح، ولو لم تصبر على تعب السعي لا يمكن أن تجمع المال الذي يغنيك عن ذل السؤال، إذن لماذا لا تصبر على الدين؟

تصبر على كل شيء إلا على الدين، فلا بد من الصبر، ولهذا فإن الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ولا دين لمن لا صبر له، كما أنه لا حياة لمن لا رأس له.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الصبر في أكثر من تسعين موضعًا، وأمر الله به، وأمر به الرسول، يقول الله للرسول: {**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**} [الأحقاف: 35]، {**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [النحل: 96]، {**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**} [الزمر: 10]

5- الاستعاذة بالله من الفتن:

فإن الاستعاذة من مضلات الفتن مشروعة، كما في حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال النبي "ﷺ :تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال .رواه مسلم .

وسيدنا عمر كان يدعو اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

الخلاصة:

1-السعيد من جنب الفتن.

2-اعتصم بالكتاب والسنة.

3-اغلق أذنك عن سماع الفتن والشبهات فربما تسمع الشبهة فتسبب لديك وسواس وشك وتظل هكذا حائرا لا تستطيع لها جوابا.

4-رد الأمر للعلماء العاملين العالمين بالكتاب والسنة.

5-الدعاء أن يثبتك الله على الحق.

فمن أراد السعادة والسلامة لدينه ودنياه وآخرته فليتجنب الفتن.

****

قوانين السعادة

(14)

لا تحزن

فإن الحزن يأكل القلب

(14) لا تحزن فإن الحزن يأكل القلب

الحزن شعور إنساني فطري يمر به كل واحد منا في حياته نتيجة فقد أو فشل أو خوف أو صدمة، لا يسلم منه أحد، صغيرًا كان أو كبيرًا، رجلاً أو امرأة، لكنّ الفرق بين الناس هو في كيفية التعامل معه؛ فمنهم من يغلبه الحزن فيحوّله إلى يأسٍ واكتئاب، ومنهم من يحوله إلى دافع للنهوض والتغيير؛ ورغم أنه انفعال طبيعي، إلا أن الاستسلام له بشكل دائم قد يحرم الإنسان من التوازن النفسي والسعادة.

تعريفه:

الحزن لغةً: ضد الفرح، ويُقال "حَزِن يحزن" إذا اغتمّ.

اصطلاحاً: هو انفعال نفسي سلبي يتسم بالشعور بالكآبة والضيق نتيجة فقدان شيء ذي قيمة أو مواجهة ظرف ضاغط.

قال ابن القيم رحمه الله :ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيًّا عنه، أو منفيًّا، فالمنهي عنه كقوله تعالى :﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾]**آل عمران: 139**]، **وقوله :﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: 127]، وقوله :﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40]، والمنفي كقوله :﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38].**

وسر ذلك :أن الحزن يقطع العبد عن السير إلى الله، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يُحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالى :﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ**﴾]**المجادلة: 10**]، **ونهى النبي ﷺ الثلاثة أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث؛ لأن ذلك يحزنه.**

فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ**»، فهو قرين الهم، والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يُستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مُفتر للعزم.

قال تعالى عن أهل الجنة إذا دخلوها :﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾]**فاطر: 34**]، فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما تصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم.

وأما قوله تعالى :﴿**وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا**

يُنْفِقُونَ﴾]التوبة: 92]، فلم يمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة، ففيه تعريض بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: (ما يُصيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ، حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ) فهذا يدل على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد، يكفر بها من سيئاته، لا يدل على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه. (14)

وقد نفى الله تعالى عن المؤمنين الخوف والحزن في الآخرة، ووعدهم كذلك بالسعادة في الدنيا ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97]، وقال تعالى :﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: 63]**، وأما في الآخرة، فقد قال تعالى : ﴿ **وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾**،أي لفقد الدنيا، أي من تولاه الله تعالى وتولى حفظه، ورضي عنه، فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن، **وقال تعالى :﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف: 68]**

كيف نتغلب على الحزن؟

إن طبيعة الإنسان في هذه الحياة الدنيا تتقلب من صحة إلى مرض، ومن عافية إلى بلاء، ومن فرح إلى حزن، والسعيد حقاً من جمع بين ثلاث خصال:

- الشكر في حال النعم.
- والصبر في حال البلاء.
- والاستغفار حيال الذنوب.

وإذا كانت حياة الإنسان عرضة للهموم، والغموم، والأحزان، والأكدار، فإن هذا يوجب علينا أن نسعى إلى إزاحة هذه الهموم والأحزان ما أمكننا ذلك بالسعي في أسباب انشراح الصدر ومنها:

---

(14) مدارج السالكين (3 /377-378) باختصار وتصرف.

أولا/ الاستعاذة بالله والدعاء:

الاستعاذة بالله تعالى من الحزن، فقد كان من هدي النبي ﷺ مداومة الاستعاذة بالله من الهم والحزن، وذلك لأن الحزن الحامل على الجزع إذا لم يدفعه صاحبه من أوله فإنه يستحكم عليه، حتى يتحول إلى مرض يقعده عن العمل والحركة، كما جاء في حديث أنس بن مالكٍ -رضي الله تعالى عنه- قال: كان النبيُّ ﷺ يقول :(**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدَّين، وغلبة الرِّجال) صحيح البخاري**

وأرشدنا النبي ﷺ إلى هذا الدعاء عند وقوع الهم والحزن، فقال: (ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا»، قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ قال: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها) رواه أحمد.

ثانيا: الرضا

وأقصد به الرضا بقضاء الله وقدره يقول النبي ﷺ: **" ذاق حلاوة الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا " رواه مسلم.**

إن أثر الرضا في النفس عجيب إذ إنه يذيب شتى أنواع الآلام والأحزان الناتجة عن التعرض للمواقف، والمشكلات، أو المصائب التي ربما تحدث للإنسان، فتزيده اكتئاباً، أو تظلم الحياة في عينيه يقول الله تعالى: **(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)** (البقرة:155 - 157)، **وهذا ما قاله رسول الله :"عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير"، يقول: "وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن" لماذا؟ لأن المؤمن إن أصابته سراء ...السراء هي المسرة، الخير، الصحة، الرزق، العافية، نعمة الولد، نعمة المال، هذه النعم، شكر فكان خيرًا له، (وإن أصابته ضراء) المضرة، يكون في مرض في بلاء في نقص في موت حبيب، (وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له.)**

ويقول ابن عطاء الله السكندري في كتابه الحكم العطائية: ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك، ومتى فتح لك باب الفهم في المنع، صار المنع عين العطاء

ومعناها: أن الله تعالى قد يعطي الإنسان ما يطلبه، وقد يمنع عنه شيئًا يرغب فيه، ولكن هذا المنع قد يكون في حقيقته عطاءً، حيث يفتح للإنسان أبوابًا للفهم والتدبر في حكمة الله، ويقوده إلى الاستبصار بأن المنع قد يكون فيه خير أكبر من العطاء الظاهري .

فإذا أدرك الإنسان الحكمة من وراء المنع، وأيقن أن الله لا يمنع إلا لحكمة يعلمها، تحول المنع في نظره إلى عطاء، حيث يجد فيه خيرًا ورشادًا .

إذن العطاء والمنع هما وجهان لعملة واحدة، وفهم الحكمة الإلهية في كليهما هو مفتاح السعادة والرضا .

ثالثا: ذكر الله:

قال الله سبحانه: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" (الحجر:97-99).

وذكر الله سبحانه سلاح المؤمن في كل المواطن والمواقف والمشكلات والأزمات، وبه يدفع المؤمن عنه الأمراض وتكشف الكربات وتهون عليه المصائب.
والمؤمن الحق هو الذي يفزع إلى ذكر الله إذا نزل به بلاء أو مصيبة ويلجأ إليه إذا دارت عليه دائرة أو حلَّت به نازلة.
وذكر الله سبحانه هو جنة المتقين التي يفرون إليها إذا ضاق بهم سجن الدنيا، فترى الذاكر بجسده في الدنيا سجينًا، لكنه بروحه وقلبه في الجنات مرفرفًا فرحًا مسرورًا، ذلك أن ذكر الله - لمن أحبه وداوم عليه - لا يدع قلب الإنسان الحزين إلا مسرورًا، ولا يدع نفس المتألم إلا راضية سعيدة.

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ **[الرعد: 28]**

رابعا/ التسليم لأقدار الله تعالى:

الرضا بأقدار الله المؤلمة: مثل وفاة حبيب أو قريب، أو الابتلاء بالمرض، أو الابتلاء بالخسارة، أو ما شابه ذلك من أنواع الابتلاء، وهذا مما يشق

على النفس، لكن حينما أرضى عن الله جل وعلا في قدره، وأقول: **{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}** [سورة البقرة: الآية 156]، فأنا بذلك رضيت بالله ربًّا.

وما أطيبها من كلمات! ثبت الله تعالى بها قلوب إخواننا في غزة مع شدة ما يرون من البلاء والعذاب وشدة ما يعانون من التجويع والتهجير والقتل وسفك الدماء، إلا أنك تجد أحدهم صابرًا محتسبًا حامدًا لله عز وجل، يعلم أن لله فرجًا قريبًا، وأن من عاش منهم يحيا كريمًا لم ينحنِ ولم يركع، ومن قُتل منهم قُتل شهيدًا وله الجنة إن شاء الله.

فالتسليم لقدر الله من أسباب طرد الهموم والأحزان، وعكسه مجلبة للحزن، فالإنسان إذا لم يستسلم قلبه لتدبير الله فتح على نفسه أبواب الهموم والأحزان، فعن أبي هريرة، قال: **قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم**
فنهى الرسول ﷺ الرجل بعد وقوع ما قدر الله له أن يقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، لأن ذلك ذريعة إلى عمل الشيطان، ولا يجلب عليه إلا الحزن والندم وضيق الصدر والسخط على المقدور واعتقاد أنه كان يمكنه دفع المقدور لو فعل ذلك، وذلك يضعف رضاه وتسليمه وتفويضه وتصديقه بالمقدور.

خامسا/ التفكر في نعم الله:

كلما طال تأمل العبد في نعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، أيقن أن ربه قد أعطاه خيراً كثيراً، ودفع عنه شراً كثيرا، ولو تأمل الإنسان نعم الله عليه لوجدها تغمره من رأسه حتى أخمص قدميه، **قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]**

وصدق الله القائل: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: 34].

فالعبد منغمس في نعم كثيرة، ثم تراه يعيش مهموماً مغموماً حزيناً كئيباً.

سادسا/ الصلاة الخاشعة:

إذا لحق المسلم هم، أو غم، أو حزن، فليفزع إلى الصلاة، فإنها كفيلة أن تُذهب همه، وغمه، وحزنه، وكمده؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ **[البقرة: 45]**

سابعا / الإعراض عن وسوسة الشيطان:

الكثير منا في خلده أن الشيطان يوسوس فقط بالمعاصي، الشيطان من مداخله على الإنسان إدخال الحزن على المسلم فيتفنن كيف يحزنه، **قال تعالى :** ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ **[المجادلة: 10]**،فيدخل عليك من خلال المخاوف ويضخمها ويكبرها لتكون طول الوقت حزينا مكتئبا قلقا متوترا، ومع ضعف الإيمان، ونسيان ذكر الله، أو الغفلة عن ذكر الله يتمكن الشيطان من إملاء وساوسه، ويتآكل قلبك بالحزن فيوصلك لمرحلة كره الدنيا وترى المستقبل أسود وأنك فاشل فتيأس من دنياك وتفكر في الانتحار... وهذا أكبر مكسب لإبليس وأنت حققت له النجاح بمهمته بأن صدقته في كل ما يقوله لك، لأن الشيطان يتملك ابن ادم من خلال أربعة أسباب: الحزن والخوف، والغضب ، والشهوة الحرام .

ثامنا/ شرب التلبينة:

سميت التلبينة بهذا الاسم تشبيها باللبن لبياضها ورقتها، وهي حساء من دقيق الشعير بنخالته يضاف مقدار ملعقتين كبيرتين على كوب من الماء وكوب من اللبن(الحليب) وتطهى على نار هادئة لمدة [5:10] دقائق ثم يضاف ملعقة عسل نحل، وقد يضاف إليها حسب المذاق بدلا من الماء والحليب مرق الدجاج أو مرق اللحم.

عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك، وكانت تقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إِنَّ التَّلْبِينَةَ تُجِمُّ فُؤَادَ الْمَرِيضِ، وَتَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ) رواه البخاري

****

قوانين السعادة

(15)

الاستخارة

(15) الاستخارة من أسباب السعادة

عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال (من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله)
رواه أحمد
في هذا الحديث يعلمنا الرسول ﷺ أن الاستخارة سبب من أسباب السعادة، كيف ذلك؟

أهمية الاستخارة:

الإنسان مخلوق ضعيف، بحاجة إلى إعانة الله تعالى في أموره كلها؛ وذلك لأنه لا يعلم الغيب، فلا يدري أين موطن الخير والشر فيما يستقبله من حوادث ووقائع؟

والمسلم في هذه الدنيا تعرض له أمور مباحة يتحير منها، فإذا كنت مقبلا على شيء لا تدري أهذا الشيء خير أم شر من الذي يعلم؟

الله سبحانه وتعالى؛ فأنت باستخارتك تفوض الأمر لله، وتقول اللهم اختر لي، ودبر لي الأمر فإني لا أحسن التدبير.

فتستخير للزواج من فلانة أو للسفر أو لبيع أو شراء سيارة أو بيت أو حتى الملابس ...الخ.

لذا كان من حكمة الله سبحانه ورحمته بعباده أن شرع لهم الاستخارة، لأن المسلم على يقين لا يخالطه شك أن تدابير الأمور وصرفها بيد الله سبحانه وتعالى وأنه يقدر ويقضي بما شاء، في خلقه، قال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [القصص: 68]

الاستشارة مع الاستخارة:

إذا أراد المسلم الاستخارة في الأمور الهامة كالزواج أو السفر أو البيع أو الشراء فعليه مع الاستخارة أن يستشير غيره من أهل الخبرة والمعرفة.

كما في حديث فاطمة بنت قيس عندما خطبها معاوية وأبو جهم بن حذيفة فقال رسول الله ﷺ أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه (يقصد أنه كثير الضرب)، وأما معاوية فصعلوك (فقير) لا مال له ولكن انكحي أسامة بن

زيد فكرهته ثم قال انكحي أسامة بن زيد فنكحته فجعل الله عز وجل فيه خيرا واغتبطت به.

على أن يكون الشخص الذي تستشيره ذا رأي وخبرة في الأمور وتأن وتجربة وعدم تسرع، وأن يكون صالحاً في دينه.

لماذا عد النبي ﷺ الاستخارة من أسباب السعادة؟

1- لأنها تريح القلب من الحيرة والقلق

الإنسان بطبعه محدود العلم، يخاف أن يخطئ في الاختيار، لكن عندما يستخير الله، يشعر أن القرار لم يعد عبئًا عليه، لأن الله هو من سيختار له. فيهدأ قلبه ويزول عنه القلق.

2-لأنها تُقوّي التوكل على الله

الاستخارة تذكِّر العبد أن الله هو العليم الذي أحاط بكل شيء علما وأنه هو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه الصحيح، فالعبد فيها يفوض ربه في اختيار الخير له ويوقن أن الخير بيد الله وحده، وهذا التوكل من أعظم أسباب الطمأنينة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

3- لأنها تمنع الندم بعد القرار

من استخار الله ثم مضى فيما اختار له الله، لا يندم بعد ذلك، حتى لو ظهرت له نتائج لم تعجبه في الظاهر، لأنه يعلم أن الخير فيما اختاره الله له.
أما من تصرف دون استخارة، فقد يُبتلى بالندم ويقول: لو أني فعلت كذا....

وهذا من تمام السعادة: ألا يعيش المرء في دوامة "لو" و"ليت".

4- لأنها تربي القلب على الرضا بالقضاء

الاستخارة تجعل العبد يُسلم أمره لله قبل أن يقع، ثم يرضى بعد وقوعه.
فهي تزرع في القلب عبودية عظيمة **التسليم والرضا**، وهذا هو لبّ السعادة.

5- لأنها دليل على حياة القلب واتصاله بالله

العبد الذي يستخير في أموره كلها يعيش دائمًا في معية الله، يشعر بقربه، ويستشعر توفيقه، وهذا القرب من الله هو **السعادة الحقيقية**.

دعاء صلاة الاستخارة:

عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل:

(اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (هنا تسمي حاجتك) خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، اللهم وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (هنا تسمي حاجتك) شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به. ويسمي حاجته)

وفي رواية (ثم رضني به) رواه البخاري

فيسن لمن أراد أمرا من الأمور المباحة والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد.

متى يكون الدعاء في صلاة الاستخارة؟

دعاء الاستخارة يكون بعد السلام من الصلاة على الصحيح من أقوال أهل العلم وهو قول الأئمة الأربعة.

لقوله ﷺ وهو يعلم صلاة الاستخارة ودعاءها لأصحابه: "فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم..." إلى آخر الحديث.

فقوله ﷺ "ثم ليقل " بعد أمره بصلاة ركعتين، ومن المعلوم أن حرف (ثم) يقتضي الترتيب المتراخي بين المعطوفين، فدل هذا على أن الدعاء بعد السلام.

وذهب ابن حجر إلى جواز الدعاء بعد السلام وقبله، وهو قول ابن تيمية، إلا أنه فضّل أن يكون الدعاء قبله.

تنبيهات وفوائد:

1- إن أردت أن تستخير بعد سنة راتبة أو صلاة ضحى أو غيرها من النوافل، فيجوز بشرط أن تنوي الاستخارة قبل الدخول في الصلاة، أما إذا أحرمت بالصلاة فيها ولم تنو الاستخارة فلا تجزئ.

2- إذا كان هناك مانع من الصلاة – كالحيض للمرأة –فالاستخارة تكون بالدعاء دون الصلاة، وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية، حيث أجازوا الاستخارة بالدعاء فقط من غير صلاة إذا تعذرت الاستخارة بالصلاة والدعاء معا.

3- إذا كنت لا تحفظ دعاء الاستخارة فاقرأه من ورقة أو كتاب، والأولى أن تحفظه.

4- إذا استخرت فأقدم على ما أردت فعله واستمر فيه، ولا تنتظر رؤيا في المنام أو شي من ذلك.

5- إذا لم يتبين لك الأصلح فيجوز أن تكرر الاستخارة.

6-لا تجعل هواك حاكما عليك فيما تختاره، فلعل الأصلح لك في مخالفة ما تهوى نفسك (كالزواج من فتاة معينة أو شراء سيارة معينة ترغبها أو غير ذلك) بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأسا وإلا فلا يكون مستخيرا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة.

7- لا يستخير أحد عن أحد، ولكن من الممكن أن تدعو الأم لابنها أو ابنتها أن يختار الله لها الخير.

8- إذا تعددت الأشياء فهل تكفي فيها استخارة واحدة؟ أو لكل واحدة استخارة؟ الأولى والأفضل لكل واحدة استخارة وإن جمعها فلا بأس.

ماذا يفعل بعد الاستخارة؟

إذا صلى المسلم الاستخارة أقدم على ما ينوي فعله، فإن كان خيرا يسره الله له، وإن كان شرا صرفه الله عنه وأبعده منه.

لا رؤيا ولا أحلام:

يعتقد الكثير بأن لصلاة الاستخارة رؤيا بعدها، تكون بشارة لتنفيذ الأمر أو نحوه وهذا خطأ شائع فلا رؤيا ولا أحلام أو منامات أو غيره بل تتوكل على الله في أداء الأمر قال الله تعالي: ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**

﴿الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159] فان هيأ الله لك الأمر وسددك فيه وسهله لك فهو كذلك وان أبعدك عنه فهذا قدر الله.

ولو فرض أن تعبير الرؤيا كان يدل على خير، فإن الرؤى الصالحة مبشرات، لكن لا يعتمد عليها، بل ينبغي التحري والسؤال عن المتقدم للخطبة مثلا، والتأكد من سلامة دينه، وأخلاقه، وغيرها مما يهم التعرف عليه في شأنه، فإذا تحققنا من هذه الأمور، تكون الرؤيا الصالحة هي بمثابة التبشير، والتفاؤل بالخير من هذا الإقدام.

****

قوانين السعادة

(16)

لا تكثر من

العداوات مع الناس

(16) لا تكثر من العداوات مع الناس

أسعد نفسك بحب الناس لك

خلق الله البشر مختلفين، فكل إنسان له شخصيته المستقلة، وتفكيره المتميز، وطابعه المتفرد، فالناس منذ خلقهم الله وهم مختلفي الطبائع والرغبات والميول، وهذه سنة الله في الخلق لتدور عجلة الحياة بهذا التنوع البشري:

-من الناس من يتميز بالروح المرحة وآخر خشن التعامل.

- ومنهم من يأخذ الأمور بجدية، ومنهم من يأخذها باستهتار.

-ومنهم من يحب المزاح ومنهم من يحب النكد.

- ومن الناس من يميل إلى التشديد، ومنهم من يميل إلى التيسير.

- ومنهم ذو الطبيعة المرحة المنبسطة ومنهم ذو الطبيعة الانطوائية المنكمشة.

وإن من العبث كل العبث أن يراد صب الناس كلهم في قالب واحد في كل شيء، وجعلهم نسخا مكررة، ومحو كل اختلاف بينهم، فهذا غير ممكن، لأنه مخالف لفطرة الله التي فطر عليها الناس.

وهذا الاختلاف آية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته وبديع حكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: 22]

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"

وعن أبي موسى الأشعري أن الرسول ﷺ قال: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب" صححه الألباني

ويُعلم بداهةً أن معاملة هذه الاختلافات معاملةً واحدةً لا يستقيم، فما يلائم هذا لا يناسب ذاك، وما يحسُنُ مع هذا لا ينفع مع غيره، لذا قيل:**(خاطبوا الناس على قدر عقولهم).** [15]

اختلاف العقول ثراء، أما اختلاف القلوب داء:

لماذا اختلاف القلوب داء؟ لأن اختلاف القلوب ناتج عن اختلاف في الآراء أدى إلي وجود الكراهية، والخصومة والعداوة، القلب امتلأ بالحقد على هذا الشخص الذي خالفني بالتالي أنا استحل عرضه وهيبته واستحل أن أؤذيه وأن أنتقم منه انتصارا لحظ نفسي!!! وهذه المسألة لا أدري ما سبب شدتها حتى بين أوساط المتدينين الملتزمين بدينهم، وقد تنبه الإمام الشافعي- رحمه الله – لهذا الأمر لما تناقش مع تلميذه يونس بن عبد الأعلى في مسألة فاختلفا (الاختلاف وارد في فروع الفقه بين الشيخ وتلميذه) وانتهى الحوار، ولم يتفقا، قال: فأمسك الشافعي بيدي وقال: يا أخي ما علينا لو اختلفنا في مسألة ولم تختلف قلوبنا.

نحن عندنا تختلف قلوبنا وأضلاعنا وتنهدم الدنيا ونمكر الشر والسوء بمن خالفنا ونتفنن كيف نؤذيه، وكيف ننشر أسراره ونهتك أستاره، ونفضحه ونشهر به أمام الناس، ما السبب يا أخي؟ لقد اختلف معي!!! على مبدأ :من وافقني فهو قديس ومن خالفني فهو ابليس!!! وهذا مبدأ سقيم.

سلامة الصدر جزء من نعيم الجنة:

بعض العلماء قال كلمة جميلة جدا قال أما تعلمون أن سلامة الصدر جزء من نعيم الجنة؟ قالوا كيف هذا؟ قال، قال تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف: 43]، فهل تحب أن تعيش سليم الصدر متمتعا بجزء من نعيم أهل الجنة؟

مع ضيق الصدر تضيق بك الحياة والله، وكلما زدت في الخصام والعداوات كلما تضيق الأرض عليك ويضيق صدرك؛ تماما كالسجان (حارس السجن) فهو مسجون مع المساجين، لكن الفارق أنهم بالداخل، وهو بالخارج، فإذا أراد أن يكون حرا طليقا فلا بد من إخراج المساجين .... فنفس القصة أنت تتخذ مواقف عاديت فيها أخاك أو أختك أو والدك أو

(15) ويذكر على أنه حديث لكنه من مراسيل سعيد بن المسيب فهو لا يصح مرفوعا.

والدتك أو صديقك أو صديقك في العمل ... وتزيد في العداوات ثم ماذا بعد؟

بعض الأطباء النفسيين في أوروبا جعلوا من ضمن البرامج العلاجية للمرضى النفسيين أن يذهب ويقدم بعض الهدايا للأطفال اليتامى، وللمرضى، وللمحتاجين الذين هم من أصحاب الإعاقة وقالوا: إن هذا يفرز هرمون معين في الجسم يؤدي إلى شعور بالسعادة. سبحان الله!

يعني أنت حينما ترى بسمة على وجه غيرك أنت سبب فيها أنت تفرح وتسعد.

إذن لماذا أكتب على نفسي الشقاء؟ ولماذا أنا مصر على أن تكون الحياة كلها تعاسة ومشاكل؟

لا يجب عليك مصادقة الجميع:

-لا يلزمك أن تتخذ كل الناس أصدقاء ولا نتخذهم أعداء.

-من لم تتخذه صديقا فلا تتخذه عدوا.

-ليس كل الناس ملائكة، وليس كل الناس شياطين.

-تعامل مع الناس بالخلق الحسن وبالكلمة الطيبة وبالنصيحة.

-انتقِ أصدقائي مثل انتقاء الجواهر.

لماذا كان التقليل من العداوة من أسباب السعادة؟

أولًا: لأن العداوة تُشقي القلب:

العداوات تُشعل في القلب نار الغلّ والحقد، فالذي يحمل البغضاء لا ينام مرتاحًا، ولا يعيش مطمئنًا، بل يفكر في خصومه أكثر مما يفكر في أهدافه.

ثانيًا: لأن المسالم محبوب عند الله والناس

النبي ﷺ قال: **(ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)** رواه الترمذي.

أي أن **إصلاح العلاقات** أعظم من كثير من النوافل، لأن بقاء العداوة يهدم المجتمع ويُفسد القلوب، فكلما كان قلبك سليمًا من الكراهية والحسد، ازداد الناس حبًّا لك، وازداد الله عنك رضًا.

ثالثًا: لأن من ترك العداوة عاش في طمأنينة

من يقلّل العداوات يعيش **خفيف الروح، مرتاح الفكر، بعيدًا عن القلق.**
فهو لا يخاف من لقاء أحد، ولا يتحاشى الناس في المجالس أو الطرقات، ولا يحمل في صدره إلا نية الخير.

رابعًا: لأن من يسالم الناس يسلم دينه ودنياه

كثرة الخصومات تُوقع الإنسان في الغيبة، والظلم، والكذب، ورفع الصوت، والغيظ... وكلها **تفسد العمل الصالح** وتطفئ نور الإيمان.
أما من سلم قلبه من الخصومات، فقد سلمت عبادته وعلاقته بربه، وفي هذا المعنى يقول الرسول الله ﷺ: (**المؤمن ليس بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء**) رواه الترمذي.

خامسًا: لأن المسامحة تفتح أبواب الرحمة

من يسامح الناس يُسامحه الله، ومن يعفو عن الناس يعفو الله عنه وإذا أغلقت باب العداوة، فتح الله لك باب السكينة والبركة، قال تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ **[النور:22].**

بينها وبين أبيها قطيعة منذ 12 سنة!!

كنت أسمع لبعض المشايخ يقول جاءتني امرأة تقول إن بينها وبين أبيها قطيعة من 12 سنة !!فقال لها: أنا لن أقول لك: قال الله وقال الرسول ﷺ والمفروض والمتبع...بالله عليك هل اشتقت لأبيك هل وحشك؟

قالت له: والله وحشني.

قال: إذن اكتبي له رسالة حاولي أن تتصلي عليه.

قالت: إنه سيرفض.

قال لها: اكتبي مرة واثنين وثلاثة، أنت لك أب واحد اكسبيه واكسبي رضاه وفوزي بدعواته.

ورجعت الأخت للشيخ في اليوم التالي قالت له: جزاك الله عني خيرا، ما إن اتصلت على والدي وسمع صوتي إلا أن قال لها وحشتني يا ابنتي!!! وانتهت القطيعة.

الشيطان يوقع بيننا العداوة والبغضاء ويفسد العلاقات بين الأرحام والأقارب وللأسف هذه العداوات تورث ويخرج أولادك لا يعرفون جدا ولا عم ولا خال.

حكى لي أحد الإخوة أن بمدينتهم أختين البيت ملتصق بالبيت لا تكلم إحداهما الأخرى منذ عشرين سنة تقريبا والسبب أنهما ورثتا بيتا عن أبيهم، وكل واحدة تريد من الأخرى أن تبيع لها البيت سبحان الله العظيم!!

تريد قتل حماتها:

من القصص الطريفة التي قرأتها تزوجت فتاة...وذهبت للعيش مع زوجها وحماتها ...وبعد وقت قصير اكتشفت أنها لا تستطيع التعامل مع حماتها، فقد كانت الأخيرة تنتقدها وتثير غضبها.. ولم يتوقفا يوما عن الجدال والصراخ، كان الزوج بدوره يعانى أحزاناً ومشقة.. ولم يعد في استطاعة الزوجة التحمل أكثر..
قررت أن تفعل شيئا.. فذهبت (لصيدلي) صديق عائلتها... شرحت له الوضع بالتفصيل وسألته أن يمدها ببعض العقاقير السامة حتى تتخلص من حماتها إلى الأبد..

فكر الصيدلي ثم دخل غرفة التحضير دقائق ثم خرج ومعه زجاجة صغيرة مزودة بقطارة وقال: ليس من الحكمة أن تستخدمي سماً سريعَ المفعول، وإلا ثارت حولك الشكوك، لذا سأعطيك هذا العقار الذي يعمل تدريجيا وببطء، وعليك أن تجهزي لها كل يومين طعاما من الدجاج أو اللحم وتضعين عليه نقاط من هذا السم بالقطارة، وفى هذه الأثناء عامليها بلطف وتودد.. لا تتشاجري معها أبدا مهما كانت الظروف.. عامليها كما لو كانت أمك، حتى إذا انقضت أيام عمرها لم يشك فيك أحد...وسعدت الزوجة بهذا الحل وأسرعت إلى المنزل لتبدأ التنفيذ على الفور.....
مضت الأيام والشهور وهى تحرص على التنفيذ بكل دقة وتتذكر دائماً ما قاله الطبيب لعدم الاشتباه، فتحكمت في طباعها وأسواه وعاملتها كما لو كانت أمها..
بعد ستة أشهر تغير جو الأسرة تماما، مارست الزوجة تحكمها في طباعها بقوة وإصرار، نشأ جو من الحب والصداقة بينها وبين حماتها التي تغيرت

هي الأخرى، وصارت كالأم الحنون لزوجة ابنها.. أصبح الزوج سعيدا بما طرأ على جو الأسرة وهو يلاحظ كل ما يحدث.. بعد هذه المدة ذهبت الزوجة للصيدلي ولكن هذه المرة لتقول له: من فضلك ساعدني لأمنع السم من قتل حماتي، فقد صارت جداً لطيفة وأنا أحبها الآن مثل أمي، أرجوك لا أريدها أن تموت!!...

ابتسم الصيدلي وهز رأسه وقال يا بنيتي: أنا لم أعطك سماً قط لقد كان المحلول الذي بالزجاجة ماء!

أما السم الذى أوشك أن يقتلك فقد كان قابعاً في عقلك، والآن تأكدت والحمد لله أنك برئتِ منه!

****

قوانين السعادة

(17)

احذر

كثرة الديون

(17) احذر كثرة الديون

من أكبر أسباب القلق عند كثير من الناس كثرة الديون، ترى كثيرا من البيوت دخلهم مرتفع، لكن الفواتير كل شهر كثيرة، هذه فاتورة كذا وهذه فاتورة كذا، ثم يجد الرجل نفسه مفلسا بعد سداد الفواتير والأقساط.

الاعتدال في الإنفاق:

للاستهلاك في الإسلام أولويات لا بد من مراعاتها بحيث يبدأ المسلم بسد حاجات نفسه أولاً، ثم أهله ثم أقربائه ثم المحتاجين.

فقد قال رسول الله "ﷺ: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا" يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك) رواه مسلم عن جابر.

وينبغي للمسلم أن يقوم بتلبية ضروراته أولا، ثم حاجياته، ثم تحسيناته.

فالضروري :ما تتوقف عليه حياة الناس كالطعام والشراب.

والحاجيات هي :ما يرفع الحرج ويدفع المشقة عن الناس كالتعليم والمسكن والزواج.

والتحسينيات :ما يؤدي إلى رغد العيش ومتعة الحياة دون إسراف أو ترف أو معصية كسعة المسكن وتوفر وسيلة انتقال له (سيارة) ووسائل تدفئة للشتاء أو تهوية للصيف ...وهكذا.

لكن المشكل أن الكثير منا مبتلى بالتوسع في المباحات والتحسينيات بالسلف والتقسيط، والمسلم الفطن لا يشتري إلا ما هو في حاجة له، إلا إذا كان ما يحتاج إليه من الضروريات أو الحاجيات، فله أن يقترض لذلك.

ويتحدد الإنفاق بالقدرة المالية للشخص فلا يكلف الله نفسا إلا مَا آتَاهَا، كما **قال تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [الطلاق: 7]**

فالمسلم لا ينفق أكثر من طاقته (على قدر لحافه يمد رجليه) ويوازن بين دخله ومصروفاته.

أنواع المستدينين

المستدينون أنواع:

- فمن الناس من يستدين وهو يعلم من حاله ودخله أنه سيسدد.
- ومنهم من يستدين وهو يعلم من حاله ودخله أنه من المستحيل أن يسدد.
- ومنهم من يستدين وهو لا يدري هل يستطيع إيفاءه أم لا.

وبينهم مراتب متفاوتة، وأشدهم الرجل الذي يستدين وهو يعلم أنه لن يوفي.

التحذير من كثرة الاستدانة:

عندما تستدين اسأل نفسك سؤالين:

السؤال الأول: ما مدى حاجتك لهذا الدين؟

السؤال الثاني: هل تستطيع وفاءه ورده أم لا؟

ثم بعد ذلك قرر: هل ستستدين أم لا؟

دعاء تفريج الهم وقضاء الدين:

وقد علمنا رسول الله ﷺ دعاء ندعو به في كل صباح ومساء، وقصة هذا الدعاء أن الرسول ﷺ رأى أحد أصحابه أبا أمامة رضي الله عنه ملازما للمسجد، فسأله رسول الله عن سبب جلوسه في المسجد في غير وقت الصلاة.... قال يا رسول الله هموم لزمتني وديون ركبتني.

قال فادع الله في كل صباح ومساء :"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ.)

ومعنى غلبة الدين: أن يغلبك الدين فتصل إلى مرحلة لا تستطيع معها أن تسدد ما عليك.... يسمونه العجز في الدخل فمثلا: دخلك ألف وتحتاج إلى ألفين .... وربما تحتاج إلى أكثر..... فعندك عجز دائم. .... كل شهر الدين لا يقل بل يزيد فهذه غلبة الدين.

السياسة التسويقية في العالم:

أريد أن اوضح شيئا وهو أن السياسة التسويقية تعتمد على نظرية واحدة وهي كيفية شفط الجيوب، فلا يترك بجيبك أي مال؛ فيتفننون في عوامل الجذب وإغراء الناس بكثرة التسوق، وشراء السلع حتى لا يأتي عليهم وقت فيتوقف التسوق أو الشراء، وقد يعلنون خصما على سلعة واحدة فتدخل لتشتريها فإذا بك تشتري معها عشرة أشياء أخرى، بسبب حسن العرض وشهية حب التملك، ولا حول ولا قوة الا بالله.

والاشكال الأكبر الذي نقع فيه هو بطاقة الائتمان (Credit card)، هذه مصيبة من مصائب العصر، قديما كنا نشتري بالفلوس، ونعد المال عدا، فتشعر كم دفعت؟ وكم أنفقت؟ وماذا تبقى معك؟

لكن حاليا مع هذه الكروت تدفع بلمسة واحدة للكارت، ولا تمسك أي أموال بجيبك، وفي آخر الشهر الفاتورة بمبلغ وقدره وإذا لم تسدد فالفائدة 22%، يعني حوالي الربع تقريبا، فوائد ربوية.

فلا ينبغي للمسلم أن يثقل نفسه بالديون.... بالتوسع في الكماليات فهذا باب خطير جدا، وحينما يغلبك الدين، ويسيطر عليك هم الدين ستكون حياة بائسة لأنك تشعر بأنه لا حق لك في يومك ولا أمل لك في غدك فتتعوذ بالله من غلبة الدين.

(وقهر الرجال) هذه نتيجة طبيعية؛ فمن يستدين من شخص ولا يسدد له يستحل بذلك أن يسبه، وأن يشتمه، وأن يتعرض له، أو كما في قوانين بعض الدول يسجن، (هذا كان يجهز ابنته في زواجها وهذا كان في تجارة وخسر، وذاك كان في مشروع وواحد نصب عليه وأشياء خطيرة جدا) فيكون هنالك قهر الرجال فلم يرتكب جناية، لم يرتكب جريمة لكنه غلب بدينه فيسجن أو يقهر أو يذل أو يحدث له ما يحدث.

كيف يكون التقليل من الديون من أسباب السعادة؟

أولًا: لأن الدَّين يورث الهمَّ والضيق

من استدان عاش دائم القلق، يخشى المطالبة، ويخاف أن يعجز عن السداد، فينقلب يومه همًّا وليله سهرًا، فالديون **تأكل راحة القلب** وتمنع السكينة.

ثانيًا: لأن الدَّين يُضعف الكرامة

المدين إذا طال الأجل أو تأخر عن السداد يعيش بشيء من الحرج والذل، فربما يسمع الإهانة من دائنيه فيسكت، وربما يتمسكن ويتذلل لهم ليمهلوه، فمن أراد أن يعيش بعزة واطمئنان فليتجنّب الديون ما استطاع، وليقنع بما عنده حتى يبارك الله له فيه.

ثالثًا: لأن كثرة الديون تُجرّ إلى المعاصي

المدين الذي يثقل بالديون قد يُضطر للكذب أو الحيلة أو الغش ليُسدِّد، فيدخل في أبواب من الحرام دون أن يشعر لذلك كان النبي ﷺ **يُكثر أن يقول: (اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من المأثم والمغرم، فقالت له عائشة: يا رسول الله، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم (أي الدَّين)! فقال ﷺ :إن الرجل إذا غَرِم (أي استدان) حدّث فكذب، ووعد فأخلف)** رواه البخاري ومسلم

رابعًا: العيش باطمئنان

من لا دين عليه ينام مطمئنًا، ويخطط لحياته دون هم ولا خوف، أما من عليه دين فهو أسير ديونه، يعيش قلقا دائما.

مسجد كأني أكلت:

مسجد **(كأني أكلت (هذا** الاسم هو اسم جامع صغير في منطقة "فاتح" في اسطنبول والاسم باللغة التركية **" Sanki Yedim Camii "**
ترجمته **"كأنني أكلت"** ووراء هذا الاسم الغريب قصة غريبة طريفة، وفيها عبرة كبيرة:

كان يعيش في منطقة "فاتح" شخص طيب اسمه **"خير الدين كججي أفندي"**، وكان خير الدين إذا مشي في السوق، واشتهى فاكهة، أو لحما، أو حلوى، يقول في نفسه:"صانك يدم" "كأنني أكلت" ثم يضع ثمن تلك الفاكهة أو اللحم أو الحلوى في صندوق له.

ومضت الأشهر والسنوات، وهو يكف نفسه عن كل لذائذ الأكل، ويكتفي بما يقيم أوده فقط، وكانت النقود تزداد في صندوقه شيئا فشيئا، حتى استطاع بهذا المبلغ الموفور القيام ببناء مسجد صغير في محلته، ولما كان أهل المحلة يعرفون قصة هذا الشخص الورع الفقير، وكيف استطاع أن يبني هذا المسجد أطلقوا على الجامع اسم :(جامع صانك يدم)

تعرض المسجد قبل الحرب العالمية الأولى لأضرار جسيمة بسبب حريق كبير، وظل بعدها مهجوراً حتى عام 1959-1960، ليعاد ترميمه بمساعدة سكان الحي والتبرعات، وعلى باب المسجد حجر من الرخام نقش عليه تلخيص لقصة المسجد.

ترى كم من المال سنجمع للفقراء والمحتاجين، وكم من المشاريع الإسلامية سنشيد في مجتمعنا وفي العالم، وكم من فقير سنسد جوعه وحاجته، وكم من القصور سنشيد في منازلنا في الجنة إن شاء الله، وكم من الحرام والشبهات سنتجنب لو أننا اتبعنا منهج ذلك الفقير الورع، وكلما دعتنا أنفسنا لشهوة زائدة على حاجتنا: **"كأنني أكلت"**.

فائدة أخيرة: الأدعية الواردة عن النبي ﷺ لقضاء الديون:

1- عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رسول الله ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل يقال له أبو أمامة، فقال: "يا أبا أمامة مالي أراك خالياً في المسجد في غير وقت الصلاة؟

قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال، قال: فقلت ذلك، فأذهب الله همي وقضى عني ديني"، أخرجه أبو داود

2- وعن علي أن مكاتبا (عبد يريد الحرية بدفع مالا لمالكه) جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله لو كان عليك مثل جبل صبير ديناً أداه الله عنك؟ قال: "قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك" أخرجه الترمذي وحسنه الألباني

3- وعن أنس قال: كنت أسمع النبي يكثر أن يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال" أخرجه البخاري

وضلع الدين: المراد ثقل الدين وشدته، كأن ثقله يصل إلى أضلاعه .

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين،

واقض الدين عن المدينين،

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك

****

قوانين السعادة

(18)

التوكل

على اللّه

(18) التوكل على الله

تعريف التوكّل

التوكّل هو: صدق اعتماد القلب على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة، وهو الثقة فيما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، فلا أحد يعطي، أو يمنع، ولا أحد ينفع أو يضر؛ سوى الله جلَّ وعلا.

ومن أسماء الله الحسنى: **الوكيل جل جلاله**: وهو القائم بأمر الخلائق أجمعين والمتكفِّل برزقهم وإيصاله لهم، والرعاية لمصالحهم، وما ينفعهم في دنياهم وأخراهم.

كيف نحقّق التوكّل؟

1-الأخذ بالأسباب

لا يكون التوكّل بترك العمل، بل بفعل الأسباب، فمن جمع بين الأخذ بالأسباب واعتماد القلب على الله، نال سعادة القلب وراحة البال، أما إن قعد عن الأسباب ولم يسع في اتخاذها، فليس هذا من التوكل في شيء، وإنما هو تواكل. (16)

عن أنس بن مالك قال: جاء رجل على ناقة له، فقال: يا رسول الله؛ أدعها وأتوكل؟ أو أرسلها وأتوكل؟ فقال "ﷺ: (اعقلها وتوكل).

وهذا نص حاسم صريح في مراعاة الأسباب، وأنها لا تنافي التوكل.

ويقول "ﷺ: (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا)، وفيه إشارة إلى التسبب، لأنه لم يضمن لها الرواح بطانا، إلا بعد أن غدت خماصا، والغدو حركة وانتشار.

وقال معاوية بن قرة: لقي عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون.

---

(16) التوكل على الله عمل القلب والأخذ بالأسباب عبادة الجوارح :فالقلب يتوكل والجوارح تعمل، ومع هذا ينبغي عدم التعلق بالأسباب مع فعلها لأن الله – عز وجل – أمر بالأخذ بالأسباب الشرعية والنظر فيها إلى مسببها وخالقها وهو الله سبحانه الذي إن شاء نفع بها، وإن شاء أبطلها، فعاد الأمر والتأثير والتدبير إلى الله وحده الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو الحي الذي لا يموت.

قال: بل أنتم المتأكلون. إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ويتوكل على الله عز وجل.

ورأى رضي الله عنه جماعة يقعدون في المسجد بعد صلاة الجمعة، فأنكر عليهم، وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة! إنما يرزق الله الناس بعضهم من بعض. أما قرأتم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10]

قصة عن شقيق البلخي:

وقد حكوا عن شقيق البلخي -وهو من أهل العبادة والزهد- أنه ودع صديقه إبراهيم بن أدهم، لسفره في تجارة عزم عليها، ولم يلبث إلا مدة يسيرة، ثم عاد، ولقيه إبراهيم، فعجب لسرعة إيابه من رحلته، فسأله عما رجع به قبل أن يتم غرضه، فقص عليه قصة شهدها، جعلته يغير وجهته ويلغي رحلته، ويعود قافلا.

ذلك أنه نزل للراحة في الطريق، فدخل خربة يقضي فيها حاجته، فوجد فيها طائرا أعمى كسيحا لا يقدر على حركة، فرق لحاله، وقال: من أين يأكل هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه الخربة؟ ولم يلبث أن جاء طائر آخر يحمل إليه الطعام ويمده به، حتى يأكل ويشبع، وظل يراقبه عدة أيام وهو يفعل ذلك، فقال شقيق: إن الذي رزق هذا الطائر الأعمى الكسيح في هذه الخربة لقادر على أن يرزقني! وقرر العودة.

وهنا قال له ابن أدهم: سبحان الله يا شقيق! ولماذا رضيت لنفسك أن تكون الطائر الأعمى العاجز الذي ينتظر عون غيره، ولا تكون أنت الطائر الآخر الذي يسعى ويكدح ويعود بثمرة ذلك على من حوله من العمي والمقعدين؟! أما علمت أن النبي ﷺ قال: **(اليد العليا خير من اليد السفلى)؟**

فقام إليه شقيق وقبل يده وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق!

2- تفويض القلب لله والرضا بقضائه

التفويض هو روح التوكل ولبه وحقيقته؛ وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلبا واختيارا، لا كرها واضطرارا؛ كما في قو العبد الصالح: **(وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد)** [غافر: 44]، وإذا وضع المؤمن قدمه في درجة التفويض انتقل منها إلى درجة الرضا.

والرضا: هو ثمرة التوكل وأعظم فوائده؛ التوكل المقصود منه التفويض والرضا؛ نحن نفهم التوكل خطأ، التوكل ليس معناه أن تفوض الله في الأمر فقط؛ التوكل معناه أن تفوض الأمر لله وترضى بما أراده الله؛ فليس معنى التوكل أن يعطيك الله ما تريد إنما الرضا بما يريد وبما يقدر، فمع صدق التوكل تنكشف عين البصيرة فترى حسن اختيار الله لك.

فالله سبحانه يفعل ما يراه خيرا لك لا ما تظنه أنت خير لك، وذلك لأنه الحكيم وهذا معنى قولنا **(حسبنا الله ونعم الوكيل)** فالخير فيما يريد سبحانه؛ لا فيما تريد أنت.

وكما قال ابن القيم: فالمقدور يكتنفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده؛ فمن توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي له بعد الفعل؛ فقد قام بالعبودية.

كيف يجلب التوكّل السعادة؟

1- التوكل على الله ثمرته سكينة النفس، وطمأنينة القلب:

السكينة التي يشعر بها المتوكل على ربه، فيشعر بالأمن إذا خاف الناس، وبالسكون إذا اضطرب الناس، وباليقين إذا شك الناس، وبالثبات إذا قلق الناس، وبالأمل إذا يئس الناس، وبالرضا إذا سخط الناس.

إنها السكينة التي وجدها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، فلم يشتغل بسؤال مخلوق من إنس أو ملك! ولم يشتغل إلا بقوله: **حسبي الله ونعم الوكيل.**

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173]

إنها السكينة التي وجدتها هاجر حين وضعها إبراهيم مع ابنها إسماعيل بواد غير ذي زرع، في مكة عند مكان البيت المحرم، ولا أنيس ولا جليس، ثم ودعها قافلاً، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟

قال: نعم، قالت: إذن لن يضيعنا!

إنها السكينة التي وجدها موسى عليه السلام، حين قال له أصحابه: **"إنَّا لمدركون" (قال كلا، إن معي ربي سيهدين)** (الشعراء: 62)

إنها السكينة التي وجدها النبي ﷺ في الغار حين أشفق عليه أبو بكر، فقال له: **(لا تحزن إن الله معنا)** (التوبة: 40).

2- ومن ثمرات التوكل على الله الشعور بالقوة:

وهي قوة نفسية روحية تصغر أمامها القوة المادية، قوة السلاح، وقوة المال، وقوة الرجال.

وفي حديث سنده ضعيف لكن معناه صحيح: "من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده"

نجد ذلك واضحاً في موقف شيخ الأنبياء نوح، وقد كذبه قومه، واتهموه بالجنون، وأصروا واستكبروا استكباراً، واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً، فواجههم بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: 71]

ونلمس هذه القوة في موقف نبي الله هود أمام قومه عاد الذين أنكر عليهم شركهم وفسادهم وتجبرهم، ودعاهم إلى التوحيد والاستقامة وتقوى الله فقالوا له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 53-57]

ولم يبال هود بهذا الهراء ووقف يعلن توكله على الله فيقول في يقين القوي، وقوة الموقن، معتمداً على ربه ورب كل شيء، وهو القوة التي لا تقهر،

وهو سبحانه الآخذ بناصية كل دابة، الحكيم في صنعه وتدبيره، فلا يفعل شيئاً عبثاً، ولا يدع شيئاً اعتباطاً.

وندرك هذه القوة في موقف صحابة رسول الله يوم الأحزاب، وقد تجمعت جيوشهم وحاصرت المدينة، فلم يفت ذلك في عضد المسلمين، بل كانوا كما وصفهم الله: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: 22-23]

3- ومن ثمار التوكل: العزة:

العزة هي الرفعة والبعد عن مواطن الذل والمهانة، هي شعور الإنسان بأنه قوي بالله، وغني بالله، وعزيز بالله، يتوكل على الله في كل أموره ويثق بربه الكريم.

والعزة لا تطلب عند أبواب السلاطين، بل هي لا تطلب إلا من باب واحد ذكره القرآن فقال: **(من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً)** (فاطر: 10). وبيَّن أن طلب العزة من عند غيره إنما هو شأن المنافقين المدخولين في إيمانهم: **(بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً)** (النساء: 138، 139).

قال أحد الخلفاء لأحد علماء السلف الصالح يوماً: ارفع إلينا حوائج دنياك نقضها لك! قال: إني لم أطلبها من الخالق فكيف أطلبها من المخلوق؟!

يريد أن الدنيا أهون عنده من أن يسألها من الله تعالى، فهو إذا سأل ربه يسأله ما هو اعظم وأعلى من الدنيا وهو الآخرة والجنة ورضوان الله تبارك وتعالى.

ولذا كان بعض الصالحين يقول عن أمراء زمانه: اللهم أغننا عنهم، ولا تغننا بهم!

4- التحرر من القلق والهموم:

قال بعض السلف: جعل الله تعالى لكلِّ عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التوكل عليه كفايتَه لعبده، فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾

[الطلاق: 3]، ولم يقل: نُؤْتِه كذا وكذا من الأجر، بل جعل نفسه سبحانه كافِيَ عبده المتوكِّل عليه وحسبَه وواقيه".

ألم ترَ قول النبي ﷺ لصاحبِه وهما في الغار: **(ما ظنُّك يا أبا بكر باثنينِ اللهُ ثالثُهما) متفق عليه.**

ألم ترَ قول الله تعالى عن مؤمنِ آل فرعون حين قال لقومه: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [غافر: 44].

ألم ترَ قولَ أصحاب النبي ﷺ حين اجتمعَتْ عليهم قريش؛ قال تعالى :﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران: 173، 174].

ويَحكِي أحدُ الدعاة أن رجلًا فُصِل من وظيفته، وتنكدت عليه معيشته، وصار في حزن وهمٍّ، قال الشيخ: وشاء الله أن يقابلني، فسألني عن فلان الذي يتوسط له في إرجاعه إلى وظيفته، قلت: لا أعرف الذي تريد، ولكن أعرف مَن يحل لك مشكلتك ويكفيك همك، فقال الرجل في لهفة وشوق: أيؤثِّر على فلان رئيس الإدارة؟ قلت: نعم يؤثِّر عليه، قال: تعرفه؟ قلت: نعم أعرفه، قال: تستطيع أن تكلمه؟ قلت: نعم أُكلمه، وتستطيع أن تكلمه أنت كذلك، قال: مَن هو؟ قال: الله عز وجل، قُمْ في السَّحَر واشكُ له ما عندك.

قال: فتأثَّرت وقمت من الليل، وصليت، ودعوت الله، ولُذتُ به وكأني أراه، ثم أصبحت وذهبت تلقائيًّا إلى رئيس الإدارة، وإذا به يقوم من مقعده ويرحِّب بي، ويسأل عن أحوالي، ولم تكن بيني وبينه عَلاقة، فقلت له: والله موضوعي كذا وكذا، ففعل لي ما طلبت وكانت مشكلتي لم تُحل منذ ثلاثة أشهر، فقمت وأنا لا أصدق نفسي، وقلت: مَن تعلق بالمخلوق جفاه، ومَن توكل على الخالق كفاه.

وصدق مَن قال: من اعتمد على مالِه قلَّ، ومَن اعتمد على عقله ضلَّ، ومَن اعتمد على جاهِه ذلَّ، ومَن اعتمد على الله لا قلَّ ولا ضلَّ ولا ذلَّ.

الإنسان إذا علّق قلبه بالوظيفة، أو بالمال، أو بالناس، سيعيش في قلق دائم:

5- الرضا بالقضاء والقدر:

التوكّل يجعل العبد راضيًا بأي نتيجة؛ لأنه يعلم أن الله اختار له الخير. والرضا أساس السعادة. .ومن ثمرات التوكل على الله "الرضا "الذي ينشرح به الصدر، وينفسح له القلب.

قال بعضهم: "متى رضيت بالله وكيلاً، وجدت إلى كل خير سبيلاً".
وبعضهم جعل "الرضا" جزءاً من ماهية التوكل، أو درجة من درجاته.

وقال بعضهم: "التوكل هو الرضا بالمقدور".
وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: "إذا رضي بالله وكيلاً".

والراجح ما ذهب إليه ابن القيم: أن الرضا ثمرة التوكل، ومن فسر التوكل به فإنما فسره بأجل ثمراته، وأعظم فوائده، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله.
ومن لوازم الرضا وتوابعه: الفرح والروح، وهو ما روى في حديث ابن مسعود مرفوعاً: "إن الله عز وجل بقسطه وعدله جعل الفرح والروح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في السخط والشك".
إن المتوكل موقن أن تدبير الله خير له من تدبير نفسه وأنه أبداً في كفاية الله تعالى وكفالته ووكالته، وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله كفيلاً.

ولهذا ألقى حموله وهمومه عند باب ربه فاستراح من الهم والعناء وأنشد مع الشاعر:

سهرت أعين ونامت عيون ... في أمور تكون أو لا تكون
إن رباً كفاك بالأمس ما كا ... ن سيكفيك في غدٍ ما يكون

إن المتوكل على الله يعلم أن الملك كله بيد خالقه ومدبر أمره، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

إن شاء أغنى الفقير، وأفقر الغني، وقوى الضعيف، وأضعف القوي، ونصر المظلوم، وأخذ الظالم، وشفى المريض، ويسر على المعسر، وأعز الذليل، وأذل العزيز، قد يفعل ذلك بأسباب معتادة معروفة، وقد يفعله بأسباب غير مألوفة، لا حجر على مشيئته، ولا ينازعه أحد في سلطانه.

قد يستدرج الظالم ويملي له سنين، حتى يتوهم أن الله قد نسيه! وقد يأخذه في لمح البصر أو هو أقرب.

وقد يغيث الملهوف، وينفس عن المكروب، من حيث لا يحتسب هو ولا يحتسب الناس من حوله.

ما بين طرفة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

قوانين السعادة

(19)

من كان رزقه على اللّه فلا يحزن

(19) من كان رزقه على الله فلا يحزن

من أكبر أسباب الهم عند الناس الخوف على الرزق، ونحن في زمن ضعف فيه الإيمان، ورقّ الدين، وكثرت فيه الفتن والمغريات، وصار الحرام سهلا ميسورا، والحلال صعبا معسورا.

ونسي هؤلاء أن الرزق بيد الله وحده، وأنه تبارك وتعالى المتكفّل بالأرزاق؛ ويوقن أنّ رزقه مكتوب ومضمون لا يستطيع أحد أن يأخذه منه.

ومعرفة هذا المعنى والإيمان به سيحل الكثير من المشاكل كالقلق والخوف من المستقبل، والجرأة على أكل الحرام، والحسد، واستحلال الربا وتبرير الرشوة، وجرائم القتل والسرقة من أجل المال التي سببها عدم أو ضعف الإيمان باسم الله الرزاق، هذا الإيمان سيحرّر الإنسان من الذلّ للناس، فلا يبيع دينه أو كرامته من أجل لقمة عيش، بل وسيعيش عزيزا كريما موفور الكرامة لا يمدّ يده إلا إلى الله.

ونحاول أن نعالج قضية القلق على الرزق من خلال النقاط التالية:

أولا / رزق جميع الكائنات على الله:

فالله سبحانه تكفل للخلق بالرزق مهما كانوا وأينما كانوا، مسلمين وكافرين، إنسًا وجنا، طيرًا وحيوانا، وهو سبحانه كما يقول البلغاء يرزق النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، قال تعالى :﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: 6] **وكلمة (دابة)** جاءت نكرة لتفيد الشمول، لتشمل هذه الكلمة كل شيء يدب على وجه الأرض.

وصدق من قال:

فلو كانت الأرزاق تجري على الحِجى هلكنَ إذًا من جهلهن البهائمُ

وأصحاب الحجى هم أصحاب الألباب والعقول فلو أن الأرزاق معلقة بالعقول لهلكت البهائم.

فالرزق ليس على فلان أو علان إنما هي أسباب هيأها الله في الكون لييسر على العباد معايشهم، فما يتحصله الناس من وظائف أو مهن؛ إنما هي أسباب لنيل رزق الله.

ثانيا / التوكل على الله في طلب الرزق:

إذا أيقنا أن الرزق بيد الله وحده فعلينا الأخذ بالأسباب، **قال تعالى:** ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: 15]

ويقول النبي ﷺ (:لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)

وقَوْله: تَغْدُو: أَيْ تَخْرُج مِنْ أَوَّل النَّهَار، خِمَاصًا: جِيَاعًا، وَتَرُوح أَيْ آخِر النهار، بِطَانًا: أَيْ مُمْتَلِئَة الأجواف.

قال الشافعي رحمه الله:

توكلتُ فِي رزقي على الله خالقي وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي

وما يكُ من رزقي فليس يفوتني ولو كان في قاع البحار العوامق

سيأتي به الله العظيم بفضله ولو لم يكن مني اللسانُ بناطق

ففي أي شيء تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزق الخلائق؟

ثالثا/ لا يطلب الرزق بمعصية الله:

فعلى المسلم أن يسلك الأسباب الحلال لطلب الرزق وليعلم أن رزقه مقسوم ومقدور؛ فلا حيلة في الرزق، ولا شفاعة في الموت، ورزق الإنسان يطلبه كما يطلبه أجله وقد حذَّرنا النبي ﷺ من أن تتعلق قلوبنا بتحصيل أرزاقنا؛ فننسى الله – تعالى – والدار الآخرة، ونُشْغَل عن العمل الصالح بالجمع والتحصيل، ولربما شحت نفوسنا عن أداء حق الله تعالى في أموالنا.

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ (إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعي أنَّه لن تَموتَ نفسٌ حتى تَستَكمِلَ رزقَها وأجَلَها، فاتَّقوا اللهَ وأَجمِلوا في الطَّلَبِ، ولا يَحمِلَنَّكم استبطاءُ الرِّزق أن تَطلُبوه بمعصيةِ اللهِ، فإنَّ ما عندَ اللهِ لا يُنالُ إلا بطاعتِه) رواه أبو داود

ماذا لو أيقنّا يقيناً قطعياً أن الله عزَّ وجل بيده الرزق وحده؟ يكثِّره أو يقلله، يضيقه أو يوسعه، يسهله أو يعسره، وأن الواحد منا لن ينال ما عند الله عزَّ وجل إلا بطاعته.

وإذا توهَّم إنسان أنه بمعصية الله عزَّ وجل يزداد رزقه، قد يأتيه رزقٌ وفير بادئ ذي بدْء، ثم يُمْحَق، ثم يتلف، ثم يُهلك.

وصدق الشاعر حينما قال:

لا تعجلن فليس الرزق في العجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

ولو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه الإنسان خلق من عجل

ويذكر أن عليا رضي الله عنه دخل مسجد الكوفة فأعطى غلامًا دابته حتى يصلي، فلما فرغ من صلاته أخرج درهما ليعطيه الغلام، فوجده قد أخذ خطام الدابة وانصرف، فأرسل رجلا ليشتري له خطامًا بدرهم، فاشترى له الخطام، ثم أتى فلما رآه علي رضي الله عنه، قال سبحان الله! إنه خطام دابتي، فقال الرجل: اشتريته من غلام بدرهم، فقال علي رضي الله عنه: سبحان الله! أردت أن أعطه إياه حلالا، فأبى إلا أن يأخذه حراما!
الخطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير.

رابعا/ كثرة الأموال ليس علامة لحب الله للعبد:

الرزق بيد الله فالعطاء عطاؤه، والمنُّ مَنُّه، وكلٌّ بيده – جل وعلا– ، ورزقه لعباده على نوعين:

الأول: رزق عام، يشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، وهذا عطاء عام لا يختص به أحد دون أحد، قال الله ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الإسراء: 20] **أي:** المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وهذا النوع من العطاء لا يدل على رضا الله عمن أعطاه، فإنه جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب.

وقال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ**﴾ [الفجر: 15-16]

كَلاَّ ليس الأمر أنَّ الإنسان إذا أُعطي وأُكرم في الدنيا كان ذلك دليلاً على إكرام الله له ورضاه عنه، وليس أيضًا التضييق على الإنسان في طعامه ورزقه دليلاً على عدم رضا الله عنه وإهانته له، فإنه جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، والعطاء في الدنيا من الإنعام والملبس والمسكن

ليس دليلاً على الرضا، وكذلك التضييق في ذلك ليس دليلاً على إهانة الله لعبده.

ويؤكد هذا المعنى حديث عبد الله بن مسعود (إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من أحب) صححه الألباني.

الثاني: رزق خاص: وهو الرزق المتعلق بالإيمان والتقوى والهداية والطمأنينة القلبية، إضافة إلى التوفيق للرزق الحلال الطيب، وهذا النوع من الرزق يختص الله به أولياءه وأهل طاعته، قال تعالى :﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق: 2-3].

خامسا/ الرزق ليس هو المال فقط:

هناك فرق بين الرزق والكسب، فالكسب هو المال الذي تحصل عليه نظير عمل ما، أما الرزق فهو كل ما يُنتَفع به؛ فالرزق أشمل وأعم من المال، وما كسب المال إلا صورة من صور الرزق، فالأب الصالح رزق، والأخ الطيب رزق، والأم الحانية رزق، والزوجة الخيِّرة رزق، والابن الطائع رزق، والمدير المتفاهم العادل رزق، والصحة رزق، وانتفاعك بالموعظة رزق، وحب الناس رزق.

والحقيقة التي أثبتتها تجارب الحياة، أن الرزق لو نزع منه البركة لا نراه كافيا مهما زاد، ولا نراه معينا مهما جمعنا منه، والقليل المبارك فيه نهر من الخير يجري ولا ينقطع مداده قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: 96]

سادسا/ الرزق والأجل بيد الله وحده:

وأكثر شيء يقلق الإنسان الخوف على رزقه وأجله، وأخشى ما يخشاه انقضاء أجله وانقطاع رزقه، لذلك لو علم الناس علم اليقين أن آجالهم بيد الله، وأن إنساناً واحداً على وجه الأرض لا يستطيع أن يحدِّدها، وأن أرزاقهم بيد الله، وأن أي جهةً على وجه الأرض مهما عظمت لا تستطيع أن تمنع، ولا أن تعطي، فإذا أيقنت يقيناً قطعياً أن حياتك بيد الله، وأن الذي

منحك الحياة هو وحده يُنْهِي هذه الحياة، وأن الذي خلقك هو الذي تكفَّل برزقك، لو أيقن الإنسان بهاتين الحقيقتين لأصابته سكينة عجيبة ليقينه بالله.

الطمأنينة بعد اليقين بأن الله هو الرزاق:

فالمؤمن الحق الذي يفهم قضية الرزق فهمًا صحيحًا لن تستشرف نفسه ما في أيدي الناس، ولن تمتد يده إلى ما حرم الله عليه مهما كلف الأمر؛ لعلمه أن الذي خلقه سيرزقه، والعبدَ إذا أيقن بأن الأجل محدد، وأن الرزق مقدر، واطمأن قلبه بذلك؛ فإنه لن يجزع من فقر أصابه، أو جائحة أتلفت ماله، ولن يشغل نفسه بالدنيا عن عمل الآخرة؛ لأنه يعلم أنه مهما سعى واجتهد وأجهد نفسه فلن يكتسب إلا ما كُتب له.

ومر إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهم والحزن فقال له إبراهيم :يا هذا إني أسالك عن ثلاثة فاجبني: فقال له الرجل نعم

- **فقال له إبراهيم: أيجري في هذا الكون شي لا يريده الله؟ فقال: لا**
- **قال: أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال: لا**
- **قال: أينقص رزقك شي قدره الله. قال: لا**
- **قال إبراهيم: فعلام الهم إذن؟**

وسئل الحسن البصري ما سر زهدك في الدنيا؟ قال أربعة أشياء:

2- **علمتُ أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي؟**

3- **وعلمتُ أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.**

4- **وعلمتُ أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني على معصية.**

5- **وعلمتُ أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.**

فاللهم متعنا بما رزقتنا وزدنا من فضلك وجودك يا حي يا قيوم، اللهم اجعلنا من أوثق خلقك بك... وأفقر عبادك إليك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، اللهم وما رزقتنا من رزق فاجعله عونًا لنا على طاعتك، ومقربًا لنا إلى مرضاتك. ومتاعًا لنا إلى حين.

قوانين السعادة

(20)

الحب فى اللّه

(20) الحب في الله

معنى الحب في الله:

المحبةُ في الله تعالى هي أن يُحبَّ المرء ويميل إليه، لا لغَرَض؛ مِن مال أو منصب، أو جاهٍ أو مكانة، أو غير ذلك، بل مِن أجل ما يتَّصِف به من خُلُق حَسَنٍ، وطاعة لله تعالى.

فتكون المحبة صادقة خالصة، محبة نشأت لله فتدوم لوجه الله، ومن أحبك لشيء أبغضك عند فقده.... فمن أحبك لدنياك كرهك لفقرك، ومن أحبك لوظيفتك فارقك لعزلك، ومن أحبك لمنصبك فارقك عند تغير أحوالك.

كيف يكون الحب في الله سببا للسعادة؟

1- الحب في الله مبني على الإيمان وصفاء القلب، لا على مصلحة دنيوية أو منفعة وقتية، هذا الصفاء يزرع راحة في القلب؛ فإذا أحببت أخاك في الله، صار بينكما ميثاق قلوب لا تفسده الدنيا.

2- والحب في الله يعين على الطاعة، فإذا كنت تحب شخصًا لله، فإنك ستدعوه للخير، وتنصحه عند الخطأ، وتفرح بطاعته، وتحزن لمعصيته، وهذا كله يقوّي الإيمان ويزيد العمل الصالح.

3- والحب في الله يجعل لك أنيسا وصاحبا يخفف عنك من الوحدة والانعزال، ويحبك ويرجو الخير لك، فإذا كنت في فرح وجدته يفرح لك من أعماق قلبه، وإذا كنت في حزن واساك وخفف عنك، وإذا احتجت للنصيحة نصحك بلا كذب ولا مجاملة ولا نفاق، وإذا استشرته بأمر أشار عليك، وساندك.

4- والحب في الله يزرع في القلب الطمأنينة؛ لأنك تعرف أن صاحبك لن يفشي لك سرا ولا يهتك لك سترا ولا يخونك ولا يغدر بك، بخلاف حب الدنيا الذي قد ينقطع بخلاف أو مصلحة، فإن الحب في الله يظلّ حتى الممات.

5- وهذا الحب سبب لمحبة الله، لأن الله تعالى يحب من تحابّوا فيه، بل أعدّ لهم منازل عالية يوم القيامة، فهل هناك سعادة أعظم من أن يحبك الله ويكرمك في الآخرة؟

فضل الحب في الله:

ورد في فضل الحب في الله الكثير من الأحاديث نذكر منها:

1- مِن أحب الأعمال وأفضلِها عند الله تعالى؛ كما أخبر النبي ﷺ بقوله : (أحبُّ الأعمال إلى الله الحبُّ في الله والبُغْض في الله) أخرجه أحمد.

2- أوجب الله تعالى على نفسه محبةَ مَن تخلَّق بخُلُق المحبة للمؤمنين الطائعين؛ فعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال: دخلتُ مسجد دمشق فإذا فتًى برَّاق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسنَدوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألتُ عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان مِن الغد هجَّرت، فوجدتُه قد سبقني بالتهجير، ووجدتُه يُصلِّي، فانتظرتُه حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبَل وجهِه، فسلَّمت عليه، ثم قلت له: واللهِ إني لأحبُّك لله، فقال: آللهِ؟ فقلت: آلله، فقال: آللهِ؟ فقلت: آلله، فأخذ بحبوةِ ردائي فجذَبني إليه، فقال: أبشِرْ؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :قال الله تبارك وتعالى: وجبَت محبَّتي للمتحابِّينَ فيَّ، وللمتجالسين فيَّ، وللمتباذلين فيَّ.) رواه ابن حبان في صحيحه.

3- مِن ثمرات المحبة في الله أن يبلغ العبد كمالَ الإيمان: فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :(مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) أخرجه أبو داود

4-تذوق حلاوةَ الإيمان وطمأنينتَه في القلب؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا لله، وأن يكرهَ أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَف في النار)

5- وقد أخبرنا المحبُّ المحبوبُ ﷺ بأن أصدق المتحابِّينَ في الله هو الأحب إلى الله والأفضل عنده، فقال ﷺ :(ما تحابَّ رجلانِ في الله إلا كان أحبهما إلى الله عز وجل أشدهما حبًّا لصاحبه) أخرجه ابن حبان في صحيحه

وقال ﷺ :(خيرُ الأصحاب عند الله خيرُهم لصاحبه، وخيرُ الجيران عند الله خيرهم لجارِه) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

6- يوم القيامة يُكرِم الله المتحابين في الله بظلِّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال :(إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلِّي، يوم لا ظل إلا ظلي)، وقال ﷺ : سبعةٌ يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله...، ورجلانِ تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه)

كيف نقوي الحب في الله؟

أولًا :إفشاء السلام :

على مَن عرَفنا ومَن لم نعرِف من المسلمين، قال ﷺ :(لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أَوَلَا أدلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشُوا السلام بينكم)

ثانيًا :الهديَّة:

فهي توثِّق المحبة، وتزيل من النفوس ما علق فيها من مشاحنات؛ ولذلك أرشدنا إليها رسول الله ﷺ بقوله :**(تَهادَوا تحابُّوا)**

ثالثًا :الإخبار بالمحبة:

سنَّ لنا النبي ﷺ؛ ذلك لأنه يُثمِر زيادة الحب والأخوَّة في الله، وتعاوُن وتآلُف، فقال ﷺ (إذا أحب الرجل أخاه، فليُخبِره أنه يحبه)، وعن أنس بن مالك أن رجلًا كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبي ﷺ :أعلَمْتَه؟، قال: لا، قال :أعلِمْه، قال: فلحِقه، فقال: إني أحبُّك في الله، فقال: أحبَّك الذي أحببتَني له)

****

قوانين السعادة

(21)

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

(21) (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]

هذه آية لها أثرٌ بالغ في حياة المؤمنين إذا وعوها، واهتدوا بهداها، ولها صلة بأحد أركان الإيمان: ألا وهو **(الإيمان بالقضاء والقدر)**، وهذا الخير، فسَّره قوله تعالى في سورة النساء -في سياق الحديث عن مفارقة النساء، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]

معنى الآية الكريمة:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ أي: فرض عليكم القتال وفيه مشقة عليكم، لأن المقاتل إما أن يقتل أو يجرح أو يؤسر، مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء.

"كَره" بفتح الكاف: هو الشيء المكروه الذي تُحمل وتُكْرَهُ على فعله.

أما "الكُره" بضم الكاف فهو الشيء الشاق، وقد يكون الشيء مكروها وهو غير شاق، وقد يكون شاقاً ولكن غير مكروه.

وقوله: **﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾** أي أنه قد يقع للإنسان شيء من الأقدار المؤلمة، التي تكرهها نفسه، فربما جزع، أو أصابه الحزن، وظن أن ذلك المقدور هو الضربة القاضية على آماله وحياته، فإذا بذلك المقدور يصبح خيرًا على الإنسان من حيث لا يدري.

والعكس صحيح: كم من إنسان سعى في شيءٍ ظاهره خيرٌ، واستمات في سبيل الحصول عليه، وبذل الغالي والنفيس من أجل الوصول إليه، فإذا بالأمر يأتي على عكس ما يريد.

وإذا تأملنا الآيتين الكريمتين، وجدت أن الآية الأولى- التي تحدثت عن فرض القتال – تتحدث عن عبادة من العبادات وعن ألم بدني وجسميٍّ قد يلحق المجاهدين في سبيل الله، وإذا تأملت الآية الثانية -وهي آية مفارقة النساء- وجدتها تتحدث عن علاقات دنيوية فهي تتحدث عن ألم نفسي يلحق أحد الزوجين بسب فراقه لزوجه!

إذن فالآية الكريمة تناولت أحوالًا شتى: دينية ودنيوية، وبدنية ونفسية، وهي أحوال لا يكاد ينفك عنها أحد في هذه الحياة.

ثم قال تعالى :(والله **يعلم وأنتم لا تعلمون** (أي: هو أعلم بعواقب الأمور منكم، وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب. . . ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة، فإنه لا يزال راضياً عن ربه، والرضا جنة الدنيا ومستراح العارفين، فإنه طيب النفس بما يجري عليه من المقادير التي هي عين اختيار الله له، وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية، وهذا هو الرضا بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. (17)

ولله در الشاعر (مصطفى حمام) حينما قال:

علمتني الحيـــــاة أن أتلقى كـــل ألوانها رضــاً وقبولا

ورأيت الرضـــا يخفف أثقالي ويلقى على المآسي سـدولا

والذى ألهم الرضـــا لا تراه أبد الدهر حاســـداً أو عذولا

أنا راض بكـــل ما كتب الله ومُـــزْجٍ إليه حمـــداً جزيلاً

ضل من يحسب الرضا عن هوان أو يراه على النفاق دليلا

فالرضـــا نعمة من الله لم يسعد بها في العـــباد إلا القليلا

(17) الفوائد لابن القيم (ص: 91)

والرضـــــــا آية البراءة والإيمان بالله ناصـــــراً ووكيلاً

ما أثر فهم هذه الآية في السعادة؟

1- طمأنينة القلب عند البلاء

الإنسان يواجه في حياته مواقف يكرهها: مرض، خسارة، فشل، أو تأخر في تحقيق هدف، لكن تذكّر أن وراءها حكمة وخير قد لا يراه الآن يجعل قلبه مطمئنًا ويبعد عنه القلق والحزن.

2- الرضا بقضاء الله

حين يدرك المؤمن أن كل ما يجري له هو بعلم الله وحكمته، يرضى ويستسلم، فلا يعيش مرارة التذمر والاعتراض، بل يعيش لذة التسليم لله، وهذا من أعظم أسباب السعادة.

3- التفاؤل بالمستقبل

هذه الآية تزرع في النفس الأمل، فحتى ما يبدو شرًا، أو نقصًا؛ قد يكون بابًا لخير أعظم؛ وبذلك يعيش المؤمن بروح إيجابية، يواجه الحياة برجاء وثقة بدل التشاؤم واليأس.

4- تربية على حسن الظن بالله

الفهم العميق للآية يجعل المسلم يحسن الظن بربه في كل حال، فلا يحبطه التأخر ولا ييأس من المصاعب، وحسن الظن بالله من أعظم مفاتيح السعادة في الدنيا والآخرة.

ولو قلبنا قصص القرآن، وصفحات التاريخ، أو نظرنا في الواقع؛ لوجدنا من ذلك عبرًا وشواهدَ كثيرة، لعلنا نُذَكِّر ببعض منها، عسى أن يكون في ذلك سلوةً لكل محزون، وعبرةً لكل مهموم:

1- قصة إلقاء أم موسى لولدها في البحر!

ظاهر القصة الشر المحض؛ فإلقاء موسى في البحر معناه الهلاك المتحقق، ولولا أن الله ربط على قلبها لما ألقته، فلم تكن تعلم ماذا ينطوي وراء ذلك الإلقاء من الخير للأمة في زمنها، التقطه آل فرعون الذين إن وجدوه سيقتلونه، وكأنه تحد من الله لهم، فألقى الله محبة عليه؛ فكل من رآه أحبه

وتعلق قلبه به؛ كما قال سبحانه: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي**﴾[طه:39]، فعاش وتربى في قصر فرعون الذي أراد قتله؛ فعندئذ يتضح لنا معنى قوله: ﴿**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[النساء:19]، وصدق ربنا: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:216].

2- قصة يوسف عليه السلام:

لو تأملنا قصة يوسف لرأينا أن هذه الآية منطبقةٌ تمام الانطباق على ما جرى ليوسف، وأبيه يعقوب -عليهما الصلاة والسلام-فقد قدر الله على يوسف الإلقاء في الجب وأن يباع عبدا لعزيز مصر، ويسجن، ثم يرى الملك تلك الرؤيا التي أخرجت يوسف، وأنقذ الله الناس ببركة يوسف من خطر المجاعة، وكيف رد الله والدي يوسف له وإخوانه، مقرين بفضله ومكانته، وصدق الله ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:216].

3- قصة الغلام الذي قتله الخضر

وتأملوا قصة الغلام الذي قتله؛ فإنه علل قتله بقوله: ﴿**وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ [الكهف:80-81].

إذا رزقت بالولد، ذكرا أو أنثى فالله هو المقدر للخير لك، وهو أعلم بما ينفعك وما يضرك؛ فلا تكره الذكر أو الانثى؛ بل احمد الله على العطية، وقل الخيرة فيما اختار الله، وحتى لو لم ترزق بذرية وكنت عقيما فاحمد الله، **وقل:** ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]﴾

وكما قال سبحانه: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ **[الشورى: 49]**

4- موت زوج أم سلمة:

لما مات زوج أم سلمة أبو سلمة -رضي الله عنهما-، تقول أم سلمة -رضي الله عنها-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها؛ إلا أخلف الله له خيرا منها".

قالت: فلما مات أبو سلمة، قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ

5- فاتته الطائرة فكانت المفاجأة:

وحكى الشيخ علي الطنطاوي أن رجلًا قدم إلى المطار، وكان مجهدًا بعض الشيء، فأخذته نومةٌ ترتب عليها أن أقلعت الطائرة، وفيها ركاب كثيرون يزيدون على ثلاثمائة راكب، فلم أفاق، وإذا بالطائرة قد أقلعت قبل قليل، وفاتته الرحلة، فضاق صدره، وندم ندمًا شديدًا، ولم تمض دقائق على هذه الحال التي هو عليها حتى أُعلن عن سقوط تلك الطائرة، واحتراق من فيها بالكامل!

والسؤال: ألم يكن فوات الرحلة خيرًا لهذا الرجل؟! ولكن أين المعتبرون والمتعظون؟

6- رب ضارة نافعة

سمعت الدكتور راتب النابلسي يحكى هذه القصة يقول: كان عندنا بدمشق طالب بكلية الطب وكان نحيفا ضعيف البنية، ركب سيارة أجرة ليذهب للجامعة، وبعد مرحلة من الطريق استوقف السيارة أحد الشبيحة رجل طويل عريض ضخم البنية، سأل السائق هل عندك مكان خالي؟ قال: لا، ففتح باب السيارة الخلفي فوقع بصره على هذا الشاب فاستضعفه وأمسكه من ثيابه فحمله وألقى به خارج السيارة، وركب هو!!! وبكى الشاب بكاء مريرا لشعوره بالقهر والظلم أمام هذا الرجل الظالم، وبعد ربع ساعة مرت سيارة أخرى فركبها، وكانت المفاجأة بعد 5 كم رأى السيارة الأولى التي كان يركبها وقد وقع لها حادث تصادم على الطريق، وانقلبت بمن فيها، والركاب ما بين قتيل وجريح!! فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يري هذا الشاب آية أن هذا الرجل الظالم الذي انتزعه من السيارة بقوته فعل به خيرا ولم يفعل به شرا، وأن هذا الظالم الذي استغل قوته في إخراج هذا الشاب من السيارة استعجل قدره الواقع به، أو قل انتقام الله منه لظلمه للعباد، سبحان الله العظيم!!!

فهذه الأمور الأنسان لا يفهمها عندما تقع، لكن يظهر الله سبحانه وتعالى حكمته بعد ذلك وأنت لا تدري ماذا برحم الغيب، فلا تحزن إذا تعطلت سيارتك، أو جرى لك حادث صغير، إذا تعطلت عن عملك، أو تأخرت عن سفرك، فاعلم أن لله سبحانه وتعالى حكمة من وراء كل ذلك.

ليس شيء عند الله اسمه صدفة بمعنى حدوثه عشوائيا، أو بدون ترتيب قال تعالى: **(إنا كل شيء خلقناه بقدر)** [القمر/49] فقد يجعل الله تعالى في الشر خيرا كامنا.

7- احترق الكوخ لينجو من كربته

وهناك قصة لرجل كان في سفينة وهبت عاصفة شديدة عليها في عرض البحر فأغرقتها.. ونجا بعض الركاب.. منهم رجل أخذت الأمواج تتلاعب به حتى ألقت به على شاطئ جزيرة مهجورة وعندما أفاق الرجل من إغمائه جثا على ركبتيه، وطلب من الله المعونة، وسأله أن ينقذه من هذا الوضع الأليم.

مرت أيام والرجل يقتات خلالها من ثمار الشجر وما يصطاده من الأسماك، وينام في كوخ صغير بناه من أعواد الشجر ليحتمي فيه من برد الليل وحر النهار.

وذات يوم، والرجل قد أشعل النار لينضج طعامه فجأة هبت الريح الشديدة واشتعلت النار وتطاير شررها والتهمت كل ما حولها حتى الكوخ الذي كان بأوي إليه احترق ... فأخذ يصرخ قائلاً: لم يتبقَ لي شيء في هذه الدنيا وأنا غريب في هذه المكان، والآن أيضاً يحترق الكوخ الذي أنام فيه.. لماذا كل هذه المصائب تأتي علي!! فنام الرجل من الحزن وهو يتضور جوعاً، وفي الصباح كانت المفاجأة، إذ وجد سفينة تقترب من الجزيرة وتنزل منها قارباً صغيراً لإنقاذه، فلما صعد على سطح السفينة أخذ يسألهم كيف وجدوا مكانه فأجابوه: لقد رأينا دخاناً كبيرا، فعرفنا أن شخصاً ما يطلب الإنقاذ!! فسبحان من علم بحاله ورأى مكانه.. سبحانه مدبّر الأمور كلها من حيث لا ندري ولا نحتسب...فهذا شر كمن فيه خير لولا أن الله قدر أن

تهب الريح بشدتها وتشتعل ألسنة اللهب في كل شيء حوله ما نجا ولا علم بوجوده أحد.

والخلاصة:

1- على المرء أن يسعى إلى الخير جهده أخذا بالأسباب وليس عليه إدراك المقاصد، فإذا وقع شيءٌ على خلاف ما يحب، فليتذكر هذه الآية المباركة.

2- من خلال هذه الآية يتبين للمرء أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأن الأمر بيد الله؛ فكان لزاما على العبد أن يتعلق بربه، ولا يعتمد على نفسه الضعيفة التي لا تعلم شيئا.

3- ومن ألطاف الله العظيمة: أنه لم يجعل حياة الناس وسعادتهم مرتبطة ارتباطًا تامًا إلا به سبحانه وتعالى.

4- الرضا بالله وعن الله ومعناه يجمع أمرين: الرضا بقضاء الله وقدره، والرضا بشرعه وأمره، **عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رضي الله عنه-، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)** .رواه مسلم

5- التفويض إلى الله في جميع الأمور كما قال العبد الصالح :**{وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}** [غافر: 44] وعلمنا النبي ﷺ أن نستخير الله في جميع أمورنا، فلرُبَّ أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أَمْر تُحِبّهُ فيه ضررك وهلاكك، لذلك صدق من قال: مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ.

6- ففوِّض أمرك إلى الله في كل ما يَجري حولك، فكل شيء يسير وَفْقَ تقديره – عز وجل – وهو يعلم ونحن لا نعلم.

****

قوانين السعادة

(22)

ألا بذكر اللّه

تطمئن القلوب

(22) ألا بذكر الله تطمئن القلوب

في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، وزادت فيه حالات الاكتئاب والقلق؛ يشعر المسلم بضعفه وافتقاره إلى الله سبحانه وتعالى، ويرى أنه بحاجة ملحة إلى أن يلجأ إلى ربه الأعلى الذي بيده الأمور كلها، قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1]

تعريف الذكر:

الذكر: ضد النسيان، ذكر الله: لم ينس الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24]، والمقصود به ذكر الله عزَّ وجل بالألفاظ التي وردت على لسان رسوله ﷺ، وفيها تمجيد، وتنزيه، وتقديس، وتوحيد لله (مثل قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، إلى غير ذلك من الأذكار الشرعية)

فضل الذكر:

قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: 45]

ما معنى "ولذكر الله أكبر"؟ فيها عدة تفسيرات:

الأول: "ولذكر الله أكبر" يعني في النهي عن الفحشاء والمنكر، يعني إذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر.

الثاني: "ولذكر الله أكبر" ولذكر الله لكم بالأجر والمثوبة على طاعته وأداء الصلاة كما أمر الله وشرع أكبر من ذكركم إياه بما تتلون من قرآن أو تسبحون في ركوع أو سجود.

والذكر عبادة من أيسر العبادات وأعظمها أجرا:

الذكر عبادة من أسهل العبادات لا نحتاج لها وضوءً أو استقبال قبلة كالصلاة أو أداء معينا كتلاوة القرآن بأحكام التجويد، وهو عبادة لا تجهد اللسان ولا الظهر، عبادة خفيفة يستطيع المسلم أن يباشرها في كل أحواله، كما **قال سبحانه وتعالى :** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191]**عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) رواه الترمذي**

وهو أمر بالمداومة والإكثار من ذكر الله عزّ وجلّ، لأنّ ما يجري على اللّسان يثبت في الجَنان، وقديما قالوا:**" ما فيك ظهر على فيك "**

الشّاهد من الحديث: أنّ الذّكر بأنواعه، مفضّل على جميع العبادات، ووجه الدّلالة: أنّ العبد إذا كثرت عليه الشّعائر تمسّك بأفضلها، وهو الذّكر.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:(ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟)). قالوا: بلى. قال:(ذكر الله تعالى). رواه أحمد بإسناد حسن

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ": المراد بذكر الله في حديث أبي الدّرداء رضي الله عنه الذّكر الكامل، وهو ما يجتمع فيه ذكر اللّسان والقلب بالتفكّر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى، وأنّ الّذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممّن يقاتل الكفّار مثلا من غير استحضار لذلك، وأنّ أفضلية الجهاد إنّما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرّد، فمن اتّفق له أنّه جمع ذلك، كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلا فهو الذي بلغ الغاية القصوى، والعلم عند الله تعالى"

كيف يكون كثرة ذكر الله سببا للسعادة

أولاً: لأن ذكر الله يملأ القلب طمأنينة:

فالإنسان بطبعه يبحث عن السكينة، وهي لا تُشترى بالمال، بل تنبع من الداخل، من اتصال القلب بالله، وكلما ذكر العبد ربّه، انشغل قلبه بالمحبوب الأعلى، فزالت عنه الوحشة والخوف والقلق، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: 28]

بذكر الله يطمئن القلب الخائف.

بذكر الله يستأنس من يشعر بالوحشة.

بذكر الله لا يعظم في قلبك إلا الله سبحانه وتعالى.

بذكر الله لا يصيبك اكتئاب ولا قلق ولا توتر، لأنك تعلم أن الله وحده هو القادر على أن يرفع ما بك؛ كما قال جل وعلا: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: 17]

والشيء بالشيء يذكر لما كان الإمام الجنيد جالسا مع تلامذته قال لهم: تعالوا نذكر الصالحين؛ فبذكر الصالحين تحل البركة.

فقال أحدهم: إذا كان بذكر الصالحين تحل البركة فماذا يا شيخنا إذا ذكرنا الله؟ فأطرق الشيخ قليلا ثم رفع رأسه قائلا: إذا ذكرنا الله اطمأنت القلوب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]

فالمسلم يأنس بربه في خلوته ويستشعر قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]

قال ذو النون" :ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برؤيته "

وقال بعض العارفين :مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

ثانيا/ ذكر الله كثيرا علامة فارقة بين الإيمان والنفاق:

المؤمن يذكر الله كثيرا والمنافق لا يذكر الله إلا قليلا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41]، فالأمر بالذكر هنا ليس معناه مجرد الذكر فقط، بل أن نذكر الله سبحانه وتعالى ذكرا كثيرا، والفارق بين المؤمن والمنافق: أن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، **كما قال تعالى:** ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142]

أما المؤمن فإنه يذكر الله كثيرا؛ كما بالآية السابقة وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35]

وقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45]

والمؤمنون وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: 2]

من أحب شيئا أكثر من ذكره:

والعلماء يقولون: **"من أحب شيئا أكثر من ذكره"**؛ فالألسنة تعبر عما في القلوب، وكلما أحب القلب شيئا تجده دائما على لسانه، فمن أحب الرياضة تراه يتابع أخبار الرياضة والمباريات والتحليلات، وترى آخرين يحبون السيارات ... التجارة وحالة الأسواق .... وترى النساء يحببن الأسعار والموضة والملابس وأصناف الأكل، فمن أحب شيئا سيكون دائما على لسانه، وستكون اهتماماته كلها منصبة عليه، فهذا حال أغلب الناس.

أما حال المؤمن فقلبه عامر بالإيمان بالله -سبحانه وتعالى- فدائما ما يكون لسانه عامرا بذكر الله؛ فاللسان يعبر عما في القلب.

كما قال التابعي الجليل يحيى بن معاذ: "القلوب كالقدور والألسنة مغارفها "

القدور آنية الطعام واللسان كالمغرفة فهو يغرف معبرا عما في القلب، نسأل الله أن يطهر قلوبنا، وأن يطيب ألسنتنا وأن يجعلها دائما لاهجة بذكره - سبحانه وتعالى-

وكان الحسن البصري كثيرا ما يقول في كلامه -سبحان الله، يعني يربط بين جملة وجملة بقوله: سبحان الله.

عن لقمان بن عامر رضى الله عنه" :أن رجلاً أتى أبا مسلم الخولاني فقال له: أوصني يا أبا مسلم قال: اذكر الله تحت كل شجرة وحجر فقال: زدني قال: اذكر الله حتى يحسبك الناس مجنوناً "؛ قال: فكان أبو مسلم يكثر ذكر الله فرآه رجل فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم فقال: يا أخي هذا دواء الجنون.

ثالثا/ لأن الله يذكرك إذا ذكرته:

تأمل هذا الفضل العظيم! أنت تذكر ربّك على الأرض، فيذكرك هو في السماء، فأيّ كرامة أعظم من أن يذكرك الملك الجليل؟ وهذا وحده كافٍ أن يُسعد قلب المؤمن ويملأه فخرًا وطمأنينة.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى يقول (أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه) رواه البخاري

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم) رواه البخاري ومسلم.

في نفسه: بينه وبين الله.

في ملأ: في جماعة.

تأملوا هذا المعنى: إذا قلت في نفسك: **سبحان الله العظيم**، فأنت تذكر الله عزوجل في نفسك، أنت أيها العبد الفقير الضعيف الله يذكرك في الملأ الأعلى عنده، كما نرى على الشاشة كلمة (live) أو بث مباشر، فأنت تذكر الله خاليا مع نفسك والله جل وعلا مطلع عليك -سبحانه وتعالى-

وحتى تستشعر هذا المعنى اقرأ هذا الحديث:

كان أبي بن كعب -رضي الله عنه- حبرا (عالما) من أحبار اليهود فأسلم وصار من أهل القرآن وهو إمام المسلمين لأول صلاة تراويح في عهد عمر -رضي الله عنه- جمع الناس فيها على إمام واحد، دعاه رسول الله ﷺ قائلا: **يا أبي إن الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة، فبكى -رضي الله عنه- قائلا: وسماني لك؟! يقصد الله جل جلاله سماني لك بالاسم اقرأ هذه على أبي؟ فبكى رضي الله عنه فرحا واستبشارا بذلك.**

وقال بعض السلف: أنا أعلم متى يذكرني ربي! فقالوا متعجبين كيف ذلك؟ قال أليس هو القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152] فإذا ذكرت الله تعالى ذكرني عنده في الملأ الأعلى.

وإن ذكرته في ملأ ذكرك الله عنده في الملأ الأعلى يباهي بالذاكرين ملائكته.

كما في الحديث أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: " ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بك، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة "، رواه مسلم

الله أكبر! الله أكبر! فاستشعر أخي وأنت في أي مكان، وخاصة في الخلوة، أو في جماعة من أصدقائك تذكرون الله -سبحانه وتعالى- أن الله يباهي بكم ملائكته.

رابعا/ استشعار معية الله عز وجل:

ما أجلها من معية، معية الله عز وجل لعبد من عباده حين يذكره، فيكون معه الله بالتوفيق والعون والسداد، والإنسان بطبعه اجتماعي وعندما يكون وحيدا في مكان تأتيه وحشة ويخاف بل من العقوبات الشديدة الحبس الانفرادي، حيث لا يرى الناس ولا يرونه، لكن المؤمن لا يرى في الخلوة وحشة إنما يرى فيها أنسا بالله -سبحانه وتعالى- وخلوة مع الله، وهذا ما قاله **النبي ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "** رواه البخاري.

ولما كان الرسول ﷺ مع أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- بالغار يوم الهجرة قال: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا.

وأبو بكر -رضي الله عنه- لم يكن خائفا على نفسه ، إنما كان يخشى على رسول الله ﷺ أما رسول الله ﷺ فقلبه مطمئن وواثق بالله -سبحانه وتعالى- قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 40]

والضمير في **"عليه"** يعود على أبي بكر -رضي الله عنه-، والشاهد قول النبي ﷺ لأبي بكر -رضي الله عنه- لا تحزن إن الله معنا، فذكر الله -سبحانه وتعالى- في هذه الشدة جعلت الصديق -رضي الله عنه- يستشعر معنى

السكينة والثقة في الله عند هذه الشدة الكبيرة التي كانوا فيها، وهم في الغار، والمشركون أمام الغار يضمرون كل شر بالرسول ﷺ وصاحبه.

خامسا / ذكر الله حياة للقلب:

يقول النبي ﷺ (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت)

وقال ﷺ «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله؛ فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»

فالذكر بالنسبة للإنسان مثل الماء للنبات، فكما أن النبات يحيا بالماء كذلك، فالقلب يحيا بالذكر

ويقول ابن القيم رحمه الله":الذكر للقلب بمنزلة الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟"

فكما أن السمك لا يعيش إلا في الماء كذلك القلب لا ينجو ولا يسعد إلا بذكر الله، فإذا انقطع عن الذكر اختنق بالهموم، ومات بالغفلة.

اللهم اجعلنا من الذين تحيا قلوبهم. آمين

سادسا/ الذكر يُقوّي العلاقة بالله:

كثرة الذكر تجعل العبد دائم الصلة بربه، لا يغيب عنه في سرّائه ولا في ضرّائه، وكلّما كانت الصلة بالله أقوى، كان القلب أكثر سعادة؛ لأن السعادة الحقيقية في القرب من الله لا في الدنيا الفانية.

وجاء رجل إلى الحسن البصرى فقال: أشكوا قسوة في قلبي قال: أذب هذه القسوة بذكر الله.

وقال ابن القيم :وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلىَّ وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد سقطت قوتي.

سابعا/ لأن الذكر يُنقّي القلب من الهمّ والضيق:

القلوب إذا ابتعدت عن الله امتلأت بالهموم، والذكر بمثابة دواء القلوب الذي يُزيل الكدر ويبدّله راحة، **قال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} [الحجر 97-98]**

﴿**فسبح بحمد ربك**﴾ توجيه من الله للنبي ﷺ وللأمة من بعده إذا ضاق صدرك فافزع إلى الله تعالى بالتسبيح، والتقديس حامدا إياه جل وعلا.

﴿**وكن من الساجدين**﴾ أي: المصلين ، ولذلك كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وقال ابن القيم رحمه الله: إن في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور لمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً.

****

قوانين السعادة

(23)

انشغل بعيبك

عن عيوب الناس

(23) انشغل بعيبك عن عيوب الناس

الكمال لله وحده والعصمة للأنبياء، فلا عصمة لأحد بعد الأنبياء؛ أما بقية البشر فكلهم يصيبون ويخطئون، ولا يخلو إنسان من نقص وعيب، لكن هنالك مشكلة تنغص على كثير من الناس حياتهم؛ وهي انشغال البعض بعيبه عن عيوب الناس، ولو أبصر المرء عيوب نفسه لانشغل بها عن عيوب الناس؛ لأن المرء مطالب بإصلاح نفسه أولا وسيسأل عنها قبل غيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) رواه مسلم.

وهذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل احتقار الناس، وتفضيل نفسه عليهم، وتقبيح أحوالهم، فلا يزال الرجل يعيب الناس، ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس، وهلكوا، ونحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم، والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه، ورؤيته أنه خير منهم.

وأما إذا قال ذلك تأسفا وخوفا عليهم لقبح ما يرى من أعمالهم فليس ممن عني بهذا الحديث، والفرق بين الأمرين: أن يكون في الوجه الأول راضيا عن نفسه معجبا بها حاسدا لمن فوقه محتقرا لمن دونه، ويكون في الوجه الثاني لواما لنفسه موبخا لها غير راض عنها.

كمثل الغراب أو الذباب:

وفي دنيانا نرى بعض الناس لخبث في أنفسهم لا هم له إلا العيب في غيره فيقول فلان كذا وكذا وفلانة فيها كذا وكذا، والجمعية الفلانية والهيئة الفلانية ...الخ، فلا يرى إلا العيوب فقط، وقد ضرب العلماء مثالا بهذه النوعية من الناس بالغراب الذي يمر ببستان جميل فيه الثمار والأشجار تجرى من تحتها الأنهار يمر هذا الغراب فلا يخرج من البستان إلا بدودة!!!

أو كالذباب الذي لا يحط إلا على القاذورات فينقل الجراثيم والميكروبات أما المسلم طيب النفس فتراه كالنحل لا يحط إلا على أطايب الزهر -جعلني الله وإياكم منهم-.

وفي هذا المعنى يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ

يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)، رواه الترمذي عنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما وصححه الألباني في "صحيح الترمذي".

لا تفترض في نفسك دائما أنك على صواب:

انتقل رجل مع زوجته إلى منزل جديد، وفي صبيحة اليوم الأول، وبينما يتناولان وجبة... الإفطار قالت الزوجة مـُشيرة من خلف زجاج النافذة المطلة على الحديقة المشتركة بينهما وبين جيرانهما انظر يا عزيزي إن غسيل جارتنا ليس نظيفا؛ لابد أنها تشتري مسحوقا رخيصا ودأبت الزوجة على إلقاء نفس التعليق في كل مرة ترى جارتها تنشر الغسيل

وبعد شهر اندهشت الزوجة عندما رأت الغسيل نظيفا على حبال جارتها

وقالت لزوجها: انظر لقد تعلمت أخيرا كيف تغسل!!!

فأجاب الزوج: عزيزتي أنا نهضت مبكرا هذا الصباح ونظفت لك زجاج النافذة التي تنظرين منها.

لماذا لا نرى إلا الأخطاء؟

فالإنسان– لنقصه وحب نفسه – يتوفر على تدقيق النظر في عيب أخيه، فيدركه مع خفائه، فيعمى به عن عيبٍ في نفسه ظاهر، ولو أنه انشغل بعيب نفسه عن التفرغ لتتبع عيوب الناس، لكف عن أعراض الناس وسد الباب إلى الغيبة.

وكثيرا ما ننتبه للأعمال السيئة ونغفل عن الأعمال الحسنة التي قد تكون أكثر بكثير من السيئة وما انتبهنا!!

يقول سعيد بن المسيب :ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا فيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، ولا تذكر عيوب أهل الفضل تقديراً لهم .

ويقول الإمام أبو حاتم بن حبان: الواجبُ على العاقل لزومُ السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، ومع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره، أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه. وإن اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه،

وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه".

لو انشغل كل واحد منا بعيبه عن عيوب الناس سيكون ذلك سبباً مباشراً للسعادة لعدة أسباب:

1- راحة القلب والبعد عن الغلّ

عندما ينشغل الإنسان بعيوبه، ينشغل بإصلاح نفسه لا بانتقاد الآخرين، وهذا يجعله بعيداً عن الحقد، والغيظ، والغيرة، وهي مشاعر سلبية تثقل القلب وتمنع الطمأنينة؛ فإذا خلا القلب منها امتلأ بالراحة.

2-العيش في سلام بين الناس

لأن من يفتش في عيوب الناس فإن هذا يدفعهم للتفتيش في عيوبهم، والتجسس عليه وتتبع عوراته وهتك أستاره، وفضح أسراره، ويُولّد العداوات مع كل منا يعيبهم، بينما من يشتغل بعيبه يحفظ لسانه ويكسب المودة، والعيش وسط بيئة محبة متسامحة يجلب السعادة أكثر من العيش في جو من النزاع والشحناء والتربص الدائم بالغير.

3- الانشغال بالنجاح والإنجازات

الذي يراقب نفسه ويُصلح عيوبه ويزيد من قراءاته ومعارفه، كل يوم يمر عليه تراه يتقدم خطوة إلى الأفضل، وهذا يولّد عنده شعوراً بالرضا والإنجاز، وهو من أعظم أسباب السعادة.

4- السكينة وهدوء النفس

الانشغال بعيوب الناس يضعك في مقارنة دائمة، ويزرع القلق والغيرة. بينما الانشغال بالنفس يعطي الإنسان توازناً، فيرى ضعفه ويعرف قدره، فيعيش بهدوء بعيداً عن المنافسة السلبية.

من أقوال السلف في ذم الانشغال بعيوب الناس:

لقد تعلّقت قلوب الجيل الرَّباني من الصَّحابة والتّابعين بالله دائمًا، وانشغلوا بأنفسهم التي هي أعدى أعدائهم؛ فانشغلوا عن كلّ الشواغل بالنَّفس التي بين جنبيهم، يهذبونها ويربونها؛ لأنَّهم فهموا أنَّ تربية الفرد لنفسه وتعاهدها أولاً بأول أمر لا بدَّ منه لمن يريد دوام الاستقامة على أمر الله، بل كانوا يخافون إن تكلموا في الناس بما فيهم أن يبتلوا بما ابتلي به الناس من هذه العيوب

كما قال الأعمش: سمعت إبراهيم يقول: " إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلا مخافة أن أُبتلى بمثله".

وقال الآخر: كانوا ينهون عن فضول النظر كما ينهون عن فضول الكلام.

وكان عمر رضي الله عنه يُربي الأمة كلها من فوق المنبر فيقول: (رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوبي)

وقيل للربيع بن خثيم: ما نراك تغتاب أحداً، فقال: لستُ عن حالي راضياً حتى أتفرغ لذم الناس.

وعن عون بن عبد الله قال: "لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه".
وعن ابن سيرين قال: كنا نحدَّث أن أكثرَ الناس خطايا أفرغُهم لذكر خطايا الناس".

وقال الفضيل: ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكَر أحدٌ بخير".
وقال مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة، وكفى المرء شراً ألا يكونَ صالحا ويقعَ في الصالحين".

ويشتد الأمر خطورة إذا كانت الوقيعة والعيب في العلماء والدعاة والصالحين:

قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته".

وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.
وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء وإياكم وذكر الناس فانه داء.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (كان بالمدينة أقوام لهم عيوب، فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله الناس عنهم عيوبهم، فماتوا ولا عيوب لهم، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم، فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله عيوباً لهم، فلم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا)

خطورة هذا المرض على الفرد

1-غفلة المرء عن عيوب نفسه:

إن من أخطر الأمراض القلبية التي يُصاب بها العبدُ أن يرضى عن نفسه، ويرى كمالات نفسه، ويغفل عن عيوبه، مع أنه لا يخلو إنسان من نقص وعيب وذنب وخطيئة، وإذا أراد الله بعبده خيراً صرفه إلى الاعتناء بعيوب نفسه، ومحاولة إصلاحها، فتجده دائماً منشغلاً بنفسه، حريصاً على تزكيتها.

وكم هو قبيح أن ينسى الإنسان عيوب نفسه، وينظر في عيوب إخوانه بمنظار مُكبِّر!!

والإنسان ـ لنقصه ـ يتوصل إلى عيب أخيه مع خفائه، وينسى عيب نفسه مع ظهوره ظهورا مستحكما لا خفاء به.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله "ﷺ: "يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، وينسى الجِذْعَ في عينه". رواه البخاري في الأدب المفرد مرفوعاً وموقوفاً، وصحح الألباني وقفه على أبي هريرة

والقذاة ما يقع في العين من غبار وغيره فيؤذيها، والجذل الخشبة العالية الكبيرة.

2-الشعور الدائم بالنقص:

فالحديث عن أخطاء الآخرين، والإسراف في ذكرها، يدل على مرض عضال في النفس وهو الشعور الدائم بالنقص ؛ فيبحث عن الأخطاء، كأنها هواية عنده؛ فهو يفرح بها إذا وجدها ويضخمها إذا عرضها، وهو يذكر دائمًا الخطأ، ولا يذكر أبدًا الصواب، ولذا تبرز شخصية الإنسان من خلال نصيبه من هذه القضية، فإذا عُرف بأنه مشغول بتضخيم عيوب الآخرين والطعن في الناس، فهذه مرآة تعكس أنه يشعر بضآلة نفسه وحقارتها وأن حجم نفسه صغير؛ لأنه يعتقد أنه لن يعلو قدره إلا على أنقاض الآخرين، فدائماً يحاول أن يحطم الآخرين، ويكثر نقدهم ويذكر عيوبهم ، وأنه في داخل نفسه يحس أنه صغير وحقير، فلذلك يشتغل بعيوب الآخرين.

3- إسقاط عيوب النفس على الآخرين:

وقد يكون انشغال العبد بعيوب الناس والتحدث بها بمثابة ورقة التوت التي يحاول أن يغطي بها عيوبه وسوءاته.

سمع أعرابي رجلا يقع في الناس، فقال: " قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها".

ويقول عون بن عبد الله رحمه الله: لا أحسب الرجل ينظر في عيوب الناس إلا من غفلة قد غفلها عن نفسه.

وعن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال: كنا نحدث أن أكثر الناس خطايا أفرغهم لذكر خطايا الناس.

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: كفى بالمرء إثماً ألا يكون صالحاً، ثم يجلس في المجالس ويقع في عرض الصالحين.

قال بكر بن عبد الله: " إذا رأيتم الرجل موكّلا بعيوب الناس، ناسيا لعيوبه ـ فاعلموا أنه قد مُكِرَ به".

4- الوقوع في الغيبة:

لأن الغيبة كما ورد في الحديث: ذكرك أخاك بما يكره، فالانشغال بعيوب الناس يجر العبد إلى الغيبة ولابد، وقد عرفنا ما في الغيبة من إثم ومساوئ أقلها تفكك الروابط بين الناس كما قال بعض السلف: إذا ذكرت الغيبة ارتفعت الأخوة.

5- الوقوع في أمراض القلوب كالكبر والعجب والغرور:

والذي يعيب غيره ربما يكون له هدفا شخصيا من خلا تسفيه غيره وإبراز عيوبهم، وكأنه يريد ألا يبدو في الصورة غيره فهو المؤمن التقي النقي الصادق الأمين المعصوم الذي لا يخطأ، العفيف الشريف الكبير، وكثيراً ما يكون هذا نابعاً من الرضا عن النفس والإعجاب بها، بل والكبر والغرور والعياذ بالله، فإن (الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم

و(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) رواه مسلم.

خطورة هذا المرض على المجتمع

1- رفض المشاركة في الأعمال الخيرية والتطوعية:

لأن التركيز على العيوب في أي مجتمع هو قتل لأي إيجابية، ووأد لأي عمل فيه خير أو منفعة، فكل من يقترب من هذه النقطة يجد لسانا حادا يسلقه بالسب والطعن والخوض في عرضه؛ فهذا يجعل الناس دائما بعيدين

عن هذه الأمور فيقول أحدهم: أنا لا أريد أن يخوض الناس في عرضي بألسنتهم أو أسب وأهان!!! وهذا يكون يا للأسف الشديد مثبطا لكل خير.

2- شيوع العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع:

كما أن الانشغال بعيوب الناس يؤدي إلى شيوع العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع، فحين يتكلم المرء في الناس فإنهم سيتكلمون فيه، وربما تكلموا فيه بالباطل.

وفي هذا المعنى يقول الشافعي رحمه الله:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى ودينك موفور وعرضك صيّن

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلّك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك معايباً فدعها وقل: يا عين للناس أعينُ

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

فكما أن لي لسان يطال الناس فللناس ألسن وكما أن لي عين لا ترى إلا عيوب الناس فللناس أعينُ.

3- المثالية الحالمة سبب فشل أي عمل:

يقول العلامة القرضاوي :وهناك من يسمون بأصحاب المثالية الحالمة، وهؤلاء يريدون أن يبدأ العمل كاملاً، عملاقًا، ولا يمرُّ بمراحل النمو، ولا يتعرض لأمراض البيئة، وآفات الحياة، ومتاعب الطريق الطويل، وهؤلاء "لا يعجبهم العجب ولا الصيام في رجب"، فهم لا يعملون ولا يدعون غيرهم يعمل، كل ما لديهم لسان طويل على ذراع قصير، وبراعة النقد، وإخفاق العمل، وهمة الهدم، وقعود عن البناء.

كفى بالمرء فخرا أن تعد معايبه:

لو أننا ركزنا في معاملاتنا المختلفة مع من حولنا (زوجاتنا أبنائنا أصدقائنا زملائنا) لو ركزنا على محاسنهم وفضائلهم وإيجابياتهم وما يحسنون لرأينا عجبا والله!!!

أبدأ بزوجتك قل لها أجمل ما فيك كذا وكذا .... انا أحب فيك كذا وكذا ...

إذا شجعت من حولك بميزة فيه ستجد منه إبداعا وحرصا على المزيد من التميز والتفوق، كما في قصة " زاذان" الذي كان رجلا حسن الصوت يغني وكانت الناس تستمع له وتتلذذ بشعره وصوته الجميل.... وفى يوم مر عبد الله بن مسعود بجوار مجلسه فسمعه وهو يغني، فقال ما أجمل هذا الصوت لو كان بكتاب الله!!!
وبلغت الكلمة زاذان فتأثر بها جدا، وكانت سببا لتغيير مجرى حياته وذهب لعبد الله بن مسعود تائبا باكيا... فبشره أن الله يحبه فدهش زاذان وقال كيف؟ فقال له (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) واتجه الرجل بعدها للقرآن.

مناقب الصحابة:

والرسول أظهر أجمل ما في أصحابه من خلال المناقب التي جمعها علماء السنن والحديث وزع النبي الألقاب والمناقب ليس نفاقا ولا مجاملة **(وما ينطق عن الهوى) مثل:**

حديث: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة " أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك

وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة- رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله- ﷺ- قال: " ... ولا أظلّت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر"

وهكذا وظف النبي كل واحد من أصحابه فيما يحسن ويجيد ورأيناهم من بعده كل رجل منهم بأمة.

وأخيرا أقول:

- انشغل بعيوبك عن عيوب الناس.
-من راقب الناس ازداد هما.
-كن جميلا ترى الوجود جميلا.
- انزع النظارة السوداء من على عينك، وانظر إلى الناس بشفافية ووضوح.
-لا تنجح بالعدوان على الآخرين: بإمكان الجميع النجاح.

قوانين السعادة

(24)

لا تكن إمعة

(24) لا تكن إمعة

معنى الإمَّعة:

الإمَّعةُ – بكسر الهمزة وتشديد الميم -: والإمعة هو الرجل الذي لا رأْي له ولا عَزْم، فهو يتابع كلَّ أَحدٍ على رأْيِه، يترك رأيه وشخصيته وطباعه، وكلامه وأخلاقه، فيذوب في الأخرين، فيكون كلامهم كلامه، وأخلاقهم أخلاقه، يغير من مبادئه لتصبح كمبادئهم إن أطاع الناس ربهم أطاع الله معهم وإن تخلى الناس عن بعض أخلاقهم تخلى مثلهم عن أخلاقه ليسايرهم، فهو مع الناس دائماً يؤثرون عليه ولا يؤثر فيهم، غير ثابت على مبادئه و أخلاقة ومنهجه.

ومن دلائل عظمة ديننا: أنه دين يجعل أتباعه مميزين في شخصياتهم وأفكارهم، وحكمهم على الأشياء، لأنهم يتميزون بأن معهم ميزان الحق، والعدل الذي لا يخطئ؛ فيزنون الأمور بالكتاب والسنة، فلا يتبعون هوى، ولا يصغون السمع مفتونين بباطل، ولا يرضون لأنفسهم أن يكونوا ذيولا تابعين لغيرهم، لكننا الآن في عصر أكبر ما يميزه أنه:

(عصر الفوضى)

فنحن نعاني من فوضى في التوجيه والإعلام، وفي عصرنا حدثت طفرة كبيرة في وسائل التواصل الاجتماعي، والإعلام المتمثل في القنوات الفضائية التي تعمل 24 ساعة وتحاول أن تنقل كل جديد وغريب وعجيب، وأغلب ما يقوم عليه الإعلام اليوم استراتيجيّة الإلهاء: المتمثلة في تحويل انتباه الرّأي العام عن المشاكل الهامّة عبر وابل متواصل من الإلهاءات والمعلومات التافهة، وتشويه الحقائق، وعلى ابتكار أو افتعال الإشاعات وتفريخ الشبهات.

ومن العجب العاجب أن تجد مسلما يهيم على وجهه في الدنيا كالريشة في مهب الريح، لا وزن له ولا ثبات ولا قيم ولا هوية ولا مبادئ.
فالمسلم الضائع أو المائع الذي ينقاد لغيره، ألغى شخصيته فذابت مع غيره، واعتقد جهلا أن الكمال في تقليد الغربيين في الهوس والمجون، لا في عملهم وإتقانهم وإبداعهم وتقدمهم وأخذهم بالأسباب وفي التفاعل مع الكون.

إن المسلم لابد وأن يوطن نفسه ويستقل بذاته عن غيره، وقد ذكر القرآن أن من ندامة أهل سقر في النار والعياذ بالله **(وكنا نخوض مع الخائضين)** [المدثر45]، **قَالَ قَتَادَةُ: كُلَّمَا غَوِيَ غَاوٍ غَوَيْنَا مَعَهُ.**

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه – :" لا تكونوا إمَّعة، تقولون: إن أحسن النَّاس أحسنَّا، وإن ظَلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن النَّاس أن تُحسِنوا، وإن أساءوا فلا تَظْلِموا " رواه الترمذي وقال الألباني صح موقوفا عن ابن مسعود.
وهذا الحديث يذمُّ ويحذِّر مِن الإمَّعة، الذي يقلِّد النَّاس بدون وعيٍ في إحسانهم وإساءتهم.

وقال أيضا رضي الله عنه أيضاً: "لا يكونن أحدكم إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يجري مع كل ريح "

فالإمعة دائماً هش مرن لا يثبت على ما عليه من الحق حتى الريح على رقتها تؤثر فيه وتجعله يتشكك فيما هو عليه.

يقول الفضيل بن عياض -رحمه الله-: (اتَّبع طريق الهدى، ولا يضرُّك قلَّة السَّالكين، وإيَّاك وطرق الضَّلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين)

وعن كَمِيل بن زياد أنَّ عليًّا- رضي الله عنه- قال: يا كَمِيل: إنَّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير، والنَّاس ثلاثة: فعالم ربَّانيٌّ، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كلِّ ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق)

وهنا أيضاً يؤكد على بن أبى طالب على نفس المعنى فيوضح أن الناس ثلاثة أصناف، ثم يبين أن أسوأ هذه الأصناف هو النوع الثالث: **(همج رعاع أتباع كل ناعق)** وهو الإمعة الذى يظهر أنه يحمل الحق ولكنه على غير بصيرة وعلى غير ثقة، ويقين بما عليه من منهج وإيمان وأخلاق إذا واجهته شبهه أمامه أو انتقاد من الناس أو ذم انقدح، وظهر الشك في قلبه مما هو عليه من الحق فيترك ما معه من الحق ويتبع الناس.

فالخير كله في أن نعرف دين الله حقاً ونكون على بصيرة وثبات مما نحن عليه ولا يداخلنا الشك في مبادئنا وأخلاقنا فنثبت ولا نغير أنفسنا من أجل الناس.

وأذكر أن أحد المشايخ سألنا في درس له سؤالا قال :لماذا يجري اثنان وعشرون لاعبا في مباراة كرة القدم وراء الكرة هذا يضربها والآخر يركلها؟ فذهب الناس مذاهب فمنا من قال لإحراز الهدف.. كلا للفوز بالمباراة، لا لا لإثبات المهارة في اللعب!!

فقال: إن السبب أن هذه الكرة منفوخة على الفاضي (منفوخة هواء) وأي واحد منفوخ هواء سهل أن يُشاط (كالكرة)فالشخصية التافهة المائعة لا وزن لها.

فتحديد الهدف وتكوين الشخصية المتزنة القويمة أمر هام جدا لأن الذي يعرف هدفه ينطلق إليه وبسرعة كالسهم.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

الإمعة والتقليد الأعمى:

مما لا شك فيه أن الإنسان يتأثر بمن حوله وبما حوله من أشخاص وأحداث وأشياء ..والإنسان المتوازن يتأثر ويؤثر.. وهذا يعني أن التقليد يمكن أن يكون طبيعياً، حيث يتأثر الإنسان بالأشخاص من حوله بأفكارهم وسلوكهم وتصرفاتهم وثيابهم وغير ذلك، والتقليد في الخير خير، أما التقليد في التفاهة والشر فهو شر، وعادة يقلد الأضعف الأقوى ويتأثر به كما يقلد الصغير الكبير، لأنه يشعر بالنقص والضعف ويتمنى أن يتخلص من ضعفه ونقصه من خلال التشبه بغيره؛ فيمضي في ركب القطيع المطيع خلف المرياع.[18]

التقليد الأعمى وقصة القرود الخمسة:

وأبلغ مثال عن التقليد الأعمى قصة القرود الخمسة حينما وضع مجموعة من العلماء خمسة قرود في قفص واحد ووضعوا في وسط القفص سلم وفي أعلى السلم وضعوا بعض الموز في كل مرة يتسلق أحد القرود لأخذ الموز يرش العلماء باقي القرود بماء شديد البرودة .

بعد فترة بسيطة أصبح كل قرد يتسلق لأخذ الموز، يقوم الباقون بمنعه وضربه حتى لا يُرشون بالماء البارد ، بعد مدة من الوقت لم يجرؤ أي قرد على صعود السلم لأخذ الموز على الرغم من كل الإغراءات خوفا من الضرب ...بعدها قرر العلماء أن يقوموا بتبديل أحد القرود الخمسة

---

(18) المرياع هو قائد قطيع الغنم الذي يعتمد عليه الراعي في توجيه غنمه، وهو خروف كثير الصوف، يتم إخصاؤه كي لا ينشغل عن وظيفته الأساسية وهي (قيادة القطيع)، وأفراد القطيع غالبا ما يتبعونه مطأطئ الرؤوس دون الحاجة لمشاهدته ، وفي العادة يعلق جرس في رقبة المرياع يحركه فيحدث صوتا أثناء الحركة والمشي فيسمعه باقي أفراد القطيع فيستمرون في تبعيته والمشي خلفه أينما توجه ، والمراييع نوعان: مرياع الراعي وهو من يتبع الراعي، ومرياع الحمار، وهو الذي يتبع الحمار الذي يتقدم قطيع الغنم؛ فمتى تحرك الحمار تحرك المرياع وتتبعه الغنم.

ويضعوا مكانه قردا جديدا، فكان أول ما قام به القرد الجديد أنه صعد السلم ليأخذ الموز ، ولكن فورا قام الأربعة الباقون بضربه وأجبروه على النزول ....بعد عدة مرات من الضرب فهم القرد الجديد بأن عليه أن لا يصعد السلم مع أنه لا يدري ما السبب!!!!
قام العلماء أيضا بتبديل أحد القرود القدامى بقرد جديد ، وحل به ما حل بالقرد البديل الأول حتى أن القرد البديل الأول شارك زملائه بالضرب وهو لا يدري لماذا يضرب!!!!
وهكذا حتى تم تبديل جميع القرود الخمسة الأوائل بقرود جديدة حتى صار في القفص خمسة قرود لم يرش عليهم ماء بارد أبدا
ومع ذلك يضربون أي قرد تسول له نفسه صعود السلم بدون أن يعرفوا ما السبب ؟!!!
لو فرضاً سألنا القرود لماذا يضربون القرد الذي يصعد السلم؟
أكيد سيكون الجواب: لا ندري ولكن وجدنا آباءنا وأجدادنا له ضاربين.

الإمعة شخص يُشترَى ويباع:

نعم الإمعة يشترَى بأبخس الأثمان، لكن صاحب المبدأ لا يشترى ولا يباع، لا تؤثر فيه سبائك الذهب اللامعة ولا سياط الجلادين اللاذعة، وقد قالها النبي لعمه واضحة جلية: **"والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته "**

لذلك من الصعب جداً أن تشتري إنساناً صاحب مبدأ، لا يلين، ولا يقبل بأنصاف الحلول، ولا يباع، ولا يشترى فرجل المبدأ إنسان عظيم، ورجل المصلحة إنسان تافه يعبد مصلحته من دون الله، مع هؤلاء ومع هؤلاء، مذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، هو مع مصلحته الحقيقية، لذلك من أشد هذه الأخلاق انحطاطاً أن يكون الإنسان إمعة.

فإذا أردت أن تعيش عزيزا كريما لك شخصيتك المميزة **فلا تكن إمعة.**
فالمسلم دائما يعيش حرّاً عزيزا كريما، يتبع الناس في الخير وينكر عليهم إذا وقعوا في الشر إذا صلح الناس صلح، وإذا فسدوا لا يفسد.

والمسلم الحق يرضي ربه في كل شيء فلا يبيع دينه لأجل رضا الناس، بل يسعى لرضا الله وحده.

والإمعة قد يرضي الناس مؤقتاً، لكنهم في قلوبهم لا يحترمونه لأنه إنسان تافه بلا مبدأ، بينما المستقل وإن خالفهم فإنهم يحترمونه لأنه صاحب مبدأ، بل ويطمئنون عند التعامل معه لأنه رجل عند كلمته لا يغدر ولا يخون

دع المكارم ولا ترحل لبغيتها:

هل تصدقون أن شاعراً يدخل السجن ببيت قاله في إنسان، وعدّه العرب في الجاهلية أهجا بيت قالته العرب، ولا أبالغ إذا قلت لكم: إن هذا البيت هو اليوم شعار كل إنسان إمعة، البيت الشعري هو:

دع المكارم ولا ترحل لبغيتهاواقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.**

هذا البيت من قصيدة للحطيئة العبسي، وهو بيت مشهور، وهو يهجو (يذم) فيه الزبرقان بن بدر أحد وجهاء بني تميم، وعند ما علم الزبرقان بن بدر بهجاء الحطيئة له، اشتكاه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال عمر: ما أسمع هجاء، أما ترضى أن تكون طاعما كاسيا؟

فقال الزبرقان: يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده ما هجي أحد بمثل ما هجيت به، فخذ لي ممن هجاني؟

فقال عمر: علي بحسان، فجيء به فسأله، فقال: لم يهجه يا أمير المؤمنين، ولكنه سلح عليه سلحا (السلح هو الغائط) كناية عن شدة الهجاء!!،

فأمر به عمر فحبس حتى أعلن توبته عن هجاء المسلمين.

الثبات على الحق

لا بد للمسلم في هذا الزمان أن يوطن نفسه على الثبات على الحق وتمييزه من الباطل لأن هذا العصر كثر فيه موت العلماء، واتخذ الناس رؤوسًا جُهّالاً، وفشا فيه الجهل، وقلّ فيه العلم، ونَطَق الرُّوَيْبِضَة، وصار هناك فوضى في الكلام والتوجيه، فأصبح الصَّحفي فقيهًا، والإعلاميّ مُشَرِّعًا، وقَلَّت فيه الثقة بالعلماء .... بل أصبح فيه الحديث والنطق من دَيْدن الرُّوَيْبِضَة، من التافهين والأفاكين الذين يقلِبُون الحق باطلاً، والباطل حقًّا، والذين يُزَوِّرُون الحقائق، الذين يقولون ما لا يعْلمون ويمارون فيما يَعلَمون.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن هذه النوعية من البشر فقال: **"(سيأتي على أمتي سنوات خداعات يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة" قيل "وما الرويبضة؟ " قال: "الرجل التافه السفيه يتكلم في أمر العامة " صححه الألباني**

وأخبر النبي ﷺ عن شيوع ذلك في آخر الزمان ففي الحديث عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه قال: قال النبي "ﷺ :(يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالة) رواه البخاري

****

قوانين السعادة

(25)

تخلق بخلق التغافل

(25) تخلق بخلق التغافل

تعريف التغافل :

الغفلة: عدم إدراك الأشياء حولك، أما **التغافل:** فهو تعمد الغفلة، أو تكلف الغفلة مع العلم.

فمن الحكمة أن ترى الأشياء، وتبصرها لكنك تتغافل عنها؛ فلا تلتفت إليها؛ فمن تمام الذكاء أن تتغافل، فلا تسأل ولا تدقق في كل الأمور، ولا تناقش الناس في كل مسألة.

الترغيب في التغافل:

قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: 199]

ما معنى خذ العفو؟ أي ما سمحت به أخلاق الناس وأحوالهم وطبائعهم خذ العفو ولا تنتظر المثالية في الأخلاق من كل من تلقاه، وكل من تتعامل معه لأن هناك تفاوت بين الناس في أخلاقهم؛ فإذا هيئت نفسك هذه التهيئة أن تأخذ بالعفو، وما سمحت به أخلاق الناس، وتيسر لهم القيام به سعدت في هذه الحياة، أما إذا كنت تنتظر من كل من تلقاه أن يكون مثاليا في أخلاقه وفي تعاملاته لن تجد ذلك لأن الناس طبائع وأجناس:

- منهم سريع الغضب سريع الانفعال.
- ومنهم الهادئ الرزين.
- ومنهم العنيف الغليظ.

فهيئ نفسك لملاقاة هذه الأنواع والأصناف المتباينة من الأخلاق وخذ ما سمحت به نفوس الناس منها.

أقسام التغافل: التغافل نوعان:

-التغافل المحمود.

-التغافل المذموم.

أولا / التغافل المحمود:

هو التغافل عن الزلات والأخطاء والعيوب التي لا يخلو منها إنسان، أو التغافل عن المعايب بسترها.

ثانيا/ التغافل المذموم:

التغافل عن المنكرات والمعاصي أو البدع، أو التغافل عما ينبغي عليه تعاهده أو القيام به من حقوق واجبة، ونحو ذلك.

أهمية التغافل في حياتنا اليومية:

قليل منا من يتخلق بهذا الأدب الرفيع والخلق العظيم، والفن الراقي في التعامل، فالتغافل فن لا يحسنه إلا الكرام الأفاضل ذوو المروءة.

وكريم النفس لا يكثر التدقيق، ولا يقف عند صغائر الأمور، كما تقول العرب في أمثالها: لم يستقص كريم قط، وقال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يتصيد الزلات.

قال الشاعر:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

والتغافل عن الأخطاء ليس دليلا أبدا على السذاجة والغباء كما يظن البعض، لأن التغافل في مواقف كثيرة يكون هو العقل ومنتهى الحكمة والمروءة.

وقيل:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

فما أحوجنا أن نتخلق به في وقتنا الحاضر؛ في زمن كثرت فيه الأحكام المسبقة على الناس وفسدت العلاقات، فكان لذلك أثرا على الآداب والأخلاق، ولا شك أن مجال استعمال هذا الأدب واسع فسيح في حياة الإنسان؛ الصديق مع صديقه والجار مع جاره والقريب مع قريبه والأب مع أبنائه والزوج مع زوجته والمدير مع موظفيه والمعلم مع طلابه.

بعض صور التغافل

1- التغافل عن زلات ذوي الرحم، والصبر على أذاهم، وعدم قطعهم:

قد يحدث من بعض الأقارب شيء من الأذى بالقول أو الفعل، فالصبر عليهم حينئذ ومقابلة الإساءة بالإحسان عبادة، فقد قال الله تعالى: **(وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) [الفرقان:20].**

وكان السلف يقولون :أهلُك أحقُّ بحُسن صبرك، وأولى الناس بعفوك.

ولنا القدوة في نبي الله يوسف عليه السلام عندما تغافل عن تطاول إخوته في حقه؛ **قال تعالى: ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون﴾ [يوسف: 77]**

أي كتم ما في نفسه من الغضب على افترائهم عليه، ولم يظهر لهم تكذيبًا صريحًا حتى لا ينكشف أمره، بل صبر وأخفى غيظه.

قال أنتم شر مكانًا: وهذا قولٌ في نفسه لم يُسمعهم إياه. أي قال في داخله: أنتم أسوأ حالًا وأعظم جرمًا بما فعلتموه من الكيد والكذب وبيع أخيكم.

والله أعلم بما تصفون: أي الله أعلم بحقيقة ما تنسبونه زورًا وبهتانًا لي ولأخي.

وعن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال ﷺ: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك) رواه مسلم.

فهذا الرجل شكا للنبي ﷺ بعض أرحامه بأنه يصلهم ويحسن إليهم ، وهم يقابلون ذلك بالهجر والقطيعة، ويبذل الخير لهم، وهم يقابلون ذلك بالإساءة، ويعفو ويصبر عن جهلهم واعتدائهم، وهم يتمادون في الإساءة، فقال له النبي ﷺ: **(لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل)** والملّ هو الرماد الحار المحرق، والمعنى كأنك تُطعمهم شيئاً مُرّاً مؤلماً يحرق حلوقهم، وهذا من باب المبالغة في التعبير أي أنت أفضل منهم في الأخلاق والإحسان، وتصرفاتهم السلبية لن تؤثر فيك، بل ستكون وبالاً عليهم لإحسانك المستمر، ولا يزال معك من الله ظهير :أي معك عونٌ ونُصرة من الله تعالى، يحفظك ويؤيدك عليهم، ما دمت مستمراً على هذا الخلق الطيب والإحسان.

2- تغافل الزوج عما يكره من زوجته:

وقد ذكر لنا الله هذه الصفة في نبينا ﷺ في سورة التحريم قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3]

ففي هذه الآية الكريمة أن رسول الله ﷺ أسر لحفصة رضي الله عنها بسرّ، وطلب منها ألا تذكره لأحد؛ فذكرته لعائشة؛ فأطلع الله رسوله ﷺ على الأمر، فعاد عليها في هذا، وذكر لها بعض ما دار بينها وبين صاحبتها دون استقصاء لجميعه؛ تمشيا مع أدبه الكريم؛ فقد لمس الموضوع لمسا مختصرا لتعرف أنه يعرف وكفى، ومضمون هذا أن الرسول ﷺ يعلم كل ما دار، لا الطرف الذي حدثها به وحده، ولكنه تغافل عنه كرما منه ﷺ حتى لا يكون العتاب قاسيا وشديدا.

وعن أنس قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم. ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت) رواه البخاري.

في هذه الحادثة النبي ﷺ لم يوبّخ الزوجة التي كسرت الصحفة (إناء الطعام)، ولم يعنّف الخادم، ولم يُحدِث خصومة أمام الناس؛ بل اكتفى ببيان السبب بلطف فقال: **(غارت أمكم)**، أي: هذا تصرف بدافع الغيرة، فخفّف وقع الموقف وستر الزلة، وعالج الأمر بحكمة عملية: فجمع الطعام، وأعطى صحفة مكان أخرى حفظًا للعدل بين الزوجات.

فهنا تغافل النبي ﷺ عن هذه الهفوة التي وقعت بدافع الغيرة، وهو بهذا التصرف الحكيم يُعلّم الأزواج أن بيوت الناس لا تخلو من المشاحنات الصغيرة، وأن العلاج يكون بالحلم والتغافل.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر.) رواه مسلم. معنى لا يفرك: لا يبغض.

في الحياة الزوجية بعض الأزواج لا يرى إلا السلبيات، ويبالغ في إظهارها، ويقول: زوجتي فيها وفيها من السلبيات، ولو تغافلت عنها وأبرزت المحاسن والصفات الطيبة، والإيجابية لظهر لك الكثير من الأمور التي كنت غافلا عنها، فالتركيز على السلبيات والسيئات يجعل الإنسان يضيق ويسخط على الشخص الذي يعيش معه.

وعلى الزوج أن يفهم طباع زوجته وعلى الزوجة أن تفهم طباع زوجها ثم بعد ذلك يتم التغافل عن هذه الطباع السلبية فلو أن امرأة زوجها من النوع الغضوب فعليها إذن أن تحتويه، وهذا رجل زوجته من النوع العنيد أو العصبي يحاول أن يحتويها، فليس في الدنيا رجل كامل الأخلاق، ولا امرأة كاملة الأخلاق؛ خلقنا الله جميعا فينا النقص ليكمل بعضنا بعضا.

ومن التغافل بين الزوجين ترك الاستقصاء في كل الأمور: وأقصد بالاستقصاء :تتبع كل شيء بدقة زائدة، ومحاسبة الطرف الآخر على كل حركة أو كلمة أو تقصير، مثل: لماذا قلت كذا؟ لمَ تأخرت؟ من كلّمك؟ لمَ وضعت هذا الشيء هنا؟ وكما قيل: ما استقصى كريم قط.

لو أخطأت الزوجة في إعداد طعام، يُتغافل الزوج ويشكرها على جهدها.

لو قصّر الزوج في كلمة ثناء أو نسي أمرًا يسيرًا، تتغافل الزوجة ولا تُحوّلها إلى خصومة.

إذا صدر موقف بدافع الغضب أو الغيرة، يُحمل على أحسن محمل ويُترك التدقيق فيه.

كذلك بعض النساء تدقق في أمور زوجها ماذا يقصد بكذا؟ ومن هذا المتصل بك؟ ولماذا تأخرت إلى هذه الساعة؟ خرجت من العمل من ساعتين أين ذهبت، مع من تكلمت ..... الخ

هذا التفصيل والتحليل والتدقيق هذه أمور لا يتسع لها العمر ولا الوقت ولا الصدر.

فكل إنسان له نقص وأخطاء، فلا يمكن إصلاح الحياة الزوجية على الكمال المحض، وكثرة التدقيق تولّد العداوة وتُطفئ المودة، بينما التغافل يُبقي جوّ البيت رحيمًا.

3- التغافل مع الأبناء:

لابد للأبوين من التحلي بهذا الخلق في تربية الأبناء، فأولادنا يختبرون الحياة ويجربون قدراتهم، ويقلدون أصحابهم، وينقلون للمنزل ما يتعلمونه خارجه، وهنا تكثر الزلات والهفوات، ولو وقف المربي موقف المحصي المتصيد للزلات والأخطاء لتعب وأتعب من حوله، لأنه في أغلب الأحوال لا يتعمد أولادنا فعل الخطأ؛ وفي كثير من الأحيان يكون الأمر خارجا عن

سيطرة الطفل؛ كأن يتعثر في سجاد المنزل، أو يصطدم بالمنضدة أو يسقط كوبا... وهنا تتجلى قيمة التغافل.

وممارسة التغافل تقلل من انتقاداتنا لأولادنا؛ فإن كثرة تعليقاتنا السلبية على تصرفات أولادنا تضعف ثقتهم بأنفسهم، كما تجعلهم يتجنبون مجالستنا والتحدث إلينا، ويصابون بالعزوف عن ممارسة الجديد مخافة التعليقات السلبية، فيركنون للمنطقة الآمنة!

ومن ذلك التغافل عن بعض ما يصدر من الأولاد من عبث أو طيش (قلة عقل): فذلك نمط من أنماط التربية، وهو مبدأ يأخذ به العقلاء في تعاملهم مع أولادهم ومع الناس عموما؛ فالعاقل لا يستقصي، ولا يشعر من تحت يده أو من يتعامل معهم بأنه يعلم عنهم كل صغيرة وكبيرة؛ لأنه إذا استقصى، وأشعرهم بأنه يعلم عنهم كل شيء ذهبت هيبته من قلوبهم؛ ثم إن تغافله يعينه على تقديم النصح بقالب غير مباشر، من باب: إياك أعني واسمعي يا جاره، ومن باب: ما بال أقوام. وربما كان ذلك أبلغ وأوقع.

أيضا دوام الصلة الطيبة بين الآباء والأبناء خاصة في فترة المراهقة، هذه الفترة العمرية مراهقة للأبناء ومرهقة للآباء، يجعلها التغافل أكثر يسرا على المربي، فكثير من الآباء يترصدون أخطاء أبنائهم ويحصونها مهما كانت صغيرة، ويذكرونهم بها كلما سنحت الفرصة لذلك، ويكون ذلك سببا في تحطيم شخصياتهم واكتسابهم لعادات سيئة كالكذب والعناد، لتصير العلاقة بينهم سيئة ومكفهرة، وربما ينتج عن تلك المعاملة مشاكل لا تحمد عقباها، منها زوال الهيبة.

4-التغافل عند مخالطة الناس عما يقع من بعضهم:

الناس يكرهون الإنسان الذي ينظر إلى عيوبهم ويترك الحسنات، بل وأحياناً ينساها، فما من أحد يسلم من العيوب.

النبي ﷺ، أثناء دعوته كان يمر بالقبائل؛ فمر بقبيلة اسمهم بنو عبد الله فوقف النبي ﷺ عليهم وقال: يابني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم فأسلموا.

بحث عن شيء حسن يثني به عليهم فوجد ذلك في اسمهم فاستعمله في الثناء عليهم.

يقول سعيد بن المسيب :ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا فيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله، ولا تذكر عيوب أهل الفضل تقديراً لهم .

ومن سلامة المسلم تغافله عن معاصي الناس وأخطائهم ما لم يجاهروا بها. فلا يفتش عنها بالتجسس والتتبع، وفي الحديث: **(من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته)**

فمن تغافل عن عيوب الناس، وأمسك لسانه عن تتبع أحوالهم التي لا يحبون إظهارها؛ سلم دينه وعرضه، وألقى الله محبته في قلوب العباد، وستر الله عورته؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

وفي أحد المجالس شم عمر بن الخطاب ريحا سيئة (رجل أخرج ريح البطن) فقال: أحرج على من أخرج الريح أن يقوم من بيننا فيتوضأ، فقال أحد الصحابة: أو نتوضأ جميعا يا أمير المؤمنين؟ قال: أفلح وجهك.

وسأل عيسى عليه السلام الحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائما وقد كشف الريح ثوبه عنه، قالوا: نستره ونغطيه.

قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله، من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها.

وسئل الامام أحمد بن حنبل: أين نجد العافية؟ قال: تسعة أعشار العافية في التغافل عن الزلات. ثم قال: بل هي العافية كلها.

حاتم الأصم:

من علماء القرن الثالث الهجري حاتم الأصم أتدرون لماذا سمي بالأصم؟ جاءت امرأة لتسأل عن مسألة، فاتفق أنها خرج منها صوت ريح البطن (ضراط) دون أن تقصد، فكربت وخجلت المرأة وتغير لونها واستولى عليها الحرج، فقال حاتم: ما اسمك؟ قالت فلانة، قال ارفعي صوتك فأوهمها أنه أصم فكرر السؤال وكررت الإجابة فقال ارفعي صوتك أنا لا أسمع فسرت المرأة بذلك، والتفتت لصديقتها قائلة: الحمد لله لم يسمع الصوت، فلقب بحاتم الأصم ولم يكن أصما إنما من كرم أخلاقه تصنع هذا.

ومن التغافل مع الناس الاستماع إليهم بسعة صدر: ربما يكون حديث أحدهم مملا أو أنك تعرفه تمام المعرفة، أو يكثر من تفاصيل بالنسبة لك تافهة، لكن من التغافل أن يتسع صدرك وتسمع لمن يتكلم وتحترمه وهو يتكلم.

يقول عطاء بن أبي رباح: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن يولد.

ومن التغافل في معاملة الناس مقابلة الإساءة بالإحسان:

فإذا وقع لك من بعض الناس إساءةً في القول أو الفعل، فبدل أن ترد عليهم بالمثل، تغافل عن إساءتهم، وتُظهر لهم إحسانًا، هذا التغافل ليس ضعفًا ولا عجزًا، بل هو ضبط للنفس وارتفاع عن سفاسف الأمور.

مر المسيح ابن مريم بقوم فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له: إنهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال: كل ينفق مما عنده.

وأسمع رجل أبا الدرداء رضي الله عنه كلاما، فقال: يا هذا، لا تغرقن في سبنا، ودع للصلح موضعا؛ فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وقيل للحسن البصري: إن فلانا قد اغتابك، فبعث إليه طبقا من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

5- التغافل مع العمال أو الموظفين:

ومعناه ألا يُكثِر المسؤول أو صاحب العمل من اللوم والعتاب على كل تقصير أو خطأ، فربما ترى الخطأ الصغير وتترك المؤاخذة عليه، إما لأنه يسير أو لأنه وقع عن غير قصد، وبهذا تُشعر العامل بالتقدير والثقة، لا بالخوف الدائم من المحاسبة على كل تفصيل، لأن كثرة اللوم تزرع الكراهية، بينما التغافل يجلب المحبة، ومن يرى أن خطأه اليسير يُغتفر، يحرص على إصلاح نفسه بطيب خاطر.

عن أنس بن مالك، قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا؟ رواه البخاري ومسلم.

وذلك لأن أنسا كطفل صغير تحدث منه هنات أو أخطاء في بعض الأمور التي تقع منه، لكن النبي ﷺ كان لا يهتم كثيرا، ولا يبالي، ويذكر أن أنسا رضي الله عنه أرسله النبي ﷺ في حاجة له فلما أبطأ عليه خرج النبي ﷺ يطلبه فوجده واقفا يلعب مع الصبيان، ونسي حاجة رسول الله ﷺ فأمسكه من أذنيه وقال مداعبا: **"يا ذا الأذنين لولا القصاص لأوجعتك بالسواك"**،

وطبعا السواك لا يؤلم أبدا، وإنما أراد النبي ﷺ أن يلفت نظره لنسيانه لحاجة رسول الله ﷺ.

وهذا زين العابدين بن علي يطلب من خادمه ماء ساخنًا، فيأتيه الغلام بالماء الساخن، وما إن يصل إلى سيده به، حتى يتعثر فيسقط الماء الساخن على جسد سيده، فتؤلمه سخونة الماء، وتظهر علامات الغضب على زين العابدين، فيسرع الغلام الذي تربى في بيت الصلاح والتقوى قائلًا: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: 134]، فيقول زين العابدين: كظمت غيظي، فيقول الغلام: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: 134]، فيقول زين العابدين: عفوت عنك، فيكمل الغلام الآية قائلًا: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: 134]، فما يكون من زين العابدين إلا أن يكافئ هذا الغلام الذكي الذي أنجاه من مصيدة الغضب والسخط بكلمات القرآن الندية، وذكَّره بفضائل العفو والإحسان العلية، فقال في رضا وأريحية: اذهب فأنت حر لوجه الله.

وكان ابن عمر يشتري الرقيق(العبيد)، فإذا رأى من رقيقه أمراً يُعجبه أعتقه، فعرف رقيقه ذلك منه، فكانوا يحسنون العمل أمامه، فيعتقهم. فعاتبه أصحابه قائلين: «والله يا أبا عبد الرحمن ما هم إلا يخدعونك». فيقول: «من خدعنا بالله انخدعنا له»

وقال ابنه سالم أن ابن عمر ما لعن خادمًا قط إلا واحدًا، فأعتقه.

6- التغافل في المخاصمة والعتاب:

بمعنى ألا يستقصي الإنسان في الخصومة كل صغيرة وكبيرة ليُحاسب خصمه عليها، وألا يُكثر من تكرار العتاب واللوم، بل يتجاوز عن بعض الأخطاء ويتغافل عنها كأنه لم يَرَها.

وهذا التصرف الحكيم ولا شك يؤدي إطفاء نار الخصومة، وحفظ المودة لأن الإكثار من العتاب يُنقص المحبة، والتغافل يحفظها.

وسيرة نبينا ـ ﷺ ـ فيها الكثير من المواقف وأشهرها يوم الفتح العظيم حين مكّنه الله من رقاب من آذوه وسعوا لاغتياله، فلما وقف أمامهم لم يفصل في ذكر جرائمهم ومواقفهم السيئة وعداوتهم له، بل قال: «لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء»، هكذا بمنتهى البساطة ينسى الإساءة، ويتجاوز عمن دبروا أبشع المؤامرات لسفك دمه ـ ﷺ ـ

وقال رجل لابن السماك: غدا نتقابل فنتعاتب قال بل نلتقي فنتغافر.

وقال ابن سيرين رحمه الله: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذرًا، فإن لم تجد فقل: لعل له عذرًا لا أعرفه.

وقيل لبعض السلف: أتحب أن يخبرك أحد بعيوبك؟ فقال: إن كان يريد أن يوبخني فلا.

ثمرات التغافل:

1- يكسب صاحبه طمأنينة النفس وراحة البال:

ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان المشركون يسبونه ويشتمونه، فكان يقول لأصحابه: **(أما يعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما وأنا محمد)** مع علمه أنهم يقصدونه.

2- يسد باب النكد والشقاء على صاحبه:

عن علي بن أبي طالب قال: **(من لم يتغافل تنغصت عيشته)**، وهذا ما يعانيه الإنسان اليوم، يسمع ما يكره فيفكر فيه ويستمر في التفكير فيه وينغص عيشته، فالذي يقف عند كل كلمة وكل حركة وعلى كل خطأ أو يحاسب على كل صغيرة وكبيرة هو أكثر الناس شقاء وتعاسة.

3- **دوام المودة والعشرة:**

سواء بين الأقارب أو الأصدقاء أو الأزواج؛ فكم من علاقات فسدت بسبب خطأ بسيط، وكم من بيت هدم بسبب تتبع الأخطاء والعثرات.

4- التغافل يطفئ ما يمكن أن ينتج عنه الشر:

لأن إحصاء كل صغيرة وكبيرة أمر لا يطيقه لا الكبير ولا الصغير، ولا القريب ولا البعيد وهو في الكثير من المواقف يشعل الغضب والشحناء في القلوب.

5- **التغافل يكسب صاحبه الاحترام:**

فالذي يتعامل بأدب التغافل وغض الطرف عن الزلات، يعيش محبوبا ممن حوله مطمئن القلب، سليم الصدر من الأحقاد.

****

قوانين السعادة

(26)

جبر الخواطر

(26) جبر الخواطر

يظن الكثير منا أن العبادات هي الصلاة والصيام والزكاة فقط، لكن مفهوم العبادة يتسع لكل قول أو فعل يرضي الله سبحانه وتعالى؛ كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله - بقوله: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وهناك عبادات أصبحت خفية -ربما لزهد الناس بها وغفلتهم عنها- وأجر هذه العبادات في وقتها المناسب يفوق كثيراً من أجور العبادات والطاعات، ومن هذه العبادات عبادة **"جبر الخواطر".**

تعريفها:

الجبر لغةً :الإصلاح والستر والتطييب بعد الكسر. نقول: جبر الله كسره أي أصلحه وطيّب خاطره بعد حزنه.

ومن أسماء الله الحسني "الجبار" فهو سُبْحَانَهُ "الذِي يَجْبُرُ القلب الكسير فكم من فقير أغنى، وكم من عليل أصح بدنه، وكم من ضعيف جبر كسره سبحانه وتعالى، فهو الذي يجبر قلوب المنكسرين والمحرومين.

عبادة جبر الخواطر معناها :أن تراعي مشاعر الناس، وتسدّ حاجاتهم، وتزيل عنهم ما يكدّرهم، بالكلمة الطيبة، والابتسامة، والمساعدة المادية أو المعنوية، والصفح عن الزلات، وأن تجعل من تطييب قلوب الناس، وتخفيف آلامهم، وردّ كسور نفوسهم، قربةً تعبّدك لله تعالى.

والمسلم حينما يتصف بهذه الصفة فإنما يدل ذلك على قوة إيمانه لأنه يتعامل مع الله، لا مع الخلق، يرضي الله عز وجل في الضعيف والمسكين، فهو لا يجبر بخاطر الشخص لمكانته أو غناه رجاء رضاه، أو لمنفعة دنيوية، إنما يساعد الفقير واليتيم والمحتاج والمنكسر، فهنا يتحقق معنى الإخلاص لله، وهذا يدل على قوة إيمان صاحبه وسعة صدره، وسلامة عقله.

وهذا ما أمر الله تعالى به في كتابه الكريم، وكذلك ما كان عليه نبينا المصطفى الكريم ﷺ في مواقف عديدة سنذكرها.

1- فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ:

قال تعالى لنبينا ﷺ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 9-10] أي طفل صغير حينما يشعر بالخوف من شيء ينادي على أبيه أو أمه، لكن اليتيم على من ينادي فأنت إذا أخذت هذا اليتيم ورحمته وتلطفت معه، وقلت له كلمة طيبة كل هذا سيكون له مفعول كبير، فرق بين قهر اليتيم الذي لا أب له يؤويه ويكفيه وبين اليتيم الذي يشعر أن كل فرد من أفراد المجتمع أبا له وكل امرأة أما له.

وقوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} كلمة السائل تشمل الذي يسأل عن جهل أومن يسأل من فقر، فإذا سألك سؤالا عن شيء يجهله ، أو يسأل مساعدة مالية قرض أو صدقة ، فلا تنهر: لا ترد ردا غليظا ، أو تتهمه بأنه كاذب ، قال تعالى : ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: 263] فمجرد التلطف مع السائل فيه مغفرة من الله ، ثم الله مطلع على ما في القلوب، وهل هو صادق محتاج أم كاذب محتال ، وكذلك إذا سألك من يجهل أمرا فتدله وترشده إلى شخص متخصص، أو موقع على الانترنت أو مكان ...الخ فهذا من المساعدة ، وكذلك المعلم لا داعي لاتهام السائل بالغباء وقلة الفهم ، هذا كله من جبر الخواطر الذي أمرنا به.

2- ولا يحض على طعام المسكين:

ودِيننا علمنا إذا لم تنفق وتعطي المسكين فحضّ على إطعامه، وعد عدم الحض على إطعام المسكين معصية يعاقب عليها، قال تعالى في شأن أصحاب الشمال: **﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: 33-34]**

ومعنى ذلك ان من كان لا يملك مالا ينفقه صدقة على المسكين فإنه يجب عليه أن يحض من يملك لإطعام المسكين.

3- قصة رسول الله مع أبي أمامة:

ومن معرفتنا لحياته ﷺ نعلم يقينا أنه كان حسن الخلق ،وكان كما قال الله عز وجل **(وإنك لعلى خلق عظيم)** [القلم/4] فكان يتفقد أحوال أصحابه ؛ **فقد دخل ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو**

أمامة، فقال :"يا أبا أمامة، مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال ﷺ: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله -عز وجل- همك، وقضى عنك دينك، قلت: بلى يا رسول الله؟ قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، وأعوذ بك من العجز، والكسل، وأعوذ بك من الجبن، والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال، قال أبو أمامة: ففعلت ذلك، فأذهب الله -عز وجل- همي وقضى عني ديني".

وهذه من الأمور الهامة جدا أن يتفقد الإنسان من حوله ، تسأل عن الغائب وتسأل المريض ماذا به وما أصابه ؟ ربما يحتاج لمساعدة ويمنعه الحياء أو يحتاج لمشورة أو نصيحة، إذا وجدته منكسرا يبدو عليه الهم والغم تسأله مالي أراك مهموما؟ وهذا ليس فضول ولا تدخل في شؤون الآخرين ، لكن هناك من الناس من يمنعه الحياء أن يتكلم ، وربما تعرضه لردة فعل سلبية من بعضهم أدى لهذا الصمت ، وقد لاحظت أن البعض حينما أتكلم معه تشعر فعلا أنه كان محتاجا للتنفيس عما بداخله ، فيشتكي ويتألم وينطلق في حديثه ، فهذا كله مما يخفف المصاب عن الإنسان.

وفكرة الطبيب النفسي هي نفس الفكرة تقريبا ، فهو مع خبرته العلاجية لكنه يتيح للمريض أن يحكي عن آلامه وهمومه والأشياء والمخاوف التي يخشاها ، أو الفوبيا والوساوس التي تصيبه ، فهذا كله مما يخفف عن المريض النفسي الكثير.

إن حقن الهموم وحبسها في النفس وكثرتها وتواليها يؤدي إلى إصابة الإنسان بأمراض كثيرة جدا تؤدي إلى هلاكه كالضغط المرتفع والسكري والجلطات ...الخ عافاكم الله جميعا.

فسبحان الله التنفيس عن الهموم والكلام عن الاشياء التي يعاني منها الإنسان هذا مما يهدئ من روعه ويهدئ من نفسه

4-قصة النبي مع زاهر:

كان أحد الصحابة من سكان البادية (الصحراء) اسمه زاهر وكان الرسول ﷺ يقول:" زاهر باديتنا ونحن حاضروه " وكان يأتي النبي ﷺ ببعض الهدايا، ويبادله الرسول ﷺ بعض الهدايا؛ فكان إذا نزل المدينة يبدأ أولا

فيمر على رسول الله ﷺ ثم ينطلق إلى السوق، وجاء زاهر مرة ولم يجد النبي ﷺ فانطلق إلى السوق، وأُخبر النبي ﷺ بقدوم زاهر، فذهب حتى أتى زاهر من خلفه، واحتضنه، وجعل النبي ﷺ ينادي قائلا:

من يشتري العبد؟ من يشتري العبد؟

وزاهر يقول: اتركني اتركني حتى عرف زاهر الرسول ﷺ من صوته فقال: إذن تجدني كاسدا يا رسول الله، قال: ولكنك عند الله لست بكاسد.

أنت عند الله لك وزن وقيمة وهذا من جبر الخواطر، البعض دائما يكثر من الاستهزاء بالغير والاستخفاف بهم، أنت لا تساوي شيئا ...أنت وجودك كعدمه ...انت إنسان نكرة .... الخ.
إذا كان هو كذلك فماذا عنك؟ هل أنت من طينة غير طينة سائر البشر؟!

5- قصة ابن مسعود لما صعد على شجرة الآراك:

يحكي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله -"ﷺ-: (مم تضحكون؟) ، قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد)
هذه الساق التي تضحكون عليها قام صاحبها بأعمال كثيرة : فهو من السابقين للإسلام الساعين إلى المساجد وإلى الخيرات ومن القائمين بالليل ، فوزن أعمال هذه الساق التي تضحكون منها عند الله أثقل من جبل أحد سبحان الله العظيم!!
وهذا فيه منقبة لعبد الله بن مسعود من جهة وجبرا لخاطره وإعلاء لشأنه ومكانته بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

6- نعم الرجل عبد الله:

والنبي ﷺ قال لابن عمر: (نعم الرجل عبد الله لو كان يقيم الليل)

7- قصة زاذان المغني مع ابن مسعود:

كان في زمن ابن مسعود مغنيا حسن الصوت اسمه " زاذان" وفى يوم مر عبد الله بن مسعود بجوار مجلس فسمعه وهو يغني، فقال ما أجمل هذا

الصوت لو كان بكتاب الله!!!
وبلغت الكلمة زاذان فتأثر بها جدا، وكانت سببا لتغيير مجرى حياته وذهب لعبد الله بن مسعود تائبا باكيا... فبشره أن الله يحبه فدهش زاذان وقال كيف؟ فقال له: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) واتجه الرجل بعدها للقرآن.
كلمة غيرت حياة شخص وأدارت الدفة إلى الجهة الأخرى، جبر الخواطر والله كلمة واحدة قد تسير مسار حياة إنسان، لأن قائلها قالها بإخلاص ولطف ومراعاة لكيفية التعامل مع الشخص الذي تكلمه فتغير مجرى حياته تماما، وكثير والله من الأمراض النفسية سببها الكثير من المواقف السيئة والسلبية التي مر بها إنسان بكلمة أو سب وشتم أو غلظة من شخص؛ فديننا يعلمنا كيف نرى الجميل في الناس ونجبر بخواطرهم.

8-يا أبا عمير، ما فعل النغير؟

وحتى الأطفال كان لهم من جبر الخاطر مع رسول الله ﷺ نصيب فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله -ﷺ- أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: فكان إذا جاء رسول الله -ﷺ- فرآه قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير -طائر صغير كالعصفور-؟ قال: فكان يلعب به)
حينما يأتيك طفل يشتكي ألما أو أذى أصابه لا داعي للغلظة مع الطفل ورده ردا غليظا أو دفعه بقوة ليتركك وشأنك فقد علمنا الرسول التلطف مع الأطفال سبحان الله العظيم!!

أمثلة تطبيقية لجبر الخواطر

1-السؤال عن المريض:
السؤال عن المريض وزيارته والدعاء له ، والاهتمام بشؤونه التي عجز عنها لمرضه وقد اجتمع عليه ألم الوحدة، وألم المرض ، هذا كله من جبر الخواطر.
وأذكر أن أحد إخواننا أجرى عملية جراحية فانطلق الإخوة يزورونه كل يوم يزوره مجموعة منهم، وطبعا لما تذهب للمستشفى تحتاج للسؤال عن غرفة المريض فأحد الإخوة يقول : أنه مجرد أنه استوقف إحدى الممرضات ليسألها قالت له تريد فلان ؟ قال نعم كيف عرفت ؟ قالت لا أحد

يسأل إلا عنه ، كل من يأتي إلى هنا يأتي ليسأل عنه ، فإنا أريد أن أسألك هل فلان هذا وزير مثلا وانا لا أعرفه ؟
فالحمد لله على نعمة الإسلام إذا مرض أخونا نزوره ونخفف عنه ونواسيه وندعو له.

2-المواساة في العزاء:

أيضا في حال العزاء قد يفوتك الفرح لكن لا يفوتك العزاء لأن الناس لا ينسون أبدا من واساهم وخفف عنهم بكلمة أو أخذ بأيديهم، وقديما قالوا: ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط.

3-المواساة في الشدائد:

أيضا المواساة عند الشدائد والكربات المختلفة، أساعد بمعرفتي بمحامي أو محاسب أو مكتب كذا وكذا ...الخ، فهذ كله من جبر الخواطر، لأني انتزعه من حيرته وأخرجه أو أساعد في إخراجه من ورطته.

4-الهدية:

أيضا من جبر الخواطر الهدية وخاصة في المناسبات السعيدة، وهذه لها أثر معنوي كبير، وهي من أسباب زيادة المحبة لقوله -"ﷺ-: **"تهادوا تحابوا"** والمواقف الطيبة لا تنسى وتحفر في الذاكرة.

5-التهنئة والبشاشة والمعانقة:

أيضا من جبر الخواطر التهنئة والبشاشة والمعانقة وأن تأخذ على يده، بعض الناس بارد المشاعر بصورة مقززة؛ إذا سلم يصافحك بطرف يده إذا احتضنك كان حضنا باردا باهتا، وكأنه يخاف أن تعديه بالبرد، فينبغي أن تكون المصافحة قوية، والحضن فيه مشاعر بقوة وتشعره بإخوتك ومحبتك.

ولا يغيب عنا مشهد كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بغزوة تبوك فأمر النبي ﷺ الصحابة بهجرهم واستمر ذلك مدة خمسين يوما، فلما نزلت توبته حكى كعب عن تهنئة المسلمين له على التوبة، فقال: "قام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة"

ما الذي ميز موقف طلحة؟

في هذا الموقف ، معلوم أن كعب بن مالك ورفقاءه الثلاثة -ممن خُلِّفوا- قد عانوا مقاطعة النبي ﷺ والمسلمين لهم على مدى خمسين يومًا وليلة، فلما تاب الله عليهم، وذهب كعب إلى المسجد النبوي، إذا بطلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه- يبادر مسرعا بمعانقته وتهنئته لدرجة أن كعباً يحكي هذه التجربة لولده، دون أن يُغفل ذكر موقف طلحة -رضي الله عنه- فنلاحظ هنا عمق الأثر الذي تركه هذا العمل على قلب كعب -رضي الله عنه-، حيث كان في أَمَسِّ الحاجة لإحساسه بالانتماء والقرب من إخوانه من المسلمين، بعد أكثر من شهر من المقاطعة التامة.

6- فن النصيحة: قاعدة 3×1:

المسلم دائما إيجابي في كل شيء إذا وقع بصره على شيء طيب يتكلم عنه ويكبره وينميه ويزيده ويثني عليه، أما الشيء السيء فيعالجه بهدوء ولطف وأعجبتني كلمة للدكتور إبراهيم الفقي رحمه الله، قال: إذا أردت أن تنصح أحدا فقم بعملية 3×1 ومعناها أن تذكر ثلاث مميزات مقابل شيء سيء واحد في الشخص الذي تنصحه، لأنك إذا ابتدأت بالعيوب قفلت النفس ومن يسمعك سيسد أذنه عن سماع نصيحتك، لكن إذا قلت له: انت شخص متميز وناجح ... لكن فيك عيب صغير هو كذا وكذا.

انتبه لمرض الانتقاص الدائم ممن حولك:

من الآفات التي انتشرت في مجتمعاتنا وخاصة مع انتشار وسائل التواص الاجتماعي: التنمر والتهكم على الآخرين، والانتقاص الدائم ممن حولك، وكل من تتعامل معه، هذا يولد كبتا وعقدا نفسية وإثارة للأحقاد والشحناء، وبعض الناس يعتقد أنه لن يتميز إلا بذم غيره، لن يعلو إلا بإذلال غيره، لن يصل إلى مرحلة من العلم أو مكانة مرموقة بالشركة أو المؤسسة التي يعمل بها إلا إذا سفه الجميع دونه ليبقى هو صاحب العقلية الفذة المتفردة الملهم العبقري الموهوب ...الخ، وهذا نوع من أنواع الكبر- والعياذ بالله-

فالسعيد من أسعد غيره، لأنك إذا أسعدت نفسك فأنت شخص، لكن ماذا إذا أسعدت عشرة؟ عشرين؟ مئة؟ ألف؟ فكلما زاد عدد من تسعدهم زادت سعادتك.

الأنانية لا تجلب إلا الحقد والشحناء، الأنا إذا تضخمت وأصابها الورم تؤدي إلى أن يكون الإنسان منبوذا مكروها في كل مكان يحل فيه، فإذا أصابته مصيبة سألوا الله أن يهلكه وأن يزيده من البلاء والعقاب لأنهم أصبحوا في راحة من أذاه.

أما لين الجانب الذي يجبر بالخاطر ويقدر من حوله ويرى في الناس أطيب ما فيهم ويمدحهم على ذلك هذا إنسان إذا غاب افتقده الناس، وإذا مرض زاره الناس، وإذا مات ترحم عليه الناس، فكن من الذين إذا غابوا تفقدهم الناس وسألوا عنه.
وهذا الحب لن يأتي بالأموال أو بقوة الجند والعسكر؛ إنما يكون بالأخلاق الحسنة، فإن أردت أن تسود بين الناس وأن تكون سيدا ولك مكانة في القلوب فهذه لن يكون إلا بالأخلاق وهذه لا تباع ولا تشترى.

كيف يكون جبر الخواطر سببًا للسعادة؟

الإنسان عندما يُكسر قلبه أو يُظلم أو يضيق صدره، يكون في أمسّ الحاجة إلى كلمة أو موقف يرفع عنه الغمّ، فحين يجد من يجبر خاطره، يشعر بالراحة والطمأنينة وأنه ليس وحده، وهذا ينعكس عليه سرورًا وسعادة، **ومن أسعد الناس أسعده الله:** لأن النفس بطبعها ترتاح حين ترى ثمرة معروفها في وجه غيرها وفي الحديث يقول النبي ﷺ :(**أحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم.**) فالذي يجبر الخواطر، يجبر الله خاطره في الدنيا والآخرة، ويذوق لذة العطاء والرحمة، وهي من أعظم أسباب السعادة النفسية.

****

قوانين السعادة

(27)

لا تخف

من كلام الناس

(27) لا تخف من كلام الناس

أوضح لنا القرآن الكريم أن أعلى صور العبودية الصحيحة لله عز وجل هي: الاستجابة لأمر الله تعالى، وإن خالفك جميع الناس.

ونلحظ هذا في أنبياء الله أجمعين، فقد أثنى الله تعالى على أعلى الخلق منزلةً ودرجةً، وهم الأنبياء بأنهم عباد الله فسمى نبينا عبدالله قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19]

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30]

وقال: **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41]**

وقال تعالى عن أنبيائه: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45]

والنبي ﷺ رأي مشهد الأنبياء كما في الحديث عَنِ ابنِ عباسٍ رضِي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلّي الله عليه وسلم :"عُرِضتْ عليّ الأممِ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهيْط، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان، والنبيَّ وليس معه أحدٌ"

فهذا بيان وتوضيح أن الحق لا يعرف بموافقة الناس وإن كانوا كثرةً غالبة إنما يعرف بموافقة منهج الله.

الخوف من كلام الناس:

عليك أيها المسلم أن ترضي الله أولا؛ لا أن ترضي الناس، فإن رضا الله غايةٌ لا تترك، ورضا الناس غايةٌ لا تدرك!!

أيهما أسهل أن ترضي واحداً أم ترضي آلاف الناس؟

لا شك أني إن أرضيت واحدا، وهو الله جل جلاله، سيكون أسهل من إرضاء آلاف، وقد بين الله تعالى مشهد التوحيد بهذه المثل فقال: **﴿ضَرَبَ اللَّهُ**

مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29]

متشاكسون: أي متنازعون مختلفون، فهذا مثل ضربه الله لعبد مملوك لمجموعة من السادة كل سيد منهم له رأي يختلف عن صاحبه، يأمره بكذا وينهاه عن كذا، ويخالف صاحبه، والثاني، والثالث، وهكذا متشاكسون.

(ورجلاً سلماً لرجل) عبد لسيد واحد؛ هل يستوى العبد المشتت بين مجموعة من السادة المتشاكسين مع عبد لسيدٍ واحد؟!

فأول غاياتي: إرضاء الله أولاً حتى وإن خالفني الناس.

أدلة الأحكام المتفق عليها عند علماء الأصول: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، لكن صار عندنا دليل جديد يستدل به الناس في زماننا وهو: كل الناس تفعل هكذا ... هذا دليل جديد!! ومتى كان الناس مصدراً لأدلة الأحكام؟

الأدلة على جواز الشيء أو حرمته لا يؤخذ به من كلام الناس!!! فالناسُ بشر يصيبون ويخطئون، والناسُ سعيهم شتى، وعقولهم متباينة، ورب العزة قال: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]**

فالاختلاف في البشر كبير وكثير ومتنوع فمن أُرضى؟ وكيف يكون الناس مصدرا لِحل الشيء أو حرمته؟

وهذا أمر خطير بُلينا به، وهو أن جماعة من الناس اذا سأل عن حكم شرعي، وقلت له: الجواب كذا يقول لك: كل العالم يفعلون هكذا !!!ولو أن كلمة العالم كلمة فيها مبالغة، ولو تفحصت الأمر لعلمت أن كلمة العالم هذه ربما اثنين من أصدقائه أو ثلاثة من معارفه ... هذا هو العالم بالنسبة لصاحبنا!!!

فكل العالم يفعلون هكذا، كل الناس يذهبون الى كذا... هذا ليس دليل شرعي.

ومن الأعراف الباطلة: مجاراة الناس في معصية الله، أو في عاداتهم الباطلة في بعض المناسبات مثل: الإسراف في الأفراح، أو البدع في الأحزان، أو ما شابه ذلك من بعض العادات والأعراف الظالمة في بعض المجتمعات كحرمان البنات من الميراث.

هذه كلها غير مقبولة أنا عبدُ لله؛ فيجب علي أن أفعل ما يرضى الله عز وجل لا ما يرضى الناس.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عليه الناس) رواه ابن حبان والترمذي بلفظ : (مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ) وقد اختلف في رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ، ووقفه على عائشة.

قصة زيد بن محمد (بن حارثة):

قبل بعثة نبينا المصطفى الكريم صلي الله عليه وسلم تبنى النبي صلى الله وسلم، وكان زيد حرا لكنه بيع بعد إحدى الغارات وأخذوه أسيراً، وبيع بَيْع العبيد، فاشتراه حكيم بن حزام، ثم أهداه إلى خديجة فأهدته للنبي صلى الله وسلم، وجاء أبوه وعمه يطلبونه على أن يدفعوا فيه ما يشاء النبي فداء له.

فقال ﷺ: أو خير من ذاك؟ قالوا وما ذاك؟

قال: نأتي بالغلام ونسأله.

قال: تعرف من هذين؟ قال أبي وعمي.

قال أي الأمرين تختار أن تبقي معي أو أن تذهب مع أبيك وعمك؟

قال بل أبقى معك!!

هذا قبل الإسلام اختار زيد النبى صلي الله عليه وسلم!!

فإكراماً له بعد هذا المشهد، وطمأنةً لأبيه وعمه؛ وقف النبي عند الكعبة، وقال: أيها الناس، زيدُ ابنى أرثه ويرثني وصار يُعرف :بـ(زيد بن محمد)

ومضت السنون وكان من ضمن التشريعات أو الأعراف الجاهلية أن الابن المُتبنى إذا تزوج بامرأة ثم طلقها لا يحل لأبيه بالتبني أن يتزوجها.

أراد الله عز وجل إبطال هذه المسألة الجاهلية، لأن هذا التبني ليس حقيقةً، فلا ينبني على هذه الأبوة الكاذبة شيئا.

وتزوج زيد من زينب بنت جحش بنت عمة النبي ﷺ وبيّن الله عز وجل لنبينا أن زيدا سيطلق زينب وأنك ستتزوجها، والنبي يستحى أن يدعى الناس عليه شيئا، فلا يخبر بذلك.

فأنزل الله وحياً يُتلى وقال لنبينا: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَايِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾ **[الأحزاب: 37]**

هذا كلام رب العالمين لنبيه المصطفى الكريم حينما استحى من الناس أن يبلغهم أنه سيتزوج زوجة ابنه سابقا بالتبني، لأن التبني قد حرم قبل ذلك فصار زيد ينسب لأبيه (زيد بن حارثة) وليس زيد بن محمد كما عرف، وإكراما له رضي الله عنه فهو الصحابي الوحيد الذى ذكر باسمه بالقرآن

وأم المؤمنين زينب لم يتول تزويجها أهلها ولا أحد من أوليائها إنما زوجها الله، وكانت تفتخر على زوجات رسول الله بهذا وتقول: **زوجكنَّ أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات!!**

فتنزل الوحي لإبطال عرف جاهلي يخالف شرع الله، ويُعاتب النبي ﷺ من رب العالمين **(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)** ويثني على أوليائه فيقول: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾ **[الأحزاب: 39]**

إذن طالما أنك على حق فلا يضرك من خالفك، لأنك ترضى الله وحده لا شريك له.

ترك المعصية خوفا من الناس:

ترك المعصية يكون خوفا وحياء من الله، أما تركها خوفا من الناس فلا أجر فيه، وفعل الطاعة من أجل الناس لا أجر فيها لأنها ستكون رياء

فإذا فعلت طاعة تفعلها لله وإن تركت معصية تتركها لله .

مثال ذلك: شخص لا يليق بأسرته ومكانته أن يُعلم عنه أنه يشرب خمر فترك هذه المعصية ليس حياء من الله إنما خوفاً من أن يعرف عنه أنه يفعل هذا .

مثال ثان: واحد كان يتكسب مال حرام وكذا فخشي أن تعرف زوجته أو أهل زوجته وأصهاره يعرفون أنه يفعل ويفعل فتركها خوفا من هذا الأمر.

مثال ثالث: واحد يصلي أمام الناس في المناسبات وهو ليس في نيته الصلاة أصلاً ولكنه صلى حياء من الناس .أو رياء لئلا يقول الناس عليه كذا وكذا

وهذا شأن المنافقين في زمن النبي ﷺ فقد كانوا يصلون معه الصلوات النهارية يصلون الظهر، والعصر، والمغرب أما العشاء والفجر فلا لأن الظلام يعم الكون ولا أحد يراهم، وهؤلاء قال تعالى عنهم: ﴿**يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا**﴾ [النساء: 108]

أما عن عمل الطاعة لله عز وجل فقد قال: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 110]

ترك الشبهات لسلامة الدين والعرض:

الشبهات هي: أي أمر فيه شبهة وشك فلا بد من توضيحه للناس لنفي التهمة عنك؛ فلا تضع نفسك في موقف تحتاج فيه أن تدافع وأن تبرر وأن توضح، لأن أغلب الناس عندهم مبدأ: **(الحسنات تطوى والسيئات تنشر)، قال علي بن أبى طالب: (إياك وما يسبق الى القلوب انكاره ولو كان عندك اعتذاره)**

إنها صفية زوجتي!!

عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ معتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً فحدّثته، ثم قمتُ فانقلبت، فقام معي ليقلبني -وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد رضي الله عنهما-، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: (على رسلكما، إنها صفية بنت حيي)، فقالا: سبحان الله يا رسول الله!، فقال: (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يَقذف في قلوبكما سوءا -أو قال شيئا-) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

فقصد النبي ﷺ من هذا الموقف الاستبراء للعرض وعدم الوقوف في مواقف الريبة؛ حتى يقطع دابر الفتنة، ويحمي سمعته أن تلحق بها تهمة؛ وذلك لأن الخواطر تبدأ فكرةً، ثم لا يلبث اللسان أن يبوح بها لقريب أو صديق، ومع مرور الوقت تتناقل الألسنة قالة السوء، ليوصم صاحبها بما هو بريء منه ولا حيلة له في دفعه، فتضيع الثقة وتشوّه السمعة.

إنها صفية زوجتي قُضي الأمر؛ لأن بعض الناس قد يفعل أمورا بسجيته وطيبته ويقول: أي واحد يتكلم سأقطع لسانه!!وكيف ستقطع لسان الناس كلهم يا أخي؟ لا بد إن كان موضع شبهة أن توضح، إنها صفية زوجتي!!!

أي موطن كنت فيه وظننت ولو واحد بالمئة أن الذى أمامك سيوقعك ولو في قلبه بإضمار شبهة أو اتهام، فلا بد أن تنفي عن نفسك التهمة؛ فهذا مما راعاه النبي "ﷺ، ومن هذا الباب قول النبي "ﷺ: **(فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)**

فتطلب البراءة في دينك بالسلامة من الشبهة ولعرضك من أن يذمك الناس، أو أن يقولوا عنك شيئا يؤذيك أو يشوه سمعتك.

من الحكمة مراعاة كلام الناس في مآلات الأمور:

راعى النبي صلي الله عليه وسلم أيضا كلام الناس فيما تؤول إليه الأمور، يعنى حينما تكون على حق، ولكن من الحكمة ألا تتكلم بهذا الحق إلا في وقته وفى حينه.

مثال ذلك: عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين آذى النبي أذى شديدا ولكن النبي ﷺ لما قيل له نقتله، قال: (حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)، وهذا من حكمته "ﷺ، لأن الإعلام المعادي والدعاية المضادة موجودان في كل زمان ، فلا يلزم أن يكون الإعلام قنوات أو صحف ... قديما كان الإعلام هو ركب المسافرين، الأشعار، الأخبار، كانوا يتناقلونها ... فمن سينقل الخبر لن يقول: قتل ابن سلول لأنه قال في النبي : **(ليخرجن الأعز منها الأذل)** ، ورمي عائشة بالإفك ....الخ جرائمه، لن يقولوا هذا؛ إنما سيقولون: هذه عاقبة من يتبع محمد، هناك خلاف على الزعامة ... هناك خلاف على الملك... عبدالله بن سلول يتنازع مع محمد في الملك... قتله حتى لا يستولى على الحكم منه .... قتله حتى لا يتصدر الزعامة دونه...وتتعدد الرؤى والتحليلات على وفق أهواء المعادين، سبحان الله!!!

فقال الرسول ﷺ: (حتى لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) وهذا من حكمته ﷺ.

مثال ثان: لما بنت قريش الكعبة قصرت بهم النفقة فبنوا الكعبة على غير قواعد الخليل إبراهيم، ولما فتح النبي ﷺ مكة قال لعائشة: **(لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لهدمت البيت وأقمته على قواعد إبراهيم)**، فلم يفعلها النبي ﷺ لماذا؟ خوفا من أن يتقول الناس وخاصة (أعداء الإسلام) سيقولون: أول ما دخل الكعبة هدمها... لو كان نبياً ما تجرأ على ذلك، هدم الكعبة استباح الحرمة، فهنا راعى النبي عقلية الناس وأنهم حديثو عهد بالإسلام ولم يهدم الكعبة.

مثال ثالث: رأى النبي ﷺ عمارا وأمه وأباه يؤذون ويعذبون في مكة، ماذا قال؟ لم يفعل فعلا متهوراً ولم يأمر باغتيال أبي جهل، لأن هذا ليس وقت المواجهة، إنما قال: **صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة** هذا أقصى ما يفعله رسول الله ﷺ آنذاك.

في موطن أخر بعد الهجرة إلى المدينة قال الله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ **[الحج: 39]**

الخلاصة:

-من يخشى كلام الناس يعيش أسيرًا لتوقعاتهم وأحكامهم، وهذا يجعله قلقًا، مترددًا، ومتعبًا ذهنيًا.

- أما إذا حرر نفسه من هذا الخوف، شعر بخفة وطمأنينة؛ لأنه لا يحمل همًّا زائدًا لا يملك التحكم فيه.

-رضا الناس غاية لا تُدرك، بينما رضا الله هو الغاية الكبرى، فإذا جعل المسلم همه أن يرضي الله أولاً، ولم يبالِ بأقوال الناس، وجد في قلبه سكينة وسعادة.

-من لا يخاف من كلام الناس يعيش بشخصية متوازنة؛ يخطط لحياته ويعمل وفق مبادئه؛ متبعا صراط الله المستقيم.

-الذي ينشغل بكلام الناس قد يدخل في جدال لا ينتهي، أو يسعى دائمًا لتبرير نفسه، لكن إذا تجاهل الأقوال، وتعلّم التغافل، عاش مرتاح البال، وأعطى لنفسه مساحة للعيش بسلام مع الآخرين.

****

قوانين السعادة

(28)

التوازن فى الحياة

(28) التوازن في الحياة

قال العلماء: إن الإنسان الذي يريد أن يحيا حياة مستقرة فعنوان ذلك:

التوازن

التوازن هو **الاعتدال والوسطية**؛ أي أن تعطي كل جانب من جوانب حياتك أو نفسك حقَّه دون إفراط أو تفريط، الإفراط يقصد به المغالاة في الشيء، والتفريط يقصد به تضييع الشيء، **والإسلام دين الوسطية**، والوسطية يحبها الله في كل شيء قال تعالى: -(**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** - [الفرقان/67]

وقد حدد العلماء في موضوع التوازن النفسي أربعة أمور:

-1التوازن بين القدرات والرغبات.

-2التوازن بين العلم والعمل.

-3التوازن بين العقل والعاطفة.

-4التوازن بين الأخذ والعطاء.

أولا / التوازن بين القدرات والرغبات

بمعنى تحديد هدفك في الحياة، فأي إنسان يعيش في الحياة بلا هدف حياته لا معنى لها فكما قالوا: ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.
وعلمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: (احرص على ما ينفعك) حدد هدفك.

والإسلام أعطى عنوانا لهذا المعنى فقال النبي ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات)** أي عمل من الناحية الشرعية لا نية فيه، ولا هدف من ورائه هو عبث؛ لا قيمة له **(إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى)**

والأهداف نوعان:

-هدف دنيوي.

- وهدف أخروي.

هدف دنيوي: أحقق به قول الله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61] أي طلب منكم عمارتها.

وهدف أخروي: أن تسعى طوال حياتك في مرضاة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

توماس إديسون:

أي إنسان سعيد في هذه الحياة هو سعيد لأنه عنده أمل وهدف يتحرك من أجله، قد يجد الإنسان في حياته إخفاق أو فشل، لكن بعد هذا الفشل نجاح، **توماس إديسون** (Thomas Edison)، مخترع المصباح الكهربائي قام **بآلاف التجارب** (يُقال: 1000 تجربة أو اكثر) حتى نجح في اختراعه، وعندما قيل له: "لقد فشلت آلاف المرات"، أجاب قائلا:
"أنا لم أفشل، بل وجدت آلاف الطرق التي لا تصلح لصنع المصباح".

فالإيجابية هي: إذا أخفقت ولم أوفق أن أبحث عن السبب من وراء هذا الإخفاق، وأكمل وأنا عندي أمل وعندي تخطيط لتحقيق هذا الهدف.

والرسول ﷺ لما كلمه عمه أبو طالب في شأن الملاينة مع قريش في الدعوة قال: **"يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك دونه."**

إنسان بلا هدف كريشة معلقة في الهواء:

أي إنسان بلا هدف فإنه أشبه بالريشة المعلقة في الهواء، الهواء يرفعها يخفضها يمينا شمالا، لا شيء، وإنسان بلا هدف كسفينة تقف في عرض البحر لا وجهة لها ولا هدف لها.

فلا بد أن يكون عندك هدف تحققه بقدراتك، ويكون الهدف ممكنا ليس خياليا أو عبثا، أو من باب الأحلام الوردية؛ إنما هدفا واقعيا عندك خطة لتحقيقه، وعندك سعي وهمة لتحقيقه.

وإذا وازنت بين قدراتك ورغباتك سيحدث التوازن في حيات كلها وستشعر أن لحياتك قيمة.

فأخطط لحياتي على المستوى الدنيوي عندي هدف 1..2..3.....
وعلى المستوى الديني أو الأخروي أريد مثلا حفظ القرآن، تعلم التجويد، أحافظ على صلاة الجماعة، أريد صلة الرحم، أريد أن أهذب لساني.....،

هذه كلها موازنات الإنسان يوازن فيها بين قدراته ورغباته فيحقق جانبا من إصلاح النفس.

ثانيا / التوازن بين العلم والعمل

أكثر ما يتعب الإنسان أنه يتعلم شيء ويعمل شيء آخر، أو العكس أنه يعمل بلا علم.

من الناحية الشرعية العلم بلا عمل يكون وبالا على صاحبه، وقد ضرب الله المثل به في القرآن فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5] ما فائدة العلم إذا لم ينتفع به صاحبه فشبهه الله بحمار يحمل الكتب فوق ظهره، رغم أن هذه الكتب تحوي العلوم والمعارف إلا أن الحمار لن ينتفع بها، وهذا تقبيح لمعنى أن تعلم ولا تعمل.

أما إذا عملت بلا علم فإن ذلك يصحبه الخطأ والوقوع في البدعة، وكم من أناس أمضوا أعمارا في بدعة وأمضوا أعمارهم في جهل ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

والعلم نوعان:

- **علم لكسب الرزق.**
- **وعلم لصحة العبادة.**

فعلم الدنيا له أسبابه المعروفة من خلال الدراسة المتخصصة، فإذا درست وتعلمت فعملت بما تعلمت تشعر بالتوازن في حياتك من الناحية الدنيوية، وإذا علمت علم الحلال والحرام وما تصح به عبادتك فعملت به فإنك بذلك أصلحت دنياك وأخراك.

ثالثا / التوازن بين العقل والعاطفة

كل إنسان منا عنده عقل يفكر به وعاطفة فيها المشاعر والأحاسيس من الحب والكره .... الخ

ومن أكثر المشاكل في حياتنا الخلط بين الأمرين، البعض لا يدري متى يستعمل العقل؟ ومتى يستعمل العاطفة؟

العقل منطقي، له استدلالات وتفكير ووعي وإدراك.
بالعاطفة يميل الإنسان إلى ما يحب، ينفر مما يكره.

وهذا يؤدي أحيانا لبعض الخلل في الحياة فلا تكن عقلانيا بلا عاطفة، ولا عاطفيا بلا عقل.

المرأة فطرها الله تعالى عندها العاطفة أكبر بكثير من الرجل، لكن هذا ليس معناه كما ادعى البعض أنها ليس عندها عقل وأن الإسلام ظلم المرأة، فهذا غير صحيح، المرأة عندها عاطفة وعقل لكن العاطفة أكبر من العقل، الرجل فطر أو خلق عنده عقل وعاطفة، لكن العقل عنده أكبر من العاطفة، ولذلك لما يحدث الزواج بين الرجل والمرأة تتكامل الشخصيتان عقل وعاطفة، وعاطفة وعقل.

العاطفة والعقل في القرآن:

بعض الناس يفكر بالعقل فقط فيفتقد اللين والرحمة في النظر للأمور، وبعضهم يفكر بالعاطفة فيفتقد الحكمة والتعقل وقد يقع في تمييع المسائل أو إفساد الأمور.

يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]

النبي ﷺ المكلف بتبليغ الوحي عن الله سبحانه وتعالى؛ يأمره الله تبارك وتعالى أن يمزج قيادته للمسلمين وتعليمه بالعاطفة، أن يجعل الله في قلبه الرحمة مع من يتعامل معهم، فلو خلت أخلاق النبي ﷺ من الرحمة لكان مكانها الغلظة، وهذا ينتج عنه نفور الناس.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]

العدل هو إعمال للعقل احكم بين متخاصمين بالعدل، إقامة الأمور في نصابها ومع العدل لا تنس الإحسان وهذه عاطفة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8] **شنآن**: بغض

فلا تدفعكم عداوتكم أو كرهكم لقوم أو شخص أن تظلموهم فلا تقدموا العاطفة على العقل، فالعقل يقول ينبغي عليك إقامة العدل، العاطفة تقول لأني أكره هؤلاء أو هذا الشخص لن أمنحه هذا الأمر، الله تعالى أمرنا بالعدل.

لقاء النبي بقاتل عمه حمزة:

والنبي ﷺ التقى بقاتل عمه حمزة -رضي الله عنه- وحشي بن حرب الذي جاء مسلما، والنبي ﷺ بحكم إنسانيته يكره هذا الشخص قاتل عمه، هذه عاطفة، لكن العقل هنا أنه لا ينبغي أبدا أن يظلمه لأنه دخل في الإسلام؛ والإسلام يهدم ما كان قبله، ماذا قال له النبي ﷺ؟ قال غيب عني وجهك.

أنا لن أظلمك ولن أؤذيك، ولن أنتقم منك؛ لكن من الناحية الإنسانية أنا محمد لا أستطيع أن أنظر إلى وجه قاتل عمي.

الشاعر أبا عَزَّة الجمحي:

في طريق رجوعه ﷺ من غزوة حمراء الأسد إلى المدينة أخذ أبا عَزَّة الجمحي أسيرا وهو الذي كان قد منَّ عليه بالعفو من أسارى بدر؛ لفقره وكثرة بناته، على شرط ألا يظاهر عليه أحدًا، ولكنه نكث وغدر فحرض الناس بشعره على النَّبِيّ ﷺ والمسلمين، وهجاه (سبه) وخرج لمقاتلة المسلمين في أحد، **فلما أخذه رسول الله ﷺ قال: يا محمد، اعف عني، وامنن على، ودعني لبناتي، وأعطيك عهدًا ألا أعود لمثل ما فعلت، فقال ﷺ: لاَ تَمْسَحْ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ بَعْدَهَا وَتَقُولُ: خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، لاَ يُلْدَغُ المؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ"**

ففي هذا الموقف كان إعمال العقل هو المتوجب عليه ﷺ؛ سيما وقد أبان القاعدة التي يدور عليها وهي أنه لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين، فعامله ﷺ بالعدل لا بالإحسان إذ أحسن إليه من قبل.

فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا:

أنا عندي عقل وعاطفة مع أولادي: العقل يقول توقظ أبناءك لصلاة الفجر مثلا، العاطفة تقول اتركه ينام قليلا!! ماذا أغلب هنا العاطفة أم العقل؟

عندما ادعى للشهادة أمام القضاء وقد تكون الشهادة ليست لصالح قريبي أو حبيبي أو صديقي ، والآن أنا سأشهد عليه وليس له ، العاطفة تقول : اشهد له لا تؤذه ، والعقل يقول كلا ، لا بد وأن تشهد بالحق ، ماذا قال لنا الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135]

إذن عند العدل لا تقدم العاطفة فتحابي وتشهد زورا، أو تظلم لتعطي صاحبك أو صديقك أو حبيبك؛ إنما تقيم العدل، هكذا تتوازن الأمور.

ولما تعرض لك مشكلة فكر فيها من الناحية العقلية، وازن الأمور، تدرك أبعاد المشكلة، ولا تنس العاطفة وخاصة إذا كانت متعلقة بالأشخاص الذين نحتك بهم مباشرة كالزوجة والأولاد والوالدين، الإخوة، الأرحام، الأصدقاء فنمزج بين العقل والعاطفة.

لكن لا يدفعنا العقل إلى الصلابة والغلظة والخشونة مع الناس، ولا تدفعك العاطفة إلى أن نميل عن الحق ونزيغ إلى الباطل أو نظلم أو نعتدي أو نشهد زورا بحجة هذا الأمر.

انصر أخاك ظالما أو مظلوما:

في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال: رجل يا رسول الله ﷺ أنصره إذ كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره.) أخرجه البخاري.

في هذا الحديث يصحح النبي ﷺ المفاهيم التي كانت سائدة في الجاهلية، **فقال: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)** قالوا هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ وكانت العرب عندهم مبدأ العصبية للقبيلة؛ فينصرون أبناء قبيلتهم، ظالمين أو مظلومين، واشتهر عندهم هذا المبدأ على حقيقته: **(انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)**، فكل من ينتمي لقبيلة قوية كان يفعل ما يشاء يقتل

يأخذ مال غيره، وفي الأخير يرجع لقبيلته فتحميه، فلما قال النبي ﷺ ذلك **قالوا: يا رسول الله! هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: تحجزه عن الظلم فذلك نصرك إياه.**

يقولون: إن الإنسان إذا فكر بعقله أبطأ وإذا فكر بعاطفته أسرع لأن العاطفة انفعال أما العقل فهو قرار فإذا مزجت بينهما كنت إنسانا متوازنا.

رابعا /التوازن بين الأخذ والعطاء

بعض الناس تعود أن يأخذ فقط فإذا منعه الناس أو ملّوه يتضايق ويتضجر، والله عز وجل أخبر عن أمثال هؤلاء فقال: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ [التوبة: 58]

أنت صاحبي وحبيبي لو أعطيتني، يا سلام على كرمك، طيب ماذا لو رفضت أن أعطيك ضيقا أو عجزا عن العطاء؟ إذن يا ويلك منه أنت بخيل، بل أنت أبخل من رأيت أنت كذا وكذا.....

فنوازن بين الأخذ والعطاء إذا أردت أن تأخذ فاعطِ **كما قال النبي ﷺ" خير الناس أنفعهم للناس " و " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "**

فلا تكن دائما آخذا فتكن أنانيا، ولا تكن دائما معطاء فإنك قد تنفذ قدراتك أو تمل وتضجر وقد يصل بك الأمر إلى عزلة عن الناس، فالتوازن بين الأخذ والعطاء.

العطاء سبب للسعادة:

يقولون: إذا أردت أن تسعد فبعدد من تسعدهم معك تزيد سعادتك، لو أردت أن أدخل السرور والسعادة على قلب شخص واحد فإن سعادتي ستكون بمقدار إسعادي لشخص، ولو أسعدت أسرة فسعادتي ستكون أكبر وأكبر، ولو أسعدت عشرة ...عشرين .... ألف .... فكلما زاد عدد من أسعدتهم زادت سعادتي.

إذا أردت أن تُحب فوزع حبك على القلوب حولك، سبحان الله!

إذا أردت أن تأخذ فاعطِ، كن كريما، فالكرم والعطاء يجعلك تكسب قلوب الناس فتعطي ولا تنتظر المقابل، والبذل والجود ليس بالمال فقط إنما يكون

بالمال، والكلمة الطيبة والبسمة الجميلة الصافية، ويكون بالتشجيع، وبالثناء على الشخص بما يستحقه وليس بما لا يستحق.

إذا وازنا بين الأخذ والعطاء الإنسان منا يكون عنده توازن في حياته، والرسول ﷺ علمنا فقال: **" ومن يستعفف يعفه الله، واليد العليا خير من اليد السفلى "**، فعلمنا أنك إذا كنت قادرا على ألا تأخذ وأن تعطي فإن اليد العليا أفضل لأنها المنفقة وليست الآخذة.

كيف يكون التوازن في هذه الأمور الأربعة سببا للسعادة؟

1- الإنسان إذا بالغ في جانب وأهمل آخر يشعر بالضغط والاضطراب.

مثلًا: من يغرق في العمل وينسى صحته وأسرته يعيش قلقًا.

أمّا التوازن بين العمل والراحة، بين الجسد والروح، يجعل القلب مطمئنًا، وهذه الطمأنينة أساس السعادة.

2- التفريط (إهمال الواجبات) يجلب الندم، والإفراط (المبالغة الزائدة) يجلب الإنهاك.

3-السعادة في الوسطية: وفي هذا قال النبي ﷺ :**(ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا)** أي لا تشدد ولا تفرّط، هذه الوسطية تحفظ للإنسان راحته وسعادته، فلا يرهق نفسه فوق طاقتها ولا يتركها للهوى.

4-من يتعامل مع الناس بتوازن (لا قسوة ولا ضعف، لا كرم مفرط ولا بخل شديد) يعيش بسلام معهم، ويشعر بسعادة لأن علاقاته مستقرة ومريحة.

5-التوازن يجعل الإنسان قادرًا على الاستمرار. من يعيش على طرف واحد (إما لهو مطلق أو عمل مطلق) سرعان ما ينهار. لكن بالتوازن يستمر في العطاء مع راحة، فيشعر بسعادة دائمة.

****

قوانين السعادة

(29)

تفاءل

ولا تتشاءم

(29) تفاءل ولا تتشاءم
واطرد الأوهام من رأسك

من أسباب السعادة: التفاؤل وعدم الاستجابة للتشاؤم .

لماذا يحدث التشاؤم؟ يحدث لعدة أسباب:

1- الاستجابة لهواجس الشيطان:

الهَاجِسُ: هو الخاطر، والجمع: هَواجِسُ، وهي ما يلقيه الشيطان على فكرك من شرور ومخاوف، فلنعلم أن من أكبر أسباب الوقوع في التشاؤم الشيطان، كما قال تعالى: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: 268]

لأن الشيطان يدخل على المسلم بالهواجس؛ ليكون فاقد الصلة بالله، سيء الظن بربه بكثرة الشكوك والظنون والأوهام فهو يبث فينا التشاؤم بالوساوس والهواجس السلبية، وافتراض السيء والأسوأ، فيدخل عليك الحزن كما قال الله عزوجل: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المجادلة: 10]

هو يريد إدخال الغم والكآبة عليك، أنت عندك فقر، النفقات عالية غدا ستكون محتاجا، وغدا ستغرق في الديون، غدا أسوأ، غدا أسود، غدا مظلم. أعوذ بالله ما هذا؟

هذا وعد الشيطان فما وعد الرحمن؟ **"والله يعدكم مغفرة منه وفضلا".**

هل تصدق وعد الله؟ ومن أصدق من الله حديثا.

فلا تسترسل مع الشيطان في هذه الأمور، ولا تتمادى في الخيالات والأوهام؛ لأن الهدف منه أن تبقى ساخطا على الله محزونا متشائما سلبيا. والنبي ﷺ علمنا وهو الذي مر بفترات في حياته صعبة قاسية، مر بالمصائب والابتلاءات وعلى الرغم من هذا كان ﷺ يتفاءل.

كان يرى ضوء الفجر في ظلمة الليل، وكان يبشر أصحابه رضوان الله عليهم وكانوا يثقون فيما يقوله ﷺ.

2- الاستجابة للافتراضات الوهمية:

كثير من الناس يعانون من حالة الخوف الدائم من المستقبل، ويعيشون كوابيس مصدرها: **(ماذا لو؟)**، فالمسلم على يقين أن الله لا يبتلي أحدا إلا أنزل به رحمة ولطفا، وسوف نجد أن بعض أحداث حياتنا الصعبة لو كنا علمناها قبلها لظن الواحد منا أنه لن يحيا بعدها يوما واحدا، فلا نشغل أنفسنا بما لا علم لنا به.

3- الجهل بسنن الله في هذه الدنيا:

في الحياة مراحل عديدة يمر بها الإنسان: مراحل بناء الشخصية، وبناء المستقبل، وبناء الذات، وتكوين الأسرة... هذه المراحل لا شك أنها صعبة فيجد الإنسان صعوبات كثيرة، فيجد نفسه متشائما، وهنالك من أصيب بأمراض عضوية بسبب هذه الضغوطات والشعور بالخيبة والتشاؤم والفشل، لماذا؟

أنت عليك أن تسعى وليس عليك إدراك المقاصد؛ الذي عليه النتائج هو الله سبحانه وتعالى.

قد تسعى، وهذه سنة الله التي علمنا إياها **(فإذا عزمت فتوكل على الله)** لكن من تمام التوكل أن ترضى بما أراده الله، نحن نفهم التوكل خطأ يا إخواني. التوكل ليس معناه أن تفوض الله في الأمر فقط.

هذه الدنيا تحتاج إلى جد واجتهاد؛ بل لذتها في تعبها كما قال من عاش فيها دهرا طويلا؛ ثم بعد ذلك كما بنيت وكما أسست ستجد الراحة.

أيضا (ما كل ما يتمناه المرء يدركه) والحياة فيها مفاجآت كثيرة، يفقد عزيزاً، يفقد مالاً، يفقد أهلاً، يفارق وطناً، طبيعة الحياة الدنيا كطبيعة الإنسان أيضاً، هي بالبلاء محفوفة وبالكَدَرِ موصوفة.

كما قال الشاعر أبو الحسن التهامي:

جبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الآلام والأكدار
ومكلِّف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

4- النظر دائما إلى نصف الكوب الفارغ:

الكثير منا يصر على أن ينظر إلى النصف الفارغ من الكوب ولا ينظر إلى النصف المملوء من الكوب.

والكثير من الناس يقع تحت سيطرة نقاط ضعفه، وبتركيزه النظر إليها تجعلها تحبطه وتقلل من عزيمته وتجعله يردد أنا لا أستطيع أن أنجح، ولا أستطيع أن أحقق، أو أنجز، لأني لا أملك كذا وليس عندي كذا ولا يتوفر لدى كذا، عليك أن تقاوم أي نقص أو عجز، قاوم في نفسك أي قيد قد ينمى لديك شعورا باليأس.

انظر إلى النصف المملوء من الكوب، وانظر في نفسك واعلم أن الله سبحانه وتعالى حباك بنعم عظيمة ومزايا كثيرة أنت متفرد بها عن غيرك عليك أن تحددها أو تنظر إليها وتنميها وتقويها، لا تنسى أن اللحظات الصعبة لا تزيدك إلا قوة، والإنسان لا يرى عظم نعمة ربه عليه إلا عندما يحرم منها، وهكذا تزيدك الأزمات قوة في الإيمان وتقديرا لنعمة ربك عليك فلا تنظر لها من نصف الكوب الفارغ ولكن انظر للنصف المملوء!!!

ما هو العلاج؟

1- تقوية الإيمان بالله:

من أهم وسائل العلاج تقوية إيمان المسلم بربه، لأن الإيمان حصن منيع يحجز طوفان هذه المشكلة من العبور إلى نفس الإنسان، فلا تستطيع بواعث القلق أن تتسلقه أو تخترقه، وإذا حدثت شقوق في هذا الحصن أمكن السيطرة عليها وعلاجها.

وكيف يستبد به القلق، ولماذا يقلق أساساً من يعرف أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما كتب له لن يذهب لغيره، وما لم يكتب له لن يحصل عليه بقوته.

المستقبل بيد الله وهو خالق هذا الكون وعالم بأسراره ومدبّر أموره، فهو الضامن للحياة والأرزاق والأمن وجميع مقومات الحياة.

2- عدم الاستجابة لهواجس الشيطان:

أفضل علاج للهواجس عدم الاسترسال معها ومجاهدتها، والإعراض عنها؛ فلا يجعلها المسلم شغله الشاغل لأنه إن تمادى بها تمكن الشيطان منه فإذا دافعه وجاهده زال عنه بإذن الله، فالشيطان ضعيف وكيده ضعيف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]

وأما من أصغى للهواجس فإنها لا تزال تزداد به حتى تُخرجه إلى حيز المجانين، واللعين لا غاية لمراده إلا إيقاع المؤمن في الضلال والحيرة ونكد العيش وظلمة النفس وضجرها إلى أن يُخرجه من الإسلام، وهو لا يشعر.

3- التقرب إلى الله بالعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]

الحرص على الانتفاع بثمار العبادات المختلفة، والمداومة على الأذكار الشرعية المأثورة من الكتاب والسنة، لأن المشاعر السلبية لا تتحكم إلا في القلب الفارغ مما ينفع، ومما لا ريب فيه أن قراءة القرآن الكريم من أفضل العبادات وهو وقاية وشفاء للأنفس والأبدان، من كل الأمراض، قال المولى عز وجل: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82]**

وكذلك الأذكار التي يحسن بالمسلم أن يتعاهدها، وأن يشغل نفسه بها، والذكر سبب من أسباب طمأنينة القلب، حيث قال سبحانه وتعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28]**

4- الإيمان بالقضاء والقدر:

ثم إن الأحداث التي يتخيلها الواحد منا هي خيال محض، فلا تقتنع بما تتخيله فهو مجرد أفكار لن تبرح ذهنك، وردد ما قاله النبي ﷺ لابن عباس: **(يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا**

سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك.)

وقوله ﷺ في الرواية الثانية :(واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك)،

فقوله: (واعلم أن ما أخطأك) أي من المقادير فلم يصل إليك، **(لم يكن)** مقدراً عليك **(ليصيبك)**؛ لأنه بان بكونه أخطأك أنه مقدر على غيرك، **(وما أصابك)** منها **(لم يكن)** مقدراً على غيرك **(ليخطئك)**، وإنما هو مقدر عليك؛ إذ لا يصيب الإنسان إلا ما قدر عليه، ومعنى ذلك: أنه قد فرغ مما أصابك أو أخطأك من خير وشر، فما أصابك فإصابته لك محتومة لا يمكن أن يخطئك وما أخطأك فسلامتك منه محتومة، فلا يمكن أن يصيبك.

فلابد من الإيمان بأن كل ما يصيب العبد مما يضره وينفعه في دنياه فهو مقدر عليه، وأنه لا يمكن أن يصيبه ما لم يكتب له ولم يقدر عليه، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهـم جميعاً.

قــال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11]

فما أصابك هو مراد الله فيك فلا خطأ ولا خلل، أو كما يقول البعض: فلان محظوظ أو فلان منحوس، فنحن المسلمين لا نعتقد بما يسمى الحظ والنحس لأننا نؤمن أن كل شيء بقضاء الله وقدره فلا مغالبة في الرزق، أو الأجل، أو دفع ضر أو جلب نفع، فكل شيء بإرادة الله.

كما قال النبي ﷺ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تَعْجَز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا، كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم.

5- فهم حقيقة الدنيا:

قيل للإمام علي رضي الله عنه: صف لنا الدنيا، فقال للسائل: وماذا أصف لك من دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء.
فإذا علم المؤمن أن الدنيا فانية، ومتاعها قليل، وما فيها من لذة فهي مكدّرة ولا تصفو لأحد، إن أضحكت قليلاً أبكت طويلاً، وإن أعطت يسيراً منعت كثيراً.

والمؤمن فيها محبوس كما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ رواه مسلم

وهي كذلك نصب وأذى وشقاء وعناء ولذلك يستريح المؤمن إذا فارقها كما **جاء عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: " مستريح ومستراح منه "**

قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟

قال العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله.

والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب "رواه البخاري

إن هذا المعنى الذي يدركه المؤمن لحقيقة الدنيا يهوّن عليه كثيراً من وقع المصاب وألم الغمّ ونكد الهمّ لأنه يعلم أنه أمر لا بدّ منه فهو من طبيعة هذه الحياة الدنيا.

ودائما ما نتناسى أن الحياة تدور بنا ودوام الحال من المحال، فلن تجد أبدا شرا يدوم أو خيرا يدوم وهي سنة الحياة فاقبلها بدلا من أن تقف ضدها وترهق نفسك في أحوال لن تغيرها ولا تملك فيها من الأمر شيئا، وحين تقبلها وتسلم أمرك إلى الله وتتوكل عليه فسوف تكون قد أزلت من على ظهرك حمل ثقيل، كما أنك حين تثق في أن الله لا يأتي لعبده بمكروه أبدا، ولكن حتى ابتلاءه له يحط من سيئات عبده ، ويضيف إلى حسناته، ويدعوه به للتضرع له، وعند صبره سيعوضه خيرا مما كان، كما عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى في الحديث الصحيح بقوله : **(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله**

خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رواه مسلم.

6- التوكل على الله عز وجل وتفويض الأمر إليه:

يقول ابن القيم رحمه الله: فمن علم أن الله على كل شيء قدير، وأنه المتفرد بالاختيار والتدبير، وأن تدبيره لعبده خير من تدبير العبد لنفسه وأنه أعلم بمصلحة العبد من العبد وأقدر على جلبها وتحصيلها منه وأنصح للعبد لنفسه وأرحم به منه بنفسه، وأبرّ به منه بنفسه.

وعلم مع ذلك أنه لا يستطيع أن يتقدم بين يدي تدبيره خطوة واحدة ولا يتأخر عن تدبيره له خطوة واحدة، فلا متقدم له بين يدي قضائه وقدره ولا متأخر، فألقى نفسه بين يديه وسلم الأمر كله إليه، و انطرح بين يديه انطراح عبد مملوك ضعيف بين يدي ملك عزيز قاهر، له التصرف في عبده بما شاء ، وليس للعبد التصرف فيه بوجه من الوجوه ، فاستراح حينئذ من الهموم والغموم والأنكاد والحسرات، وحمل كل حوائجه ومصالحه من لا يبالي بحملها ولا يثقله ولا يكترث بها، فتولاها دونه وأراه لطفه وبره ورحمته وإحسانه فيها من غير تعب من العبد ولا نصب ، ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنياه ، وفرغ قلبه منها ، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبه وأعظم سروره وفرحه.

وأما من أبى إلا تدبيره لنفسه واختياره لها واهتمامه بحظه دون حق ربه، خلاه وما اختاره وولاه ما تولى فحضره الهم والغم والحزن والنكد والخوف والتعب، وكسف البال وسوء الحال، فلا قلب يصفو، ولا عمل يزكو، ولا أمل يحصل، ولا راحة يفوز بها، ولا لذة يتهنى بها، بل قد حيل بينه وبين مسرته وفرحه وقرة عينه. فهو يكدح في الدنيا كدح الوحش ولا يظفر منها بأمل ولا يتزود منها لمعاد. [19]

(19) الفوائد لابن القيم ص: 209

7- القناعة:

ويلحق بهذا ضرورة أن يوطن المسلم نفسه على القناعة وهي الرضا بما آتاه الله تعالى وسؤاله المزيد.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيس الغِنَي عَن كثْرَةِ العَرضِ، وَلكِنَّ الغنِيَ غِنَي النَّفسِ» متفقٌ عليه.

«العَرَضُ» بفتح العين والراءِ: هُوَ المَالُ.

ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى

فالقناعة مال لا ينفد لأن القناعة تنشأ من غنى القلب بقوة الإيمان ومزيد الإيقان ومن قنع أمد بالبركة ظاهرا وباطنا لأن الإنفاق منها لا ينقطع إذ صاحبها كلما تعذر عليه شيء قنع بما دونه ورضي فلا يزال غنيا عن الناس ولهذا كان ما يقنع به خير الرزق.

وأهم شيء أن تعلم جيدا أنه ليس هناك إنسان على وجه الأرض معافى ولكن كلُ له مشاكله التي تؤرقه وسيظل هكذا حتى يموت، وذلك لأننا في دار ابتلاء وليس علينا أن نحلم باليوم الذي نحل فيه مشاكلنا لنحيا حياة سعيدة ولكن ما علينا إلا أن نتعلم من أزماتنا كيف نأقلم أنفسنا ونقويها حتى نجتاز هذه العقبات بيسر ورضا.

وقد عبر النبي ﷺ عن هذا المعنى بأبلغ عبارة حينما قال: (من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) رواه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني.

(في سِربه) أي: في نفسه، وأهله وعياله

(معافى) صحيحاً سالماً من العلل والأسقام.

(عنده قوت يومه) أي: كفاية قوته من وجه الحلال.

(فكأنما حيزت) من الحيازة، وهي الجمع والضم.

وورد بزيادة كلمة **(بحذافيرها)** أي: بتمامها، والحذافير الجوانب، والمعنى: فكأنما أعطي الدنيا بأسرها.

ومعنى الحديث: من جمع الله له بين عافية بدنه، وأمن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها.

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ **في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) رواه الترمذي وهو في صحيح الجامع**

فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل، رأى نفسه يفوق قطعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد في نِعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً كثيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور.

8-اللجوء إلى الله بالدعاء:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]

وأكد النبي ﷺ أن الدعاء عبادة بقوله ﷺ: (الدعاء هو العبادة)

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ: استعاذ من الهم والحَزنَ فقد أخبرنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه عن حاله معه بقوله: (كنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل فكنت أسمعه كثيراً يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ) رواه البخاري

ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور استعمال هذا الدعاء الذي **كان النبي ﷺ يدعو به عن أبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي**

وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر " رواه مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: " أنه ما من مؤمن يصيبه همٌّ أو غمٌّ أو حزن فيقول: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي: إلا فرَّج الله عنه " رواه الإمام أحمد وصححه الألباني

هذا الحديث العظيم الذي يتضمن اعتراف العبد أنه مملوك لله وأنه لا غنى له عنه وليس له سيد سواه والتزام بعبوديته وإعلان الخضوع والامتثال لأمره ونهيه، وأن الله يصرّفه ويتحكّم فيه كيف يشاء وإذعان لحكم الله ورضى بقضائه وتوسل إلى الله بجميع أسمائه قاطبة ثم سؤال المطلوب

وكذلك أيضاً أن يقول: " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " كما في الحديث: (دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له) صححه الألباني

ماذا يقول من أحس بالتشاؤم؟

ومن أحس بالتشاؤم فليقل كما علمنا رسول الله -ﷺ- (فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)

****

قوانين السعادة

(30)

لا تنظر إلى

ما في يد غيرك

(30) لا تنظر إلى ما في يد غيرك

يكثر عند بعض الناس التحدث بإعجاب عن نعم الغير، ولا يتحدث عن نعم الله عليه مع أن الله قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]

ومن أسباب السعادة: ألا تنظر إلى ما في يد غيرك، وهذا يكون بالإعراض عما في أيديهم من الدنيا، فلا يتعلق القلب بما في أيدي الناس من نعيم الدنيا، فإذا فعل العبد ذلك، مالت إليه قلوب الناس، وأحبته نفوسهم.

لا تنظر إلى ما في يد غيرك تشعر بالسعادة [20].

وقد جاء هذا المعنى في العديد من الآيات والأحاديث منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131]

نهى الله نبيه ﷺ -وهو خطاب للأمة أيضًا- عن النظر إلى ما متّع الله به غيره من زخارف الدنيا وزينتها.

(وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) مدّ النظر: إطالة النظر استحسانا للمنظور إليه وإعجابا به، وتمنيا أن يكون له، فلا تمد عينيك معجبا، ولا تكرر النظر مستحسنا إلى أحوال الدنيا والممتعين بها، من المآكل والمشارب، والملابس الفاخرة، والبيوت المزخرفة، فإن ذلك كله زهرة الحياة الدنيا، تبتهج بها نفوس المغترين، ثم تذهب سريعا، وتمضي، وفي هذه الآية، إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحا إلى زينة الدنيا، وإقبالا عليها، أن يذكرها بما عند الله من الرزق.

---

(20) أثبتت بعض الدراسات أن المزيد من الأموال ليس هو السبيل إلى تحقيق السعادة، وأظهرت دراسة أعدها فريق من باحثي أستراليا أن ما يؤثر فعلاً في شعورنا بالراحة والسعادة يكمن في التفاوت في الدخل مقارنة بالآخرين. وقال ساتيا باول خبير الاقتصاد بجامعة ويسترن سيدني "لا يبدو أن الدخل يؤثر في شعور الناس بالسعادة، لكن مقارنة الدخول هي التي تؤثر.. فنحن نقارن أنفسنا بأقراننا، سواء من حيث الجنس أو التعليم أو العمر.. وإذا كان أداء أحدهم أفضل، فإن مستويات الشعور بالسعادة تتراجع".

وتوصل باول إلى أن الحسد كان سبباً في عدم الشعور بالرضا مما قوض الشعور بالسعادة، وأكد أن ثمة عوامل غير مادية تعد أهم من الدخل في تحديد السعادة، مثل الصحة الجيدة والزواج ووجود وظيفة.

2- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ به بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (النساء: 32)

يقول السعدي في تفسيره: ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة.

فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمني نعمة الله على غيرك أن تكون لك ويسلب إياها.

ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلاد إلى الكسل والأماني الباطلة التي لا يقترن بها عمل ولا كسب.

وإنما المحمود أمران:

- أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية.
- ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه.

ولهذا قال تعالى **:﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾** أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب **﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾** فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب فيه.

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا، فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر.

وقوله :﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.

3- عن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعا: (شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس)؛ رواه الطبراني وحسنه الألباني.

الشرف الحقيقي للمؤمن ليس في المال ولا في المنصب، وإنما في قربه من الله، ومن أعظم مظاهر ذلك: قيام الليل، لأن وقت الليل بعيد عن الرياء، فيخلص القلب لله لأنه يربي المؤمن على الصبر والمجاهدة.

(**وعزه استغناؤه عن الناس)** العزة ليست في القوة ولا الكثرة، وإنما في أن يكون المؤمن مستغنياً عن الناس، متوكلاً على الله، وأن يكون قلبه معتمداً على الله، لا يذل نفسه للآخرين بطلب أو طمع.

فالاستغناء عن الناس سبب للعزة، أما الطمع فيُذل صاحبه.

4-وعن سهل أيضا قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) رواه ابن ماجة.

والسر في ذلك أن القلوب مجبولة على حب الدنيا، وهذا الحب يبعثها على بغض من نازعها في أمرها، فإذا تعفف العبد عما في أيدي الناس، عظم في أعينهم؛ لركونهم إلى جانبه، وأمنهم من حقده وحسده.

ومن كمال إيمان المرء وكرم نفسه ألا ينظر إلى ما أنعم الله به على غيره نظرة حسدٍ، بل يزهد فيه ويرضى بما قسمه الله له، وهذا المعنى يتضمن القناعة والعفة عن سؤال الناس، فلا يحسدهم على ما عندهم ولا يذلّ نفسه بطلب ما في أيديهم.

والزهد فيما في أيدي الناس مرتبطٌ بالزهد في الدنيا نفسه؛ لأنه يعكس مدى تحرر القلب من الطمع الدنيوي ومن تعلقه بالخلق بدل الخالق.

5- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَن يستعفِف يُعِفَّه الله، ومَن يستغنِ يُغْنِهِ الله) ررواه البخاري ومسلم

(من يستعفف) عن أموال الناس وما في أيديهم يرزقه الله عفةً وتعففًا، ومن يستغنِ عن الناس يغنه الله ويجعل في قلبه غنى النفس، فمن جعل غناه بالله، أغناه الله، ورفع شأنه.

6- حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: "انْظُروا إلى مَن هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقَكم؛ فهو أجدرُ ألاَّ تزدروا نعمةَ الله عليكم"؛ رواه مسلم.

انظروا إلى من هو أسفل منكم :أي في أمور الدنيا، كالمال، والصحة، والمنصب، والجاه، لأن النظر إلى من هو أقل حالاً يجعلك تقدر ما عندك، وتحمد الله على فضله.

ولا تنظروا إلى من هو فوقكم :أي لا تجعلوا همّكم مقارنة أنفسكم بالأغنياء وأهل الجاه، فالنظر إلى من هو أعلى منك في الدنيا قد يجرّ إلى الحسد والاعتراض على قضاء الله.

فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم :أي ذلك أدعى لأن تروا نعم الله عليكم عظيمة، فلا تحتقروها ولا تستصغروها، وهذا التوجيه النبوي يربي المسلم على القناعة، وهي أساس السعادة.

ملاحظة: العلماء قالوا :**هذا في أمور الدنيا** فقط، أما في **أمور الدين،** فالمطلوب عكس ذلك: أن تنظر إلى من هو أعلى منك في العبادة والعلم لتقتدي به وتلحق بركب الصالحين، وفي هذا قال بعض السلف :من نظر في دنياه إلى من فوقه هلك، ومن نظر في دينه إلى من دونه فتر.

7- **قال النبي ﷺ أيضًا: "ليس الغِنَى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفس" (متفق عليه)**

العَرَض :متاع الدنيا وزينتها من مال وأثاث وغير ذلك.

الغِنَى غِنَى النَّفس :أي الغنى الحقيقي ليس بكثرة المال، بل أن تكون نفس الإنسان قانعة راضية بما قسم الله.

في هذا الحديث يصحح النبي ﷺ ميزان الناس في تعريف الغنى، فالغنى في نظر كثيرين هو المال الكثير، أما الغنى في التصور الإيماني فهو قناعة القلب ورضاه، حتى لو كان المال قليلاً، فقد يكون الرجل صاحب أموال لكنه فقير النفس، يطمع في المزيد، ويحسد غيره، وقد يكون آخر قليل المال، لكنه راضٍ بما عنده، فلا يحتاج لأحد، فهو الغني الحقيقي.

فالسعادة ليست في كثرة الممتلكات، بل في سكينة القلب، والغنى الحقيقي هو غنى القلب بالقناعة وعدم التطلع إلى متاع الآخرين.

8- **قال سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه: قال رجل: يا رسول الله، أوصني وأوجز .فقال ﷺ :(عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر.)** صححه الألباني.

(عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى): هذا توجيه لنا ألا تتعلق قلوبنا بما عند الآخرين من مال أو مناصب أو جاه، فالغنى الحقيقي ليس في كثرة المال، بل في الاستغناء عن الناس.

(وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر) الطمع يجعل الإنسان فقيراً حتى لو كان غنياً، لأنه دائماً ينتظر المزيد مما عند الآخرين، والطمع في رضا الناس جميعاً يؤدي إلى ضياع شخصية الإنسان واستغلاله.

من آثار السلف

-قال الحسن: لا تزال كريما على الناس، ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك.
-وقال أيوب السختياني: لا ينبل الرجل (أي لا يبلغ نُبل المنزلة) حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم.
-وقال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بما سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم.
-وقال ابن رجب رحمه الله: وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ بالأمر بالاستعفاف عن مسألة الناس والاستغناء عنهم، فمن سأل الناس ما بأيديهم، كرهوه وأبغضوه؛ لأن المال محبوب لنفوس بني آدم، فمن طلب منهم ما يحبونه، كرهوه لذلك.

أثر الزهد فيما في أيدي الناس على الفرد والمجتمع:

1-الزهد يُقوّي صلة العبد بربه؛ إذ يحرر قلبه من أسر الدنيا ويدفعه للتعلق بالله والدار الآخرة.
2-من يزهد بما في أيدي الناس فإنه يضع ثقته برزق الله ويقنع.
3-كما أن الزهد يقمع في النفس نوازع الحسد والحرص، فينجو القلب من هذه الأمراض.
4- قالوا قديمًا: "حب الدنيا رأس كل خطيئة"، وعكسه صحيح؛ فترك التعلق بالدنيا رأس كل فضيلة.
5-وفيه تربية للنفس على الإيمان بأن ما عند الله خيرٌ للعبد.
6- ومن جهة أخرى، يثمر الزهد غنى النفس، وهو أعظم الغنى.
7- من زهد عما عند الناس أبدله الله غنىً في قلبه وراحة في روحه، فلا يلهث خلف الدنيا، بل يطمئن إلى ما آتاه الله.
8-وبالزهد أيضًا تتحقق صفة العفة وهي من تمام الإيمان؛ فالعفيف عما عند الخلق يجعله الله في كنفه ويكفيه مؤونة السؤال والذل.
9-يورث الزهد طمأنينة وسكينة في القلب، ويخلّص الإنسان من القلق والتوتر الناشئين عن المقارنة بالآخرين والتطلع إلى ما عندهم.

10-والقانع بما قسم الله له مستريح البال، بخلاف الطامع الحريص أبدًا، فإنه في همٍّ وحسرة لا تنقضي.
11-كما أن الزهد يُكسِب صاحبه عزّة نفس وشعورًا بالكرامة، فلا يشعر بالدونية أمام الأغنياء أو أصحاب الجاه، لأنه لا يرجو منهم شيئًا.
12-الزاهد محبوبٌ مكرَّم في مجتمعه، لأن الآخرين يأمنون منه على حقوقهم وأموالهم ويجدونه عفيفًا عنها.
13- أما الطمّاع والحسود فممقوتٌ بينهم، لأن عينيه تمتدان إلى ما في أيديهم فيثير مشاعر الكراهية وعدم الثقة.

الوسائل العملية لتحقيق الزهد فيما في أيدي الناس

1- تقوية اليقين وبصيرة القلب بحقيقة الدنيا والآخرة: وهذه أعظم وسيلة. بيَّن ابن القيم رحمه الله أن الرغبة في الآخرة لا تتمّ إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بنظرين صحيحين:
نظر في الدنيا يوقن فيه العبد بسرعة زوالها وفنائها ونقصانها، وما فيها من الآفات والكدورات، حتى يراها كسرابٍ خادع أو جيفة مستحيلة لا تستحق أن يختلف الناس عليها.

والنظر الآخر في الآخرة وإقبالها ودوامها ورفعة ما فيها من النعيم المقيم، فإذا تم له هذان الإدراكان آثر ما يبقى على ما يفنى، وزهد في الفاني الحقير بطبيعة الحال.

2- قراءة آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ في الزهد، وتدبر مشاهد يوم القيامة وأهوالها، ونعيم الجنة ومقارنتها بمتاع الدنيا، حتى يرسخ في قلبه الإيمان بأن الآخرة خير وأبقى. **قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾** (النساء: 77)

فاستحضار هذا دوماً يهوّن في عينه ما عند الناس مهما بدا كثيرًا، فلا يغبطهم عليه ولا يلهث وراءه.

3- ومن الوسائل القوية أيضًا تذكُّر الموت وما بعده؛ فـ**"كفى بالموت واعظًا"** فإذا أيقن العبد أن كل نفسٍ ذائقة الموت وأن ما بعده حساب وثواب أو عقاب، زهد حتمًا في كل عرض فانٍ واستعدّ للقاء الله.

6- تربية النفس على القناعة وقطع الطمع: على المسلم أن يعود نفسه الاكتفاء وعدم الإسراف في طلب الماديات.

وكلما روض نفسه على القناعة بما لديه، هانت عليه الدنيا وزهد في الزيادة التي بيد لآخرين.

كذلك يجاهد نفسه في كبح جماح المقارنة مع الناس؛ فلا يتفقد أحوالهم ليتأسف على ما ينقصه، بل لينظر في حال من دونه في النعم ليعرف فضل الله عليه.

5- العمل بالقاعدة الذهبية التي أوصانا بها الرسول ﷺ **فقال: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم" (رواه مسلم).**

فهذه القاعدة تعين كثيرًا على الزهد فيما عند الناس، لأن النظر إلى من فُضِّلوا في المال والجاه يحرّك كوامن الطمع، أما النظر إلى الأقل فيُنشئ الشكر والقناعة.

6-ومن المفيد أيضًا أن يقوم العبد بمحاسبة نفسه إذا رأى في قلبه ميلاً أو حسدًا لما في يد أحد، فيذكّرها سريعًا بأن هذا قدر الله وقسمته، ويسأل الله من فضله بدل التحسّر، وبذلك يقطع خواطر الطمع في مهدها.

7-ترك سؤال الناس والتعفف عن أموالهم: بأن يضع الإنسان لنفسه قاعدة ألا يمد يده للناس إلا لضرورة قصوى؛ فيجتنب تمامًا الاستدانة أو الاستعارة أو الطلب من الغير ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإن اضطر فبقلب كارِه متعفّف، وقد قال ﷺ: (ومن يستعفف يعفّه الله)

8-مطالعة سير الزهّاد والصالحين: الاطلاع على أحوال من سبق من زهاد الأمة باب عظيم لشحذ الهمة وازدراء توافه الدنيا.

9- مصاحبة أهل القناعة، والابتعاد ما أمكن عن مخالطة أهل الإسراف والترف؛ فإن المرء يتأثر بجليسه.

10-تذكير النفس بثواب الزهد وجزيل عاقبته: فمن عرف ما أعدّه الله للعافّين والزهاد من منزلة رفيعة في الدنيا والآخرة، هان عليه ترك ما فوّت على نفسه من حظوظ دنيوية.

ومن جميل قول الإمام الشافعي في ذم الدنيا:

ومن يذق الدنيا فإني طَعِمتُها ** وسيق إلينا عذبُها وعذابُها

فلم أرها إلا غُرورًا وباطلًا ** كما لاحَ في ظهر الفلاةِ سَرابُها

وما هي إلا جيفةٌ مستحيلةٌ ** عليها كلابٌ همُّهن اجتذابُها

فإن تجتنبها كنتَ سلمًا لأهلها ** وإن تجتذبْها نازعتْك كلابُها

خلاصة القول:

-الزهد عما في أيدي الناس يُحرّر الإنسان من رقّ المطامع، ويزرع في قلبه نور القناعة وحب الآخرة.

-وهو سببٌ لنيل محبة الله لأن الزاهد آثر ما يحبه الله (الآخرة) على ما تهواه النفس (الدنيا)

-وهو ايضا سببٌ لمحبة الناس لأنهم يرتاحون لمن لا يطمع فيهم ولا ينافسهم.

****

قوانين السعادة

(31)

الأمنيات الخمس

قبل الموت

(31) الأمنيات الخمس قبل الموت

وقع بيدي ملخص لكتاب ألفته ممرضة من استراليا تدعى " بروني وير " التي عملتْ مدة اثنتي عشرة عاما في رعاية المرضى كبار السن الذين اقتربوا من الموت ويحتاجون لرعاية خاصة، وكانت خلال هذه الفترة تسأل كل واحد منهم في أيامه الأخيرة هذا السؤال:

ما أكثر شيء ندمتم عليه في حياتكم؟

وجمعتْ مئات الإجابات من مئات المرضى الذين شهدتْ لحظاتهم الأخيرة فلاحظتْ أن هناك خمسة أمور تكررتّ كثيرا يقول هؤلاء المغادرون للحياة أنهم ندموا عليها فجمعتها ونشرتها في كتابٍ حظي بانتشارٍ واسع.
فتعالوا بنا لنرى هذه الأمنيات الخمس، والحكمة ضالة المؤمن.

الأمنية الأولى / كنت أتمنى لو ملكت الشجاعة لأعيش الحياة التي أردتها لنفسي، لا التي أرادها الآخرون لي.

يا للأسف البعض منا يؤثّر عليه دائما رأي الناس فيه، ماذا قال الناس؟ وماذا سيقول الناس؟ حتى إن البعض منا ربما يمتنع عن عمل من الأعمال خوفا من كلام الناس، وربما يعمل عملا من الأعمال حتى لا يقول الناس إنه لم يفعل كذا... فهذا الحرص الكبير على إرضاء الناس يعكر صفو الحياة، خاصة الحياة الزوجية تقول الزوجة لزوجها: لا بد من فعل كذا وإلا فإن الناس سيقولون علينا كذا، الرجل لا يريد، والمرأة تريد خوفا من كلام الناس، أريد أن أعمل كذا لكن الأهل سيقولون كذا، الأصدقاء سيقولون كذا، فهذا واقع نعيشه يا للأسف دون أن نشعر أننا تحت ضغط المجتمع وماذا قال الناس؟ وماذا سيقول الناس؟ فيصيبنا ما يصيبنا من إرادات مزيفة وقرارات فيها مجاملة للمجتمع الذي حولنا، سبحان الله العظيم!!!

(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه(

تبنى النبي ﷺ زيد بن حارثة وكان يدعى زيد بن محمد، فلما أبطل الله التبني أراد إبطال ما ترتب عليه من تشريع جاهلي: وهو أن زوجة المتبني لا يجوز لمن تبناه أن يتزوجها، وبين الله لنبيه ﷺ أن زيدا سيطلق زوجته زينب وأن النبي ﷺ سيتزوجها إبطالا لهذا التشريع الجاهلي، والنبي ﷺ كبشر مثلنا كان يخشى من كلام الناس وردة فعلهم، كيف لرسول الله أن يتزوج بزوجة ابنه الذي تبناه؟ وهنا يقول الله تعالى لنبينا: **(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)** [الأحزاب/37] هذا أدب لنا في شخص نبينا ﷺ.

ولما جاء البعض وقال للمؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾
[آل عمران: 173-174]

فأنا لا أخشى الناس فيما يرضي الله لا أهاب قرارا فيه مرضاة لله حتى لا يقول الناس كذا....
وقد ورد في الحديث (مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)

تحقيق الكمال الأخلاقي:

لو تأمل كل واحد منا حياته لرأى أنه لن يصل في مرحلة من مراحل حياته إلى الكمال الأخلاقي أو الكمال في الشخصية لأن تحقيق الكمال لأي إنسان لا يستطيعه أحد لأننا بشر ؛ فالكمال لله وحده ، كلنا بشر فينا نقص ، وهذا النقص أراده الله ليكمل بعضنا الآخر ، قال تعالى: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾**
[الزخرف: 32]

أنا فيّ نقص أنت تكمله وهذا فيه نقص الآخر يكمله، وهكذا تدور عجلة الحياة، لكن الشخصيات المثالية التي تحمل هم الناس هي التي تتعب كثيرا، وربما يمتنع عن العمل خشية الناس، أو يعمل العمل إرضاء للناس، إنما عليك قبل كل ذلك أن ترضي الله.

ألخص الكلام في هذه المسألة وأقول:

أولا / إذا عملت خيرا فليكن لله لا لوجه الناس؛ حتى لا تقع في الرياء المحبط للعمل.
ثانيا / إذا تركت الشر فاتركه لله وليس من أجل الناس.
ثالثا / لا تقف موقف شبهة ابتعد عن مواطن الشبهات كما قال النبي ﷺ (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)

أو بين ما يزيل اللبس عند الناس حولك كما حدث للنبي ﷺ عندما كان مُعْتَكِفًا فَأَتتهُ زوجته صفية بنت حيي تزوره لَيْلاً. فقام النبي ﷺ ليردها

لبيتها وَلم يكن مَسْكَنُهَا فِي حجرات زوجات الرسول بالمسجد إنما كانت في دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – فَمَرَّ رَجُلانِ مِنْ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ معها ﷺ أَسْرَعَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا. إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ. فَقَالا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ. وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا.)

نعم بعد ذلك سيوسوس لهما الشيطان من هذه التي كانت مع الرسول؟ وإلى أين يذهب معها؟ ولماذا خرج من المسجد وهو معتكف؟ قطع النبي هذه الوساوس بقوله إنها صفية زوجتي.

رابعا / احترام أعراف الناس وتقاليدهم في الأحوال المختلفة وعاداتهم في الفرح والزواج وفي المناسبات المختلفة فيما لا معصية فيه لله -سبحانه وتعالى – وهذا يكون في العائلات والقرى المختلفة فاحترام العرف الذي تعارف عليه الناس فيما لا معصية فيه لله.
أما ما سوى ذلك فكن كما تريد لا كما يريد الناس.

الأمنية الثانية / أتمنى لو أني لم أعمل بهذه الكثرة.

بعض الناس عمله هو كل حياته يسيطر عليه لدرجة كبيرة جدا يعمل داخل البيت وخارج البيت يعمل بالليل والنهار، حتى وهو في بيته لا يلتفت لا لبيته ولا لأولاده ولا لزوجته، ينقطع عن أصدقائه وعن الدنيا، فإذا تكلمت معه يقول: أنا مشغول جدا، أنا ما عندي وقت لأي شيء، أنا كذا وكذا أي نعم مطلوب منا الهمة العالية والطموح والجدية في الحياة، لكن هذا لا يعني أن يكون على حساب صحتك من ناحية، وأن تكون منقطعا عن أهلك وأولادك من ناحية أخرى، لماذا تعمل كثيرا؟

حتى تكتسب مالا لراحة أهلك وأولادك، وماذا بعد؟

ماذا إذا خسرت أولادك لعدم وجودك بينهم، وخسارتهم للدفء الأسري، أولادك لا يجدونك، زوجتك لا تجدك، من الذي يعوض مكانك في البيت وقد غيبت نفسك؟

وقديما قال الشاعر أحمد شوقي رحمه الله:

ليسَ اليَتيمُ مَنِ اِنتَهى أَبَواهُ مِن * هَمِّ الحَياةِ وَخَلَّفاهُ ذَليلا**

إِنَّ اليَتيمَ هُوَ الَّذي تَلقى لَهُ * أُمّاً تَخَلَّت أَو أَباً مَشغولا**

هذا هو اليتيم الذي أبواه أحياء ولكنهما مشغولان عنه فلا يجدهم.

الدنيا لن تنتهي فعليك بالتوازن:

الإسلام علمنا التوازن بين عمل تتكسب به، وعبادة لربك، وعلاقة بأهلك ومن حولك.

وهذا ما تعلمناه من سلمان -رضي الله عنه- حينما قال لأخيه أبي الدَّرداء: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى النَّبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال النَّبي "ﷺ: صدق سلمان)

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقـاً، وإن لزوجك عليك حقـاً، وإن لزورك عليك حقـاً.
ومعنى (لزورك): أي ضيوفك الذين يزورونك.

فالمطلوب من المسلم التوازن في كل شيء، فإن لم تستطع فقارب واسأل الله السداد لكن لا تغيب نفسك وتنغمس في الدنيا، ثم لا تفيق إلا وأنت قد أصبت بمرض ألزمك الفراش، بسبب العمل المتواصل، أو ربما تجد آخر ضاع أبناؤه وصاروا بعيدا عنه، أو أن زوجته صارت تشعر بالنفور منه، كل هذا آفة من آفات العمل المتواصل دون التفات للأمور الأخرى.

وفي القرآن الكريم لما أوصانا الله بالدعاء قال: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ **[البقرة: 200-201]**

فذم صنفا يدعو للدنيا فقط، وليس في دعائه للآخرة حظ ولا نصيب.

ومدح الصنف الآخر الذين يدعون لدنياهم وأخراهم فقال: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: 202]

فالدنيا لن تنتهي والعمل لن ينتهي، أولادك سيكبرون وأنت بعيد عنهم، وسيكون هنالك تعكير دائم في حياتك الزوجية، وسيمضي بك العمر وأنت ما زلت مشغولا دون أن تشعر.

الأمنية الثالثة /أتمنى لو حافظت على علاقتي بأصدقائي

الإنسان بطبعه كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش وحده، ومن أشد العقوبات العقوبة بالحبس الانفرادي فيسجن الشخص ويعزل عن الناس، لأن هذا فيه ألم نفسي كبير، فأنت تحب أن تندمج مع الناس، وتكون معهم، وأن تتواصل، وأن يكون هناك من تحبه وتحرص عليه تفرح لفرحه وتحزن لحزنه.

والحرص على كسب الأصدقاء وتقوية العلاقة بهم هذا أمر تعلمناه في ديننا والحمد لله قال تعالى: **(إنما المؤمنون إخوة)** [الحجرات/10] وعلمنا أيضا: **(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)** [الصف/4]

والمقصود هنا بالبنيان المرصوص أن الحجر بجانبه حجر ما الذي يمسكهما معا؟ الملاط أو المونة أو اللاصق، هذا اللاصق في هذا البناء الذي يحبه الله هو الأخوة في الله، الصداقة الصحيحة الحقيقية التي لا ترتبط بتجارة، ولا رحم، ولا دنيا، إنما حب في الله، وتقوية للصداقة مع الأصدقاء، أن تكون دائم السؤال عنهم بلا انقطاع، وتتفقد أحوالهم، وتشاركهم في أفراحهم وتواسيهم في أحزانهم، وأن تكون في حاجتهم، وأن تنصح صديقك لله، فصديقك من صدَقك (بفتح الدال) لا من صدّقك (بتشديد الدال)، أن تلتمس له العذر فلا تسيء الظن به، أن تعلم أن صديقك بشر يصيب ويخطئ فمن طلب صديقا بلا عيب عاش وحيدا.

الأمنية الرابعة / كم أتمنى لو ملكت الشجاعة للتعبير عن مشاعري

خلقنا الله عندنا مشاعر حب وكره، هذه المشاعر جعلها الله في القلب منها ما هو لا إرادي ومنها ما هو بأسباب عديدة، لكن هنا نتكلم عن التعبير عن المشاعر، البعض بخيل في هذه المسألة، لا يستطيع أن يعبر عن هذه المشاعر ويظن أنها ضد رجولته وكبريائه وأن ذلك سينقص من شخصيته بين الناس وهذا خطأ.

لما دخل أحد الأعراب الأقرع بن حابس على النبي ﷺ وهو يقبل صبيانه قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا!!

هل أثنى النبي ﷺ على هذه الصفة وقال له أنت رجل قوي صلب؟ كلا إنما قال له: **(وما أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟ من لا يرحم لا يرحم)** عد النبي ﷺ هذه صفة ذميمة لأن التعبير عن المشاعر لا يعاب الإنسان به إنما يعاب حينما يكون حجرا جامدا متبلد المشاعر، فيكون أشبه بحجر لا مشاعر فيه ولا أحاسيس ولا تعبيرات سبحان الله العظيم!!!

ومواقع التواصل الاجتماعي اخترعوا فيها الرموز التعبيرية (Emoji) لتحريك من لا يريد كتابة ما يشعر به أو من لا يجيد التعبير عن مشاعره، فالتعبير عن المشاعر يثري العلاقة بينك وبين من حولك.

سأل عمرو بن العاص النبي -"ﷺ-أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ فَعَدَّ رِجَالًا.

والنبي ﷺ لم يبخل أن يعبر عن مناقب من حوله، والذي نهينا عنه في المدح أن تمدح الرجل بما ليس فيه، لكن إذا ذكرته بما فيه فهذا لا بأس به، **فقال لأشج عبد القيس "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالأَنَاةُ" وقال: {أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة}**

وقال: (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي) واستأذنتْ هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ وكان صوتها يشبه صوت خديجة، فتحرك قلبه ﷺ لذلك- فقال: اللهم هالة بنت خويلد، فأخذت الغيرة عائشة فقالت: ما كانت إلا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها، فغضب ثم قال: "والله ما أبدلني خيرا منها، امنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها"

فالتعبير عن المشاعر مطلوب، لا تبخل أن تخبر زوجتك عن مشاعرك، وتخبر أولادك عن حبك لهم، واحتضانهم وإشعارهم بأبوتك وإشعار الأم لأولادها بحنان الأمومة هذا كما يقول علماء التربية له أثر نفسي كبير في العناية والتربية بالأبناء، واخلط الأوامر والتوجيهات بالرحمة وهذا أمر لا يستطيعه أحد كالأبوين.

في العلاقات بيننا ما المانع أن تعبر عن مشاعرك؟

عن أنس رضي الله عنه، " أن رجلا، قال: يا رسول الله، إني أحب فلانا. قال: " فأخبرته؟ " قال: لا. قال: " قم فأخبره ". قال: فلقيه، فقال: إني أحبك في الله يا أخي. فقال: أحبك الذي أحببتني له ".

بالله عليك لو جئتك وقلت لك يا فلان أنا أحبك في الله، هل تحزن أم تفرح؟ التعبير عن المشاعر يسبب سعادة وألفة وتقوية للعلاقات مع من حولنا، فلا ينبغي أن نكتم مشاعرنا أو البخل بها، هذه المسألة لا تكون إلا لإنسان جامد القلب وهذه صفة لا يتصف بها المسلم.

الأمنية الخامسة /أتمنى لو كنت تركت نفسي لتكون أكثر سعادة.

السعادة شيء جميل ولحظات تكاد أن تختطف منا سريعا، لكن الإنسان فينا أحيانا عنده موضوع التطلع إلى المفقود فتقل سعادته أنعم الله عليك بنعمة من النعم، فيأتيك الشيطان ليقول لك: لكن فيها كذا وكذا.
كان أحدهم يقود سيارته فحدث اصطدام مع سيارة أخرى فيقول طوال اليوم أذكر المشهد وأحزن لذلك، وبينما أنا كذلك سألت نفسي يعني أنا حزين على هذه الإصابة في السيارة ولم أفرح أن الله أنعم علي بسلامتي، لماذا لم أذكر هذه النعمة أني والحمد لله بخير؟ غيري كان من الممكن أن يكون الآن بالمستشفى أو أصابه مكروه أو عنده إعاقة، أصبت نعم ولكن الله سلمني ثم النعمة الأخرى أن السيارة ستعالج ما المشكل الآن؟

أنعم الله عليك بنعمة الأولاد نعمة عظيمة يفتقدها غيرك، لكن الأولاد ابني فلان تاعبني وابني فلان دراسيا كذا وكذا... فاحمد الله على نعمة الأولاد ولا تنس الدعاء **(وأصلح لي في ذريتي)** [الأحقاف/15]

نعمة الزوجة أو نعمة الزوج:

ومن المسائل المتكررة عندنا نحن الرجال أن نتفكه بذم النساء والنساء أيضا تتفكه بذم أزواجهن، لماذا؟

ما من إنسان منا إلا وفيه حسنات وسيئات سلبيات وإيجابيات فنعم زوجتي فيها سلبيات لكن هذه سلبيات لا تكن هي العنوان الأساس والرئيس في حياتك الزوجية.

كذلك أختاه زوجك فيه سلبيات لكن فيه ايجابيات وله حسنات فلماذا نكدر صفو سعادتنا بالسخط وعدم الرضا، وتكبير الصغير، وتضخيم السلبيات على أنها أساس الحياة الزوجية؟ السعادة أن ترضى دائما تقنع دائما تحمد الله وتشكره قال تعالى: **(لئن شكرتم لأزيدنكم)** [إبراهيم/7]

السعادة أن تحب الخير لغيرك، فإذا أحببت الخير لغيرك كان ذلك والحمد لله سببا لزيادة سعادتك ، إذا أسعدت نفسك فهي سعادة لشخص ، إذا أسعدت أسرة فإن سعادتك تزيد أضعافا إذا أسعدت مجموعة من الفقراء أو الأيتام أو المرضى فسعادتك تتضاعف أكثر وأكثر ، فما بالك لو أسعدت أمة كم تكون سعادتك ؟

في دراسات عديدة تؤكد أن من أكبر علاجات الاكتئاب النفسي مساعدة الفقراء والمحتاجين وزيارة المرضى ، هذا علاج للاكتئاب لأنك حينما ترسم البسمة على وجه من أمامك فالجزاء من جنس العمل ، يجعله الله سعادة في قلبك ، لا إله إلا الله.

فلماذا نتعس أنفسنا ونتعب من حولنا ودائما نرى نصف الكوب الفارغ ويصيبنا الهم والحزن، فارقوا النكد ولا تفتحوا له الأبواب مرحبين به، وانظر إلى نصف الكوب الملآن وليس الفارغ.

هذه هي الأمنيات الخمس أردت مدارستها مع إخواني قبل أن نتمنى ولا نستطيع تحقيق شيء منها نسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

****

تم الكتاب بحمد الله تعالى

فهرس الموضوعات	ص
المقدمة	4
أن تعرف لماذا خلقت؟	10
أسعد الناس... يسعدك الله!!	19
الحياة الطيبة إيمان وعمل صالح	25
الرضا جنة الدنيا	33
كن حكيما لا تتهور	38
كن حليما لا تغضب	44
كن مفتاحا للخير	51
الصلاة قرة عين المؤمن	57
استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان	64
القناعة سبب للسعادة	71

البركة من أسباب السعادة	80
السكينة طمأنينة القلب	89
السعادة في تجنب الفتن	96
لا تحزن فإن الحزن يأكل القلب	107
الاستخارة من أسباب السعادة	114
لا تكثر من العداوات مع الناس	120
احذر كثرة الديون	127
التوكل على الله	134
من كان رزقه على الله فلا يحزن	142
الحب في الله	148
(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)	152
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	160

انشغل بعيبك عن عيوب الناس	169
لا تكن إمعة	178
تخلق بخلق التغافل	185
جبر الخواطر	196
لا تخف من كلام الناس	205
التوازن في الحياة	214
تفاءل ولا تتشاءم	223
لا تنظر إلى ما في يد غيرك	234
الأمنيات الخمس قبل الموت	243
فهرس المحتويات	252